# نِصفُ قمر

**الكاتبة: عهود عبد الكريم السرحان**

**أن أكتبني في سطورٍ وهمية**

**مُلقيةُ أعقاب قلمٍ قديم**

**ونافثةً غُبار المُستقبل**

**هذا يعني قسراً أني تغيرت ..**

**إهداء:**

**إلى كُل من أستطاع**

**أن يُطفئ سيجارة الألم في مَنَافِض قلبي**

**عمداً ..!**

**شكرا لكم تِباعاً**

**فالألم .. دفعةٌ قوية إلى هاوية**

**تبدأ بسلم الصعود إلى القمر ..**

## مُقدمة:

لا أملك جاذبية زهرة النرجس لأكون نرجسية المنشأ .. حيثُ تُشلُّ الأبصار على أعتاب عينيّ .. أو تُشلَ أبصاري فتجذبني أعماقُ بُحيرة تُسكرني بإنعكاس وجهي على سطحها..

*أنا أبسط من ذلك بكثير ..*

زهرةٌ اقحوانية لا تجذب الأعين ولا يشتم رحيقي إلا من عانقت أنفهُ أزهاري .

ولدتني أغسطس لألتحف بِغطاء الشمس، أقدامهُا طويلة فلا ندرك متى تطأ الأرض ومتى تُحلقُ عالياً .. كما ولدت غيري على صفحتها الحارة مَن هُم مخلدون على صفحات التاريخ.
إمبراطور فرنسا *نابليون بونابرت* وملك اليونان *ألأكسندر الأول* التي ألهمتني مقابع قصته الحافلة بالمُدهشات..

ومؤلف الجملة الراسخة في ذهني( إحذر من الشخص الذي لا ينتقم منك، فهو لم يُسامحك ولم يسمح لك أن تُسامح نفسك) *جورج برنارد شو*

من حيث أني لن أكون إسماً بينهم .. يجمعنا شهرٌ حافل بالنجوم يتوسطه القمر .. فلم أكن يوماً نجمة لأحلم أن أصير القمر..

*أنا أبسطُ من ذلك بكثير ..*

(1)

**أنا**

*****

كائناً من أكون ..!

فإني كُتلةٌ متوازنة من لحمٍ ودم وبواقي مشاعرٍ تم بردها بأداة حادة هي البشر، يمتزجُ دمي بدماء أجدادي، ليكون ميراثي جيناتٌ تتشبثُ بقوة، بذات الوقت التي تدفعها تجاربي إلى مساكنها لتبدو ساكنة وتجتثُ مكانها في تصرفاتي ..

أن تطفو الصفات المُكتسبة على الموروثة مِنها .. مُغطيةً أكبر مساحة ومُغشيةً عن أنظاري أصالة منبعي .. فيكون الذنب حصيلة حاصل ..

ما بين نشوة السعادة والشعور بالذنب خيطٌ بسيط .. كالشعرة ما بين العقل والجنون ..

أخافُ الجحيم الذي ينتظرني بعد موطئ منزلي .. كأني حورية البحر التي ستموت إن عانقت أقدامها الأرض .. بينما هنالك فارسٌ بجواده الأبيض يُعلن صهيله أصالة فارسه ينتظر على حِفاف البحر .. فما كان مني إلا أن ساومتُ على زعانفي لأتلوى عاجزةً على شواطئ لا تأوي إلا الألم .. لم يعد البحر موطناً لي .. ولم تكن الأرض كما حلمت .. ولم يكن الفارس أصيلاً..!!

**الحرية ...!**

**أن تملك قيد نفسك وإن كنت سجيناً**
**والسجن أن يمتلكوا حريتك وإن كنت خارج القفص**

كانت أبواب الدراسة تقرع أجراسها لتنتهي تِلك الكتب المقتولة بين يديّ جثثاً هامدة في مكتبتي، لم تكُن كُتب الجامعة يوماً مشروع عمري، هي مُهمةٌ أزلية أرغمتني الظروف عليها .. دائماً ما أكون نهمة لِما هو خارج إطار الإجبار، أن تُرغمني على شيء! كفيلٌ لزرع كراهية تمتد لأمتار .. فالحرية وإن كانت مجرد كتب .. هي كُل ما أستطيع مُلكه .. *بإرادتي* ..

أحتفلتُ كثيراً حتى أحمرت قدماي وطار قلبي ليلامس السماء فرحاً.. كأني ختمتُ آخر همومي بشمعٍ أحمر .. وإن السعادة بسجادتها الحمراء تمتد أمامي تنتظر أن تُلامسها أقدامي وتنتهي بنهايةٍ طريقٍ يؤدي إلى القصر .. حيثُ سأعيش كما أحب .. (في قصر أحلامي) ..

لم أكن أعلم بأن تلك أقصى فرحةٍ تدخل أعماقي وتمتد إلى الأبد .. لا أذكرها فأبكي ولا أعانق سرابها لأشتاق ..

أما بعد:

فالآتي لا يُعدّ ولا يُردّ .. مصيرٌ آل إليه حالي .. فوقفتُ في نهاية طريقي المُغلق مكتوفة الأيدي .. وعينيّ إلى السماء ودموعي أمطارٌ موسمية .. تسقط حيثُ لا أعلم ولا أدرك .. وقد لا أشعر إلا بمرارتها عند أطراف فمي ..

حُريتي أطلقت سراحها على أعتابِ شخصٍ ما، لأدخل سجناً أبدي ووشماً يشي بعارٍ ما كُنتُ لأتصور يوماً إرتكابه وأنا من ولدتُ حُرة وارتأيت الموت حُرة .. لكن المبادئ تنسال كالماء في الغربال .. لينتهي الماء الذي في يدي ولا أحصله على الجهة الأخرى .. أن أنظر إلى نفسي فأجدني خاويةً على عروشي .. دون ظل... دون مستقبل .. مع ضريبة الحُب الذي كان مُحصلتي في حياتي ..

كانت الأقلام من حولي تلومني لإختياري اللون الأسود في كتاباتي وترك الملونة مِنها كما هي، بطولها المُعتاد وكبريائها اليافع، ألم يعلموا قط بأن الفرح لا يُكتب! .. تتشربها أعماقنا العطشة فلا يبقى من كأس السعادة ما يظهر، إنهُ الحُزن يا سادة .. ما يفور من قلب الكأس ويغطس بِهِ قلبي.. فيخرج كبركانٍ من نار تنساب حِممهُ على الورق .. إن الحُزن ينساب من قلوبنا كي لا يُعشعش فيها .. وتزقزق عصافير الألم كُلما جاعت ..

فلا تحملوني ذنب ما كتبت ..

كانت كُل الذكريات تتابع إصطفافاً إلى ذاكرتي في هذه اللحظة .. رؤية الدماء بلونه الأحمر القاتم والمُخيف .. ورؤيتك بلون الحب المُبهج .. أحمر كلون الدم .. لم يختلف اللونان ولم تختلف أنت .. **هُنا البداية وهُنا النهاية..**

أحببتك لتبدأ قصتي بِك إلى مالانهاية .. وتركتني لتنتهي قصتك بي إلى الأزل ..

**الصراعات التي تحدث داخلنا**
**إما أن تهوي بنا إلى القاع**
**أو تصعد بنا إلى القمة..**
**فقط مِقدار الإصرار هو ما يحدد مصيرك**

- أمي ...

بدأتُ بالصراخ أعلى صوتي أنادي أمي .. كأنها في قارةٍ أخرى أو فُقدت إلى الأبد .. ما كان مِنها إلا أن خرجت مُسرعة من المطبخ كسيارة إطفاءٍ فاتها الوقت لإطفاء الحريق تتجاوز كُل الإشارات الحمراء في طريقها .. فصفارة إنذاري دويها عالياً يصمّ الآذان ..

تضعُ مريلة الجلي حول خاصرتها ويداها تقطران ماءاً لم تجد وقتاً لمسحه وما إن شاهدتني حتى تمتمت بقلق:

-( ريما .. لَمَ تصرخين؟ شعرتُ أن الحرب قد قامت .. متى سيجد عقلكِ مكانه في رأسك!)

ضحكتُ بدلعٍ مُفتعل :

-( آسفة أمي ، إن التحكم بصوتي صعبٌ أحياناً .. لا أملك الكنترول المُناسب..)

قابلتني بغضبٍ يتخلله حنان أمي المعهود:

-( حسناً.. ماذا تُريدين؟ )

أقتربتُ منها وهمستُ بأذنها، لم أكمل ما بدأت حتى فغرت فاهها بدهشة والإبتسامة لا تُفارق شفتاي، أبتعدتُ عنها وهي ترشقني بنظرات العِتاب قبل أن تقترب مني وتصرخ:

- (هل جُننتِ ريما؟ بالطبع لا .. )

كانت نبرة (لا) ذات رنة أضعاف جاراتها من الكلمات لأدرك أن الأمر ليس كما ظننت. أمي بطباعها المزدوجة تمتلك كماً أكبر من الحُب لدرجة أصبحنا نظن أن إغداق الحب بهذا الكم أساسي كإدراكنا لوجود رأسنا يعانق أعلى أجسادنا .. فلم نُعطها حق ما تستحق .. بالذات- أنا -

أستنزفتُ مشاعرها مُذ كُنتُ طفلة وأكملتُ إهدار مشاعرها الرقيقة حتى بعد أن تجاوزتُ العقد العشرون.

رفضت أمي طلبي رُغم إلحاحي المُستمر(علينا دوماً تصديق فطرة الخوف التي تُصدر من أمهاتنا.. دون أن نسأل عن الأسباب ..)

ذهبتُ إلى غرفتي مهرولة ومُصدرة صوت أفأفة وغضبٍ يتهدّج بين أوتار صوتي:

- (إن الأمر لم يكُن صعباً.. لكنكِ لا تريدين سعادتي..)

إنتهى صوتي وأنا أقفل باب الغُرفة بقوة، لا ذنب للباب في غضبي .. لكني أشعر أن صعقة الباب القوية ترجمةٌ دون كلمات تصل لمن أغضبنا ، قد تُشعره بالغضب أو الندم !.. كم أتمنى أن تشعر أمي بالندم فتطرق باب غُرفتي لتسمح لي بما أردت ..

جلستُ على سريري مُتربعة القدمين ويديّ تغمران شعري الساقط على وجنتي كالشلال، فكرتُ قليلاً.. *لماذا يُعدّ ذاك المكان ممنوعاً .. ما من خطرٍ يُحدق .. إن الخطر وهمٌ ننسجه عندما نُريد .. على والديّ أن يعبثا قليلاً بهذا الوهم علّني أتحررُ قليلاً.*

لكن الأمر بأكمله ليس إلا تُفاحة آدم المُحرمة، كُلما منعوني عنها كُلما كانت بؤر فضولي أكثر تمركزاً.. فليرحموا قلبي .. *أدخلي يا أمي وأخبريني بموافقتك قد أتوقف عند تلك النقطة ولا أكمل .*

لكن أمي ترحمني بكل شيء.. إلا ذاك الطريق الذي تُقفله بمجموعة أوامر لا أملك لها مِفتاحاً، فلم تأتِ ولم تُفلح إبتساماتي لأهون الأمر عليها ولا حتى غضبي المُفتعل .. لن تلين أمي ولن أعزف عن قراري ..على إحدانا التنازل وإلا بقيت المعركة بيننا إلى الأبد ..

(2)

**تُفاحة آدم**

## قد يصنع التاريخ فارقاً في حياتك

## فلا تستطيع نسيان التاريخ ولا الفارق..

قررت أن لا يكون قرار رأسي من أحد، وأن أجازف بكل ما أملك. مُنذُ البداية أعلم بأن الأمر لا يستحقُ كُل هذا الخوف، عائلتي تُبالغ بخوفها عليّ منذ ذاك اليوم المشؤوم عندما كان وقوع أخي من فوق طابقٍ ثالث الموت الأول في عائلتنا، وما كان من سوء حظي إلا أن كُنتُ الحُضن الذي يموت بِهِ، مُغتسلاً بدمه ويُغشي عيناي بلونٍ قاتم يكاد يكون موتي، كان الأمر صعباً لدرجة أن أفقد الحياة على الأرض لمدة ثماني أيامٍ بلياليها وتهيم روحي دون ملجأ .. لم يكُن من الأمل ما يكفي أن أعود على قيد الحياة .. إلى أن عُدت فاقدةً جُزءاً من ذاكرتي - تِلك المُتعلقة بالحادثة- وضباباتٍ تأتي على شكل كوابيس .. وجه أخي والدماء التي ملأت يديّ وصوتي الذي كان يغوص بحلقي فلا أسمع حسيسه ..

تجربة واحدة كالسكين في الخاصرة، كُلما أردت التحرر غُرزت بقوة مُذكرة إياك أن الخطر مُحيطٌ بِك، وأن الموت حادٌ حين يقتلع من نحب مُتشبثةً جذوره في قلبك .. تجربةٌ واحدة جعلتهم يشدون وثاقي كأن طريقة الموت ميراثٌ لا بُدّ من قحر طريقه .. وأن نهايتي ستكون كنهاية أخي في ذات المكان .. إلى أن أصبح المبنى بطوابقهِ الثلاثة كتفاحة آدم مُنعتُ دخوله مُذ كُنتُ طفلةً لا تتجاوز العاشرة من عمرها .. في حين كان أخي الوحيد يكبرني بسنتين ..

*ذاكرتي الآن تُلجلج كالمخيض في الشكوة .*

البِناء المكون من ثلاث طوابق يبدأ بسورٍ أبيض طويل يُخفي الطابق الأول بكل وقار ويُظهر بوضوح الطابق الثاني والثالث حيثُ سقط أخي، والبوابة الحديدية تُغطي مسافة مترين حين بدأ الصدأ يأكل أجنابها وتُخفي الطريق المؤدي بداخلها فلا أبصر مِنهُ شيئاً، بالرغم أن خالتي -أخت والدتي- تسكنُ بالطابق الأول إلا أني حُرمتُ قطعاً من دخول أسوارها والتمتع بحديقتها الغنّاء بجميع أنواع أشجار الفاكهة اللذيذة التي تترامى أغصانها فوق السور، وحُرمتُ أن أذهب مع أمي كُلما أرتأت زيارة أختها، رُغم إلحاحي الشديد إلا أنها كانت تتركني مُجثيةً فوق رُكبتيّ والدموع نهرٌ مستقيمٌ على خدي.. ويكون صُراخي أقرب للنشيج كبكاء أرملة، إلى إن أعتدتُ على الأمر مُنذُ سنين وأقتصرت أموري على رجائها بشتى الطرق.

أن تُحرم من شيء كفيلٌ أن يبقى عُقدةً ترتص أطرافها حول عقلك ويبرز لها كرشٌ مُستدير يبتلع كُل أحلامك بدقيقة..

إن الحل الوحيد، هي أكل التفاحة وترك مصيري منوطاً بالقدر، سأوبخ مرةً لكني لن أموت، ولن أحرم جنة أمي لأن الأمر كُله مُجرد خوفٍ يتلثم وما أن أزيل اللثام حتى تعود المياه إلى مجاريها .. نُقطة وسيبدأ سطرٌ جديد إسمهُ الحُرية .. *حرية النفس قبل الجسد*.

أستيقظتُ بعد أن وشت الشمس بأشعتها وأخترقت نافذتي المُلازمة لسريري، أخترتُ هذا المكان لأنام فيه لأن الشمس أحدّ من صوت المُنبه .. لا يُمكن أيقافها ولا وضع غفوة لمدة 10 دقائق .. تحرق بؤبؤة عينيك قبل أن تُدرك حرارتها ..

كان اليوم الأول في عملي، كون والدي مديراً في بنك الأردن، ودراستي التي تتابعت تقليداً بوالدي في المُحاسبة. عالم الأرقام لا يحتمل الخطأ ويُصبح دماغك لفترةٍ طويلة أرجوحةً تستمتع الأرقام بالتأرجحُ فوقها.. فتشعر أن دواراً يُصيبك كصعود السفينة في ملاهي الجبيهة، الصراخُ لا يُجدي عندما يكون التحكم بيد غيرك، إلى أن تعتاد على الأمر.. ويصبحُ الصعود كدغدغة بسيطة من الهواء، وها أنا اليوم بعد إن أعتدتُ عالم الأرقام أصبح بمقدوري بكل بساطة أن أجلس خلف مكتب الكاشير لتبدو الأرقام صغيرةً أمام خبرتي في الحِساب، وتعلو على زبوني ثِقةً عمياء لمحاسبٍ يُتقن عمله وآلةٍ أمامه لا تُخطئ،

اليوم أحمل كماً كبيراً من التفاؤل، فعملي يعني إستقلالي... أن أملك زِمام الأمور وأن أتحمل المسؤولية يُعطيني ثقةً بنفسي تعلو على ضُعف شخصيتي في التعامل مع الناس بشتى أدوراهم في الحياة، أن أتجاوز خطاً نحو المُجتمع يعني بأني أتقدم وأتجاوز عُقدةً من ضِمن عُقدي المتشابكة.

أرتديتُ قميصاً أبيض بورودٍ حمراء تنتشر على ضِفافه وفوقه جاكيت رسمي لون أسود وبنطال قماش اسود. وقفتُ أمام مرآتي كثيراً .. أتأمل طفلةً تجاوز طولها 163 وبدأ وزنها يصل ل 55 ..

عيناي فقط لم يتغيرا (ميراثي من أمي) واسعتان وعميقتان .. مجرةٌ سوداء تسقط في إناءٍ من حليب .. حتى يكون الناتج حور العين ..شدة بياض العين مع شدة سواد الحدقة- *هكذا سمعتُ يوماً كما أظن* – وهذا ما يزيد فُرص غروري بعيناي وثقتي الزائدة بِهما .. فغرور المرء مُستمدٌ مما يسمعهُ من مديح ..

وشعري كشلالٍ ينساب بخجلٍ على كتفيّ وصولاً لمنتصف ظهري بلونٍ يميل حيناً للقرمزي في عين الشمس وحيناً يتحول أسود تحت الظِلال.. أحببتُ رفعهُ اليوم على هيئة ذيل الفرس لُيعطيني طابع العمل والجدية.. ليومٍ أول عليّ أن أكون بأتم إستعداد ..

دخلتُ البنك في حين كانت العيون كخياطٍ يهمّ بأخذ مقاساتي لأجلِ ثوبٍ جديد، هناك الفتاة التي تجلس خلف الكاشير في الوسط وعلى جانبيها شابان وسيمان، شقراء لا يشوب شعرها أي لونٍ آخر، ولها عينان عسليتان .. بسيطة المظهر لكن دون جاذبيه، ضحكت في سري *الجمال ليس شعراً أشقر وعينان عسليتان* لكن على ما يبدو قد أتمت بدقة تفصيل هندامي خلال ثواني لتكمل عملها دون أن تلتقط رادار عينيها تحركاتي، وذاك الشاب الذي يجلسُ على يمينها أسمرُ البشرة شعرهُ أسود ويرفعهُ بشكلٍ خفيف مع لمسات الجل السحرية، عيناه أيضاً تتفحصاني بدقة وأنا أقتربُ مِنه، كان إختياري له بسبب عيناه اللتان لم تُفارقاني مُذ لحظة دخولي، مُهديني ثِقةً وارتياحاً لا مثيل لهما، بينما الآخر على الجانب الثاني، كأني إعلان في وسط مسلسلٍ يُحبه .. ظهوري يعني إفساد متعته ..

-(مرحبا .. أنا ريما إبنة ياسين عبد الله ..)

ما إن ذكرتُ أسمي حتى أعتلت الإبتسامة على وجهه ووثب واقفاً وهو يُجيبني:

-( أهلاً ريما .. صباح اليوم أخبرنا والدك بقدومك .. أنا عماد ..)

-( شكراً عماد على ترحيبك المُريح.. فيما يبدو زميلك قد أنهى للتو جنائز أخيره لحس المُشاركة)

ألقى عماد نظرة خاطفة إلى زميله ثم ضحك برقة:

-(حسناً .. في الحقيقة .. لا أعلم إذا كان يحق لي قول ذلك .. لكن فادي لا يُحب الموظفين الجدد .. ولا يُعير إنتباهه لأحد .. إنه صارمٌ إلى حدٍ ما ..)

قابلتهُ بإبتسامه مُرغمةً إياه على تغيير مجرى الحديث:

-( أريد مقابلة والدي .. في الحقيقة بالرغم من أنه مديرٌ في البنك فأنا لا أعلم أين يكون مكتبه..)

-( سأوصلك إلى هناك في الحال..)

أشرتُ بيدي:

-( لا أريد إزعاجك .. فقط أخبرني أين، وأنا أستطيع الذهاب بنفسي ..)

-( حسناً .. كما تُريدين .. في آخر الطريق على يمينك .. إصعدي إلى الطابق الثاني .. مكتب والدك الثالث على اليمين ..)

-( شكراً لك .. )

تركتُ إبتسامته واسعة المدى بين شفتيه ومضيتُ إلى والدي، طرقتُ الباب بِخفه ليقابلني وجه أبي البشوش .. يُغطي الثلج الأبيض كُل شعره وجبينه كقنديل مُشع، قسمات وجهه صارمه لكن الإبتسامة غالباً ما تجتاح معالم وجهه ليرتاح كُل الناس عندما يقابلوه - هذا أبي - بكل بساطة يستطيع مسك زِمام الأمور في منزلنا، يقبض على جمر الغضب وبصمتٍ مُبهم نخاف مما قد يُخالج قلبه، فنطيع قسراً أوامره قبل أن يأمر، *أن تعمل في ذات المكان الذي يعمل فيه والدك هذا يعني أنك في منطقة الألغام ما أن تطأ قدمك لُغماً لن تكون حركة قدمك إلا موتك*، يقشعر بدني كلما تراءى في ذهني أي خطأ قد يصدر مني يُنفيني بكل بساطة عن العمل، عليّ أن أكون حذرة تماماً ..

أتاني صوتهُ مُرحباً :

-( أهلاً بأبنتي العزيزة ريما .. وأخيراً حان الوقت أن تكوني معي..)

أبتسمتُ بخجل وأنا أجلس بالمقعد المُقابل لمكتبه:

-( وأنا أيضاً سعيدة .. جداً .. يا أبي ..)

- ( لستُ والدك .. أنا المدير ..)

ضحكنا معاً،

- (نعم صحيح ، أستاذ أبو نبيل .. هل يُمكنني أن أعرف أين مكاني؟ )

لم يُجبني بل تناول هاتفه وأردف يقول:

- (ستأتي أبنتي إليك .. أريد منك إيصالها إلى مكتبها .. شكراً لك)

أغلق الهاتف بهدوء وقال:

- (هنالك فتاة شقراء في الأسفل.. أعتقد بأنك رأيتها ..)

أشرت له بالإيجاب وأنا أبتسم *بالطبع رأيتها فرأسها كقرص الشمس* ، اكمل يقول:

- (على يسارها هنالك موظف أسمه فادي..)

*فادي!! ما الذي يُعيدني إلى ذلك الشاب المُتعجرف*، قاطع والدي أفكاري وإبتسامتي:

-( أخبريه بأنكِ ريما وسيوصلك إلى مكتبك .. هيا يا ابنتي أذهبي وباشري عملك ..)

تجنبتهُ في البداية .. فكان الورقة الرابحة في اليانصيب ولم يكن رِبحي إلا دَيناً ينساب بين يديّ، لأحتاجه أنا قبل أن يحتاجني، فلا يُبدد ثقة أمرأةٍ بنفسها سوى رجلٍ مغرور كفادي، ولا يسحق كرامتها إلا أن تذهب إليه بقدميها لُيسدي لها معروفاً *بالتأكيد مكتبي ليس في المريخ أستطيع الذهاب لوحدي كان علي أن أخبر والدي بذلك*، لكني الآن أمامهُ وجهاً لوجه، لم يراني بعد!! هل يعامل الزبائن كذلك! أم ان الأمر مُقتصرٌ عليّ.. قد يكون السبب أن والدي وبخه يوماً فسنحت لهُ الفرصة لرد الضربة أمام وجهي، بصوتٍ أشج يكاد يكون صوتي:

-( أحم .. مرحبا..)

وأخيراً رفع رأسه من بين أوراقه وحساباته لنلتقي وجهاً لوجه:

- ( أهلاً..)

أهلا! إنه لوقحٌ حقاً، دون سؤال أو ترحيب يُرجى منه،فقط أنتظرني أن أتكلم، لملمتُ بواقي كرامتي المُهشمة على الأرض وعنفواني الأجّل الذي كان مُبهِجاً أثناء قدومي وأردفت قائلة:

- (أنا ريما ، أخبرني والدي أنك ستوصلني إلى مكتبي.. إذا .. تكرمت؟)

كان يريد أن يتأفأف .. حقاً بدا عليه ذلك ...إنه يكبت إختناقه معي .. *لم نتعرف بعد ما بِك؟*

كان صوت عقلي يتولى الحديث الآن..إلى أن تكرم الأخ وتزحزح عن كرسي العرش، أشار بيده لأتبعه وكنتُ خلفه تلميذةً خلف معلمها، لا ينقصني إلا حقيبة وكتب ليكتمل المشهد المأثور،

في الرواق كان هنالك غرفةٌ كبيرة وفيها العديد من المكاتب المُلازمة لبعضها البعض، الجميع منهمكون في العمل .. موظفين وموظفات .. زبائن ينتظرون على مضض، وأجهزة تلمع بوجه صاحبها وأوراقٌ مُكدسة على المكاتب، *هُنا سيكون عملي* .. تنفستُ بعمق ويد فادي تتعدى وجهي لتشير إلى مكتبي في الزاوية الأخيرة من الغرفة .. مكانٌ مُريح كما أني أحب مُلازمة الحائط ليكون لي جارٌ واحد بدل أن أكون مُخللاً بين أثنين .. ففكرة أن أبادل الحديث مع الجميع لم تكن لتطرأ في بالي أبداً .. *صمتي هو رأس مالي* .

-( إلى جانبك موظفة أسمها بتول .. ستتولى الإشراف عليكِ .. وأي إستفسار ستكون بمثابة دليلٍ جيد ..)

وأخيراً سمعتُ صوته.. كان صوتاً لطيفاً بحق، لم أتوقع أن تكون أحبالهُ الصوتية رقيقة .. كانت ملامحه أقرب لصوت ناي مبحوح في يد جاهلٍ لثقوبه، لكن الآن صوته نايٌ في يد فنان،

قابلت عينيه بنظراتٍ خاليه من أي إنفعال، أعتقد بأن طوله 180 ووزنهُ يُقارب الثمانون .. جسدٌ مثالي لوجهٍ جميل .. عيناه بلون السماء وبشرتهُ تشي قسماتها لرجلٍ عاش طفلاً مُدللاً لم تمسس الشمس وجههُ كثيراً لُيقارب لونه البياض، تركني وذهب لأمضي إلى تجربتي الأولى في العمل، التجربة الأجمل والأكثر جدّيه ..

(3)

## جنون

## الأحلام ..

## هي مرآتي الصادقة لِكُل ما أُخفيه بِداخلي

كان الظلامُ مُحيطاً بي، لا أبصر من طريقي أي شيء، فتحتُ حدقة عيني لكي أدرك في أي عالمٍ انا الآن، كان الخوف بوصلتي وغشاوة المجهول تُحيط بي. وقعت وشعرتُ أن أقداماً خلفي تمشي ببطئ.. تسمرتُ مكاني ألهَثُ باقي أنفاسي التي شعرتُ بأنها الأخيرة، هل فارقتُ الحياة! وقفتُ على قدميّ ونظرتُ خلفي لأرى ظِلاً طويلاً ومن خلفه بُقعة ضوء تبدو كالشمس، هُنا ضاقت عيناي من خيوط الضوء النافذة إليها،

-( ريمااااا..)

فتحتُ عينيّ لأرى وجه ريماس مُلاصقٌ لوجهي وهي تصرخ، وبقعة الضوء في الحلم لم تكن إلا أشعة الشمس التي كادت أن تحرق عينيَ، همستُ بصوتٍ غارقٌ بالنعاس:

-( أغربي عن وجهي.. أريد أن أنام ..)

وضعتُ غطائي فوق وجهي إلى أن سمعتُ صوتها يقول بهدوء وبنبرة مُكايدة:

- (حسناً .. سأذهب.. ولن أقول لكِ أن اليوم هو العيد .. وأن ذاكرتك قد أتلفت جزئياً بسبب النعاس والسهر حتى منتصف الليل .. أنا ذاهبة وإياكِ أن تأتِ..)

وثبتُ من سريري وأستندتُ على ركبتيّ وشعري كالغابة جُزت أغصانها للتو:

-( كيف نسيت؟ كم الساعه .. هل فاتني شيء..)

في الحقيقة كُنت قد حضّرتُ نفسي لشيءٍ معين.. كأفلام الخيال عندما ينتظرون تطابق الشمس مع آلتهم الزمنية .. فهذا وقتي المُناسب ولن يأتي إلا مرةً في السنة ..

طمأنتني أختي وهي تُعانقني وتُقبلني بلطف على وجنتيّ:

- (الساعة السابعة .. كُل عام وأنتِ بخير .. ريما العزيزة..)

أنبسطت سرائري وبادلتها العنِاق بعناقٍ أشدّ :

-( في المرة المُقبلة كوني لطيفة.. رأيتك شبحاً في الحلم بسبب هجومك علي كالأسد..)

ضحكت بصوتٍ عالٍ وهي تحاول التنصل من عناقي الشديد:

-( أتركيني .. سأوقظك في المرة المُقبلة على صوتٍ أعلى ..)

ما إن أتمت جُملتها حتى غادرت غرفتي بخوفٍ مُندمجٍ وضحكاتٍ عالية وتهديدي المُستمر يلامس ظهرها.

ريماس حبيبتي المُدللة، الآن تتم الثانوية العامة في مجاله العلمي.. مجتهدة في دراستها على عكسي تماماً وتطمح أن تكون طبيبة .. *ستكون فخراً لي حقاً..*

نهضتُ بنشاطٍ غير معهود، مررتُ على والديّ وهنأتهما بالعيد وتناولتُ قرصاً من خبز الفرن مع كأس شاي كان بدايةً مِثالية ليوم العيد، فهذا اليوم هو التصالح مع الطبيعة قبل الإنسان .. حيثُ تسقط أوراق الحقد وتستبدل بأوراق المحبة، في هذا اليوم نكون قلباً واحداً في عِدة أجساد.. نزور بعضنا ليومٍ مُبارك يجمعنا على مائدة الحُب..

وها قد بدأت خُطتي من الآن وعلي تنفيذها .. هل عُمري اثنان وعشرون! اليوم سيكون عمري العاشرة فقط .. عندما وقفتُ عند ذلك الخط .. عليّ أن أعوض اثنا عشر سنة بدل فاقد ..

*اليوم فقط..*

أعلم أن والدتي ستطيل المكوث عند خالتي أروى فهي مريضة وستبقى إلى المساء حيثُ أكون قد أتممتُ مُهمتي وأتناول غدائي في المنزل.. كأن شيئاً لم يحصل ..

*هل أنا مجنونة! نعم.. بل إن الجنون جزءٌ من الحياة ، 100 صفحة من أصل 300 في كِتاب أصول الحياة.*

أرتديتُ قميصاً بني بقبة شكل مُربع وأكمامهُ تُغطي يديّ بإنسياب، ورسمة قطة على شكل حبيبات سترس فضية لامعه، وجينز أزرق غامق، ثم أسدلتُ شعري بشكل كامل مُكتفيه برفع خُصلة من شعري كانت تُغطي عيني عبثاً، رسمتُ بقلم الكحلة خطاً أسود رفيع تحت عيني وأحمر شفاه زهري فاتح. حملتُ حقيبتي التايجر وخرجتُ بعد أن أقنعتُ أختي بكامل خبث أني بزيارة إحدى صديقاتي التي تُشاركني العمل في البنك..

*الطريق إلى الجنون يبدأ بخطوة..*

**لم أشأ أن ألتقي الحُب يوماً**

**ولم أبحث عنهُ يوماً**

**ومع هذا لم أنتظره أن يأتي**

**بل أنا من طرقتُ بابه...**

قدتُ سيارتي بهدوء .. وأنا أتأمل شوارع عمان المُزدحمة .. اليوم العيد ويكاد يكون الطريق كجيوش النمل في ساحةٍ مليئة بالعسل.. كان علي أن أقود بهدوء .. بالرغم من قيادتي لسنتين إلا أن رُهاب السيارات يُطاردني .. ويجعلني أسيرة مخاوف لا تنتهي .. حادثٌ واحد سيكون من حُسن الحظ أن أموت .. لكن أسوأ الإحتمالات هي تشوهٌ أبدي يجعلني أتمنى الموت كُل يوم .. كابوسٌ مُخيف يجعلني أقود كمتدرب في اليوم الأول ..

بدأ قلبي يدق أجراسه بقوة، مُعلناً أن درس التحدي قد بدأ، ركنتُ سيارتي أمام البوابة وأنا أتأمل قسماتها التي لم تُبارح ذاكرتي مُنذ الطفولة .. ذلك الجُزء الذي لم ينبتر ..

خالتي سهام لا تزورنا إلا نادراً، ولم أرها مُنذُ سنين.. هل يكون هذا المكان سجناً لها! ما الذي يمنعها من القدوم إلينا .. بالرغم أن والدتي تزورها كُل فترة..

طردتُ الوساوس التي أخذت مكانها في عقلي وركزت بكذباتي العديدة التي سأتلوها على خالتي.. دور البريئة في فلم بائعة الكبريت .. ما عليّ إلا نظرة حُزن وكلماتٍ كالمتاهة تصمت عند أول كلمتين ثم تُخفي عن أمي قدومي إليها .. كل شيءٍ كما هو مُخططٌ له ... هكذا تخيلت وأقتنعت ..

الخيال أحياناً يكادُ يكونُ جُزءاً من الحقيقة، ما نرسمه في عقولنا نتوقع لمساتهُ على أرض الواقع، ليعلو حائطٌ بعرض البحر وتصدم به كُل أحلامنا ونهوي على الأرض جاثمين...

*هذا عندما أصبح واقعي شحنةٌ كهربائية أيقظت قلبي من سبات الأحلام ..*

كان باب الحديد موصداً بشدة إلا أن باباً صغيراً بمنتصف أحشائه يفتح جُزءاً من فمه أمامي، فتحتُ الباب بهدوء كأن الوحش سيلتقطني حالما أقطف الوردة .. جزءٌ ثاني من الجميلة والوحش حيثُ الجميلة تعلم بوجود الوحش مُسبقاً وتعلم أن قطف الوردة مُحرمٌ عليها..

ضحكتُ في سري وأنا أروي لنفسي قصصاً من رحم الخيال .. حيثُ يكون خصباً ويزرع شتى أنواع الأفكار اللامنتهية ..بدءاً من الوجود وإنتهاءاً بالموت ..

كانت الباحةُ واسعة للغاية .. تضمُ أشجار الفاكهة بشتى أنواعها .. كما تصورتها من الداخل لكن مع لمساتٍ جمالية .. يبدو أن خالتي تزرع الأشجار بدل إنجاب الأطفال .. والأزهار المترامية على أطراف السور بناتها العزيزات ..

تقدمتُ إلى الأمام بخطواتٍ مدروسة .. كرحلة طالبات المدرسة إلى مُتحف.. كُل جزءٍ يبدو مألوفاً بالرغم أن أجزاءهُ لا توجد في صناديق الذاكرة.. هو فقط الإحساس من الداخل أنني كُنت في هذا المكان ذات يوم .. كأن روحي المتجولة تُعطيني إنطباعاً أنها لمست هذه الأماكن قبل جسدي ..

أبتلعتُ كماً كبيراً من الأكسجين وأنا أصعد البهو إلى الطابق الأول ليُقابلني أول باب من خشب لونهُ بني فاتح أنيق .. والجرسُ إلى يمينه يعني هلاكي .. فكرتُ كثيراً

*ما الذي سأكسبهُ من دخولي إليها.. بإختصار – لا شيء – معركةٌ بلا جيوش ولا مخاسر .. إنه الفضول اللعين الذي أستولى على عقلي ..*

أن تفتح باباً من ذكرياتك .. هذا يعني أن تواجه هذه الذكريات فإما أن تغلقها مرةً ثانية وإلى الأبد .. أو أن تجذبك وتوصد عليك الباب .. *علي أن أتوقف عند هذه النقطة وأعود..!*

قُلت هذه الجملة وصوت الجرس يعبث في المنزل من الداخل،

*قرارٌ صحيح في وقتٍ خاطئ!*

أغمضتُ جزءاً من عيني .. كأن فلم رُعبٍ سيبدأ في الحال .. وإقتصاص جزءٍ من النظر يُخفف حدة الخوف القابع في قلبي ..

فُتح الباب ..

أين خالتي ! لم تظهر أبداً حتى أنفرجت عيناي على وسعها والدهشة تملؤ ملامح وجهي .. يا الله يبدو أنهم باعوا منزلهم .. وأنا بقيتُ طوال هذه السنين رهينة هذا المنزل المجهول .. أمي لم تخبرني أن المنزل قد أسر من قبل أناسٍ غرباء .. بالتحديد شابٌ لهُ ملامح غربية أكثر من عربية .. إيطاليا!! .. لن أتكلم وسأنسحب بهدوء . ما إن أستدرت حتى أنتشلتني ضحكته من ظهري وشلّت حركتي وقدمٌ تُسابق قدم ..

عُدت إليه وجهاً لوجه .. حتى ظهرت أسنانه البيضاء من بين شفتيه .. رحتُ أراقبه بصمتٍ مُبهم .. إلى أن نطق أخيراً:

-( كُل من يأتي إلى هنا .. يُعيد النظر في وجهته .. لكني أبنها يا ناس .. يجب أن أعلق صورتي على باب المنزل بجانب صورة والدتي ..)

ضحكتُ بصمتٍ يكاد يكون ضوضاء في معدتي الصغيرة .. أصبحت الآن الدفة بيدي.. يبدو أنه لا يعرف أحد ( أبن خالتي سهام ).. وهذا يُعطيني نقطة لصالحي ..

- ( أنا آسفة حقاً .. أتيتُ لرؤية خالتي وتهنئتها بيوم العيد .. على ما يبدو أنها ليست في المنزل.. )

قُلتُ جُملتي الأخيرة وأنا أتلصص النظر من خلف ظهره، بدعوةٍ في ظهر الغيب أن لا تكون موجودة .. *الآن هروبٌ سريع قبل أن يسألني عن أسمي* ، أبتسمتُ بخفة وأنا أشير له بالوداع .. لكنهُ أوقفني سريعاً .. في حينها بدا ماكراً وسيوقعني في المشاكل:

-( هل تُريدين أن تقتلني أمي ! بالتأكيد لن تذهبي إلا بعد شُرب فنجان قهوة ..)

الآن السفينةُ كلها في صالحه .. وأنا أحتاج فقط قارب النجاة .. !

ما كان مني إلا قبول دعوته وأنا أدعو الله أن لا تأتي خالتي وأن لا يسألني من أنا .. وبجانب الدعوات أفكر أسم من سأنتحل في لحظة سؤاله ..

كانت كُل حواسي تسجل ضربات ترجيح تُصيب أعلى رأسي .. لأشعر بدوارٍ خفيف دوماً يُصاحب لحظات خوفي المُبطنة ..

تبعتهُ إلى أن أشار لي بالجلوس في الصالة، جلستُ على كنبةٍ مُنفردة مُتأملة المنزل من حولي بعيونٍ إستكشافيه، صورةٌ كبيرة لخالتي وأبنها .. وصورةٌ أكبر للمرحوم زوج خالتي، وآنيةٌ من فخار تُزين طاولةً أنيقة بلون العاج وفوقها مرآة على شكل نصف دائرة في أعلاها..

*مرآة!*

إنها نقطة ضعف المرأة مُنذ إختراعها .. فكان جسدي بنفس سرعة عيني ووثبتُ واقفةً أمامها أسرح شعري بِخفة قبل قدوم هذا القريب الغريب .. والذي تربطني بِه صلة دمٍ فقط .. لكن صوته هزّ عروق جسدي وهو يقول:

- ( جميلة ..)

*الوحش!! هل قرأ أفكاري؟..* أكمل مُعتذراً بعد أن شاهد ردة فعلي:

- ( آسف لم أقصد .. لكني تحدثتُ بدل المرآة ..)

ضحكتُ وأنا أتدارك انفعالاتي الغبية التي أعطت إنطباعاً سيئاً مُنذ الوهلة الأولى .. وأجبت بغرور:

- ( لا تعتذر .. فقد قُلت الحقيقة عن لسانها ..)

وضع قهوتي أمامي وأنا أجلس وضحكةٍ كتمها بين شفتيه والله يعلم كم حجمها في قلبه .. فأنا أفتعل غروراً لا داعي له .. لستُ جميلة إلى هذا الحد!

- ( هلّا أخبرتني أين ذهبت خالتي؟)

رشفةٌ من فنجانه ثم أجاب:

- ( لم تتعرفي بعد إلي .. هل مللتِ مني بهذه السرعه! )

*لا فالأمر أكبر من هكذا إحتمال .. إنه الخوف يتخبط بأمعائي ..*

- ( لا .. إنه مجرد فضولٍ لا أكثر .. وإن كانت ستطيل الخروج؟ ..)

- ( حسناً .. لقد قالت بأن أختها مريضة وستذهب لزيارتها ثم تعود ..)

*هكذا الأمرُ إذاً .. نقطة ثانية لِصالحي .. فهي لن تأتي إلا بعد ساعاتٍ من الآن ..*

- ( لم أعرفكِ بنفسي .. أنا محمد ...)

*السؤال التالي من أنتِ؟؟ هُنا علي حذف إجابتين ثم الإستعانة بصديق أو أن أترك الامر لضربات النصيب ..*

*صمتٌ بإبتسامةٍ مُغلفة بشرائط ملونة من الخُبث* .. علّ إبتسامتي مصيدة لطيفة لسؤالٍ آخر غير السؤال الملغوم .. إلى أن أتى السؤال القاضي وأنا لا زلتُ في مراحلي الأولى :

- ( لم تُخبريني عنك! أعلم بأنك إبنة خالتي .. لكن أي واحدة منهن وما أسمك .. في الحقيقة يبدو أن الأمر محرجٌ بالنسبة لي ..)

تقدم إلى الأمام كمن يبوح بسرٍ خطير قبل موته بدقائق، وهذا ما منحني دقائق أخرى أفكر فيها بالتنصل من هذا المكان، أظهرتُ لهُ مدى إستماعي وكُل حواسي تتجه إليه، أكمل يقول:

- ( أنا لا أعرف أحداً هُنا .. ليس فقط أنتِ .. بل الجميع ..)

كان الأمر واضحاً دون أن يتكلم، خريطةٌ كُتب عليها كل الأماكن بالتفصيل فلا أتوه عن وجهتي، أجبته بصوتٍ لطيف كُطبيبة نفسية في جلسةٍ أولى:

- ( لا بأس ..يبدو أن إنشغالك كان الحاجز بينك وبين الناس.. إن الأمر بسيط ..)

عاد إلى مقعده كأن كلماتي أصابت جُزءاً من الحقيقة، رغم أن الحقيقة لم تكن كذلك، نظر إلي بإمعان ثم قال:

-( أنا جزءٌ غير مرئي .. لدرجة أنكِ تظنين أن الإنشغال ما يُبعدني عنكم .. بينما الأمر مُختلفٌ تماماً..)

نظرتُ بدهشة ملؤها العديد من الأسئلة وكان واضحاً من حاجبيّ مدى توهاني في كلماته.. إلى أن تدارك صمتي وأكمل بعد إبتسامةٍ بنصف خد:

- ( لا شيء مهم .. أنا أسافر كثيراً .. وإن لامست قدماي الوطن تكون الخطوة الثانية في وطنٍ آخر .. مُنذُ الطفولة أكملت دراستي في كندا حيثُ يسكن عمي والآن أنا أعمل بذات الشركة التي يعمل بها .. )

الآن بدا الأمر واضحاً .. أنا لا أعلم وهو لا يعلم .. جيدٌ جداً فكلانا تائهٌ بالآخر أكثر مما ينبغي ..

قابلتهُ بإبتسامةٍ تلتها رشفةٌ من فنجاني الذي يكاد أن يبرد وقلتُ له أمثل دور المُتعاطفة:

- ( لهذا أنا أحب العيد .. فهو يقطع المسافات ليلتقي كل شخصٍ بأحبابه .. قطعتَ مسافةً طويلة لأجل والدتك .. وهذا شيءٌ جميل ..)

سرح في فكره.. كأن بُقعةً غير الأرض تعيش أفكارهُ فيها .. إن غربة الروح تفوق غربة الجسد .. أن تُقابل أشخاصاً تبدو أجسادهم كتماثيل من عصور الأغريق وأرواحهم تحوم في عصرٍ غير عصورهم .. كان لطيفاً إلى حدٍ كبير وتائهاً إلى حدٍ أكبر .. وأن أغوص في أعماقه قد يودي بي إلى الهلاك ..

غصتُ بأفكاري كما كان هو، لكن إرتباطه بالواقع كان أشد وئاماً مني، فأنتشلني بأطراف الكلمات من غياهب ظُلمتي :

- ( لا تُفكري كثيراً بقصتي .. أخبريني الآن عنكِ .. علّ الكلام يكون لطيفاً وتعود الإبتسامة إلى مكانها ..)

لقد حوصرت وأنا مجردة من أي سلاح، تتابعت أنفاسي بهدوء.. مُفتعلةً حالةً لستُ فيها .. وعيناي تبحثان والغريب أنهما لا تتجولان سوى في مُقلة عينيه .. حيثُ أختل توازني للحظة وأبتسم هو للحظةٍ أخرى منتظراً إياي أن أكسر صمتي .. والذي هو رأس مالي .. تحاملتُ على نفسي .. فالكذب آخر طريقةٍ أستخدمها في أي ورطةٍ أوقع نفسي بِها .. الكذب يأخذ منا أكثر مما يأخذُ من غيرنا .. فحبلهُ القصير قد يلتف حولنا كأفعى الأناكوندا ويحبس الأنفاس قبل أن يبتلعنا .. أبتعلتُ نفساً آخر شعرتُ بجريانه في حلقي ثم أجبت:

- ( أنا تالا وأمي.. هي خالتك المريضة أروى ..)

بدهشة واضحة:

- ( حقا! هل هي بخير؟ ما الذي أتى بِكِ إذاً !)

بحماقةٍ تفوق الوصف أنطلقت الكلمة من لساني دون أن أعي حجمها إلا بعد دويها في الهواء:

- (تُفاحة آدم ..)

لم يتكلم بل تولت شفتاه بالتحرك دون نطق كلمة، يبحثُ عن سؤالٍ مُلائم، أو أنه يُحلل كلمتي الغريبة التي تحمل كماً من الجنون لشخصٍ لا يعلم سر هذه الكلمة، مسكتُ زمام الأمور مرةً أخرى وقلت:

- (نعم .. بخير .. لكني أتيت بدلاً عنها لكونها مريضة .. يبدو أني خرجت قبل أن تأتي خالتي .. هكذا هي الأقدار ..)

أبتسم بلطف :

- ( أنا أشكر القدر ..)

تهتُ فيه بقدر ما أنا تائهةٌ بكلماته .. يحاول مُغازلتي على ما يبدو ومحاولته نجحت في رسم إبتسامةٍ أظهرت إرتياحي له الذي قطعتهُ بحدة:

- ( عليَ أن أذهب الآن .. )

وقفتُ قبل أن يجيب، فوقف أمامي وكُل ملامح وجهه تدعوني للمكوث أكثر، لكن الذهاب هو الحل الوحيد .. لقاءٌ أول وأخير .. أجابني بصوتٍ أقرب للتوسل:

- ( لا أعرف أحداً هُنا .. فلن أخرج لمكان .. لكن فيما يبدو .. أن برنامجك حافلٌ بالمواعيد .. كون هذا الوطن وطنك .. وبالنسبة لي هُنا الغربة..)

شعرتُ بسوء لسوء حاله، كطفلٍ تاه عن أمه في مولٍ كبير ولعبتهُ الصغير تتدلى من يده وتلامس الأرض ذهاباً وإياباً .. وما كان عليّ إلا أن أكون أماً أخرى تبحث معه :

- ( لا تقل هذا .. ها قد عرفتني الآن .. عُدّني بدايةً لموطنك .. وستجد في النهاية الكثير ممن تعرفهم .. عليك فقط المكوث هُنا أكثر ..)

إبتسامة نصرٍ تعلو وجهه، ما قُلت يبدو أنه قد رسى في شواطئ خاطئة غير التي أريد الوصول إليها، فاجأني رده:

- ( حسناً يا بداية موطني .. عليكِ قبول دعوتي غداً لشرب فنجان قهوة .. قد تُحرريني قليلاً من قيود المكان ..)

بإرتباكٍ واضح أجبته:

- ( لا .. لا يُمكنني ذلك ..)

هُنا الأناكوندا بدأت تلتف حولي .. بقي فقط أن تبتعلني إلى أجلٍ غير مُسمى:

- (لماذا ؟ تُشعريني بأني من قارةٍ أخرى في ذات الوقت الذي تُخبريني بأنك بداية موطني .. أنتِ تُنفيني حتى قبل أن تطأ قدميّ الأرض..)

- ( في الحقيقة إذا علمت والدتي .. ستُنفيني حقاً إلى قارة أخرى .. بل إلى كوكبٍ آخر ..)

ضحك بصوتٍ عالٍ وعانقت أصداء صوته قلبي، ثم قال:

- ( هكذا إذا ! حسناً .. لن أخبرها أبداً بقدومكِ إلى هُنا .. وبهذا لن تتوقع أن نلتقي ولن يُبادر إلى ذهنها أي شك ..)

*نقطة ثالثة من صالحي لم تكن في الحسبان،* لن يذكر أسمي أبداً سواء تالا أو ريما .. لكن الفأس وقع فوق الرأس وعلق أسم تالا في هويتي، كُلها مجرد فنجان قهوة يمحي وجودي في هذا اليوم من سجلات التاريخ ثم تعود المياه إلى مجاريها، أن أدخل المكان المُحرم دون الوقوع بالخطأ .. يبدو الأمر أسهل الآن ..

*لم أعتقد أن بداية الجحيم هو خطوة !*

(4)

**ميلاد**

## اخطأتُ حينَ ظننتُكَ شَخصاً عادياً

## سأنساهُ بعد الغياب!
## فأنت كـ العمر لن يتَكررَ مرتين..

كان موعدي في الساعة الواحدة ظهراً، لدي من الوقت ما يكفي كي أسرد كذبةً أخرى من حبال كذبي التي مهما طالت لن تطول أبداً، ثاني يومٍ من العيد كفيلٌ بأن يكون مُناسباً لزيارة بعض الصديقات ( وهمٌ أكاد أن أصدقه ) كما صدقتهُ أمي بكل بُراءة، لم أكن بارعةً في الكذب يوماً.. هُنالك ملامح غريبة تعلو وجهي عندما أكذب وضحكةٌ مكتومة بين كُل جملة.. لكن هذه المرة أتقنتُ التمثيل ..

*الحاجة أحياناً أم الكذب وليست أم الإختراع فقط..!*

بعد أن تناولتُ إفطاري بهدوء مع عائلتي، قابلتُ مرآتي السحرية لكي أضع لمساتٍ أخيرة تُساعد لمحات الجمال التي تعُانق وجهي دون أن تظهر من الجاذبية ما يكفي.. الغرور لم يكُن يوماً من سماتي .. وقد تكون عُقدةً إضافية إلى عُقدي المُتشابكة ... فأشعر بالنقص من مظهري وإن أطرى الناس على جمالي .. فلا أعدّ كلامهم مقياساً أبداً .. إن غروري بعيناي هو ما يحتل الصدارة أما الباقي فهي في الدرجات الأخيرة من سلم الجمال..

كان الجو حاراً وربيعي بذات الوقت، بحيث تكون الظِلال أقرب لفصل الربيع بنسماته العليلة .. لهذا فضلتُ فستاناً طويلاً بنصف كم .. لونه كستنائي بخطوط سوداء ورفيعة بشكل طولي .. وحزام كستنائي يُعانق خصري بدلال .. أكملتُ هندامي وأرتديتُ حذاءاً بنصف كعب .. نظرة أخيرة .. ألتفتُ على جنبي ثم أبتسمتُ وتناولتُ حقيبتي السوداء الطويلة وغادرتُ إلى موعدي الأول .. موعدٌ لإخفاء كِذبة .. من سيصدق حماقةً كهذه تصدر من فتاةٍ ناضجة مثلي ..

ألتقينا في مقهى صعوداً إلى الطابق الثاني حيثُ الطابع البدوي يغلبُ على أثاثها.. مع موسيقى هادئة ورائحة القهوة تعبثُ بالمكان .. من حُسن حظي أن على يميني نافذةً من زجاج شفاف أستطيع الهرب بعينيّ إلى المارة كُلما أستعصى عليّ الحديث .. طلبتُ قهوة وسط وهو طلبها حلوة زيادة .. نظرتُ إليه وقُلت :

- ( أتعجبُ ممن يشربون القهوة سُكر زيادة .. بالنسبة لي فإنها تُصيبني بالدوار. )

أجابني وهو يضعُ رأسه فوق تشابك يديه بلهجةٍ تشي بالمرح:

- ( إنها الشيء الوحيد الذي أتحكم بحلاوته .. في حياتي ! أما الباقي فهو مرّ)

ضحكتُ عليه وأنا أخفي ضحكتي بأنامل يدي وقُلت:

- ( هكذا الأمر! إذاً لن أتعجب من قهوتك سكر زيادة .. أنت مُحق ..)

- ( حسناً .. تالا ..)

كُدتُ أنظر خلفي لأرى من تالا هذه التي يتكلم معها .. إلى أن غاص قلبي بين ضلوعي عندما تذكرتُ أني شخصٌ آخر أمامه لا يمت صلةً بي، إنهُ يتحدث مع غيري وأنا هُنا جالسةٌ أمامه، تداركتُ تضارب مشاعري في حلبةٍ أبدو بها هشَة الضلوع، وتابعتُ الإنصات إليه بعد أن فاتني ما قالهُ في البداية:

- ( ألن تُخبريني شيئاً عن حياتك! .. أشعر بأني أتكلمُ كثيراً بينما أنتِ تُتقنين فن الصمت ..)

- ( الصمت هو رأسُ مالي ..)

هربتُ من عينيه لألتقط رؤوس بعض المارة، دون أي شعورٍ بأني أرى أحدهم ..

*بأي ورطةٍ أوقعتِ نفسك يا ريما! لأجل طفولةٍ دُفنت.. أنتِ تضعين التراب فوق رأسك ..*

ظن بأن كلامه مسّني بسوء، فحنا رأسهُ إلي مُعتذراً:

- ( أنا حقاً آسف.. كُل ما أردته هو التعرف إلى الفتاة الوحيدة التي أخرجتني من وحدتي ..أذكرُ يوماً قلتُ لأصدقائي بأني أحتاجُ إلى ظل فأجابني أحدهم إن كانت الصورة الأصلية موجودة فلا حاجة للظل.. لم يفهم ما أقصده .. كم أتمنى أن يراكِ اليوم ليعلم ما أقصد..)

*بل أنا التي أتمنى أن أخبره بأن هذا لقائنا الأخير.. أنا ريما وكذبتُ لأجل مصلحتي .. ولستُ بداية موطنٍ لأحد .. إنها الصدفة من لعبت هذا الدور بحياتي..وإن كان يظن بأنه يُمكن أن أكون ظلاً له .. فهو مُخطئ .. أنا لا أملك قيد نفسي كي أفك قيده ..*

لكن الكلمات أبتلعت بمنتصف الطريق في حلقٍ جاف يُحتاج إلى ليترات من الماء لكي يُبلله .. خوفي لم يعد من كشف حقيقتي .. خوفي الآن من رجلٍ لا أعرف إلى أين سيوصلني .. فعيناه تدفعاني إلى البقاء وإبتسامته بنصف خد تُلهب فضولي .. كيف سأهربُ الآن وحفرتي هو فيها! (حيثُ نجتمع ستكون هاويتي ، وحيثُ أهرب سيكون ندمي ..)..

في قرارة نفسي كُنتُ أشعر بأني أعرفهُ مُنذ الأزل .. حيثُ تكون لقاء الأرواح بعد نوم أجسادها .. أن أكون ألتقطتُ روحه في جسده بين الجميع ... فتتعلقُ روحي بِه بُكل بساطة عندما تجمعنا الأرض وجهاً لوجه ..

كيف لإنسانٍ أن يمتلك كُل هذا الحب في عينيه فقط .. حيثُ يكون سفينة الغرق وقارب النجاة .. أن يكون الرعد والمظلة .. أن يوقعني من الأعلى فيلتقطني قبل أن يلامس جسدي الأرض .. أن يُمسك زِمام قلبي دون أربطة ..

*بكل بساطة أن أحاول الهرب إليه لا مِنه .. ونجاتي مِنهُ لا إليه ..!!*

ما أنا بصدد فعله .. كان أشبه بفك حزام الأمان في الطائرة، الإقلاع وسط مطباتٍ هوائية والهبوط في وسط البحر .. الأمر جنوني بشكلٍ كامل ..

آثرتُ رغبتي في بقائه وأنتزعتُ جنوني من عقلي وأعدت حِزام الأمان إلى خاصرتي .. رفضتُ بكل عنفوان وغادرتُ بعد حديثٍ مطول .. لم يأخذ من سيرتي الذاتيه إلا الصفحة الأولى .. التي تتناول اسمي المزيف عملي الحقيقي وعمري الحقيقي ..

حلقتُ عالياً بعيداً عنه، وبكل أمان وصلتُ منزلي ليكون هبوطي كما توقعت .. نوماً قريراً وهانئاً ..

*إلى أن غزى أحلامي بطرفة عين ..!*

(5)

اليأس

## إن ما تُكرره مع نفسك
## يصبح واقعاً تعيش فيه..

رحتُ أجوب المنزل واضعةً رأسي في محجر كتابي (هكذا هزموا اليأس للكاتبة سلوى) حيثُ السرد المشوق لرحلاتٍ عظيمة كانت تحمل الكثير من العقبات في بدايتها ..

اليأس! هو القنوط وهو إحباطٌ يصيب الروح والعقل معاً .. فيفقد الإنسان الأمل في إمكانية تغير الأحوال والأوضاع والأمور من حوله!

لم يكُن اليأس طريقاً لي، مُنذُ الطفولة كانت الأحلام تضع أجنحتها فوق ظهري وتحملني إلى أماكن بعيدةً عن المنطق، لكني بجميع الأحوال كُنتُ أؤمن بتحقيقها .. قد تعيش سعيداً طوال عمرك إذا كُنت تسعى لتحقيق حلمك وأن وافتك المنية قبل تحقيقها ..أما فقدان الأمل هو الموت قبل الموت ..

فكرتُ في محمد .. كانت بداية غريبة بنهايةٍ سريعة .. قد ينتهي الأجل بِنا دون أن يعلم حقيقتي .. لكن سُرعان ما تلاشت افكاري عندما ظهرت أمي أمام وجهي وهي تُلقي بلطف الكتاب من بين يدي وتحملهُ بيديها وهي تقول:

- ( أشعرُ أحياناً أني أحتاج لرافعه كي أنتشلك من الغرق في هذه الكُتب.. لقد نطقتُ أسمكِ حوالي عشرون مرة .. وأين كُنتِ أنتِ!)

بيجامتي المُخططة التي تُشبه زي المساجين لكن بلون وردي يتخللهُ خطوطٌ بيضاء، وشعري المُسدل بربطةٍ جانبية تُشبه لُعب الباربي وحذائي برأس قطةٍ بيضاء يخترق بيجامتي ليظهر كأن القطط تغزو قدميّ، نظرتُ إلى أمي ثم أبتسمت :

- ( عليكِ في المرة القادمة .. لغزي بيدك .. أما الصوت فلن يُجدي نفعاً في حالتي هذه..)

ضحكت أمي ببراءة وأعادت الكِتاب إلى يدي، نسيت ما تريده مني ولم أسألها .. مُنذ الطفولة كانت الكُتب تغوص بي إلى الإعماق .. كانت مدرستي في وقتها تملك مكتبةً صغيرة والقليل من القصص، حين عقدتُ إتفاقاً مع المعلمة أن تُعطيني قصة كل يومين..لم أكن أعلم حينها لِمَ كانت بنود الإتفاق تنص هكذا .. فتحرمني من يومٍ إضافي لقراءة قصة .. لكني أدركتُ بعد سنين أن المجموعة كانت قليلة بالنسبة للأيام الدراسية الطويلة .. وقراءتها كُل يوم يُفقدني مُتعة القراءة ما تبقى من السنة ..

*حكمة الصِغر لن تدركها إلا عند الكِبر ..*

لم أكن أنتظر إنتهاء الدوام.. بل أغتنم وقتي في فترة الفرصة حيث يلهو الجميع .. آخذ مكاناً مُتطرفاً مُمسكة بإحدى قصص المجموعة الخضراء وعينيّ تتعلقان بين الكلمات وعقلي يجوب عالم الأحلام دون عودة .. كانت صديقتي الوحيدة تؤآثر وجودي لدرجة أن تتبعني حيثُ أجلس وتبقى إلى جانبي وتتكلم دون لحظة صمت .. إلى أن تدرك أن جسدي بجانبها لكني هائمةٌ مع روحي في عالمٍ آخر.. فأسمع هُليلات صوتها من عمق قصتي وهي تتذمر:

- ( لا أعلم لِمَ أتعب نفسي بالحديث معك؟ وأنتِ عندما تمسكين هذه القصص لا عين تراني ولا أذن تسمعني ..)

اومئ لها برأسي دون رد .. لأتابع أنا أحداث قصتي التي أكون بِها دوماً البطلة، وهي تُقفل أبواب الحديث التي كانت مُنسجمةً فيها .. أذكر ذلك الحدث كأنهُ اليوم.. مُدركةً أن الزمن يقتص من أعمارنا سنين طويلة لنقف وجهاً لوجه أمام بعض اللحظات التي تتدفق من عالم اللاوعي إلى الوعي ..

متاهات اللاوعي ممُتلئة وبعد كُل هذه السنين نجحتُ بترسها إلى حد التخم، لتكون الذكريات كهبوب الرياح في فصل الصيف، تُضفي نفساً عليلاً لكنها لا تقتلعني معها..

*نجحتُ بذلك إلى حين .. !*

تمكنتُ أخيراً من التعرف على العديد من الأشخاص الجُدد، نِطاق العمل كان أوسع، ومِداد التعارف يلوح عالياً ليجمعني بالعديد منهم مبتدئة بتعليمات العمل ثم التحيات الواجبة من مبدأ العمل، حفاوةً بشكلٍ أكبر في بداية الاسبوع ،إلى أن أصبحنا نتناول أحاديث لطيفة عن بعض الزبائن الظُرفاء ومُعظم المُضحكين، ونتناول تعليقات سريعة في الهواء نفهمها جميعاً دون سوانا، إلى أن أصبح الأمر أكثر تعمقاً ليلتقي كُل شخص بالتسلسل بأكثر الأشخاص قُرباً من قلبه وشخصيته ومزاجه،بقيتُ هكذا .. إلى أن أنتشلني والدي من حالة الإنسجام التامة وأرسل في طلبي.

عندما أتجاوز الطريق أمام فادي أغض بصري وإن خطفتني طرفة عينٍ إليه أجد طرفة عينه إلي أيضاً .. أشعر بأن ذات اللحظة يكون هروبنا .. كألتقاء قطبين مُتشابيهن .. لحظة الإلتقاء تتبعها تنافرٌ سريع لا تكاد الأطراف تُلامس بعضها البعض..

تجاوزتهُ إلى أن وصلتُ والدي والأفكار تتناوب بركل بعضها في رأسي، رحب بي بحفاوة كما أعتدتُ دوماً مِنه، وقابلتهُ بإبتسامةٍ شفافة كما أعتاد مني، أحياناً تكون هذه العادات كالقوانين التي تكون في بداية كُل كُتيب ، تختلف بإختلاف الشخص .. فمثلا لو لم يُقابلني والدي بحفاوة .. تُرسل إشاراتٌ من عقلي بوجود خلل وتُطلق صفارة الإنذار من خلال دقات قلبي وأختلال توازني .. وأول ما يجول في ذهني أن خطأً ما بدر مني دون قصد..

لكن حفاوة والدي اليوم كفيلة بحفظ توازني إلى حين نطق بالمصيبة :

- (ريهام تزوجت وسافرت .. سأقوم بنقلك من مكتبك إلى غرفة المُحاسبة .. وبالضبط مكان ريهام ..)

تأرجح التوازن في جسدي.. ولم تُفد تلك القوانين التي أعتمدتُ عليها في رصد بوصلتي، لحظة التنافر ستكون أشد عندما تكون المسافة أقل.. *بيني وبين فادي بالطبع..!*

أحمرتّ وجنتاي غضباً وأشحتُ بوجهي عن والدي، لم ينتظرني أن أتكلم فدلالات وجهي عن ألف كلمة:

- ( ما الذي يُزعجك بهكذا قرار.. أنتي ماهرة في عملك .. ولن يكون تحدياً إذا قمتُ بنقلكِ من مكانٍ إلى آخر..)

فرصةٌ للدفاع عن نفسي ها قد أتيحت لي، قُلت له بصوتٍ لا يخلو من التوسل:

- (لقد أعتدت على مكاني ومكتبي .. الأمر يبدو أسهل الآن .. وأنت تعلم جيداً مُشكلتي في التأقلم .. أحتاجُ وقتاً ليس بقليل .. لكني هُنا تمكنت بفترةٍ وجيزة أن أكّون علاقاتٍ جيدة مع الجميع ..)

ضحك والدي بصوته الأشج وكادت عيناه ترغرغ دموعاً من شدة الضحك، زمّ شفتيه مُحاولاً كبت إنطلاق ضحكةٍ أخرى وقال:

- ( أحسستُ للحظة بأني نقلتكِ إلى أربد .. لا زلتِ بين الجدران الأربعة للبنك .. ولم يتغير الأشخاص أيضاً .. ما بكِ ريما ؟ لم تعودي طفلة ..)

صحيح بأني ما زلتُ بنفس المكان، لكن فكرة أن أكون بالقرب من فادي تثير قشعريرة في بدني، دون أن أنسى لقائنا الأول .. إن كان يكرهُ والدي .. بالتأكيد لن يجد فرصةً أفضل من هذه لينتقم مِنهُ وبي أنا ..

محاولة أخيرة بإستجداء والدي .. نظرتُ هذه المرة بحزنٍ أكبر ودلال طفلة في الخامسة وأنا أقول:

- ( أبي !! .. أرجوك ..)

نظر بِحدة وأجاب:

- ( أنا هُنا المُدير ولستُ أباكِ .. هيا أذهبي ..)

الإزدواج في الشخصية ظهر بكل وضوح .. لأدرك أن المدير من تكلم معي ووالدي خرج مُنذ قليل مع آخر ضحكةٍ له، حملتُ خيبتي وعدتُ إلى مكتبي ولملمتُ أغراضي وأنا أودع الجميع كأني أغادر إلى قارةٍ أخرى ولن اراهم إلا بعد سنين .. في الخمس خطوات هذه .. كأنها خمس أبعادٍ في المُحيط .. فالعمل يشغل كل الحواس ولا نستطيع تجاذب الحديث إلا في دقائق نخطفها من الساعة .. لتسقط العقارب سهواً وتدق ساعة الإنتهاء ..

تناولت حقيبتي وبيدي بعض أشيائي البسيطة لأنتقل لمكاني الجديد .. حييت كلاً من عماد وفادي وأخذتُ مكاني بكل بساطة، قام عماد بدور الشهم وهو يُرحب بي، مُنتقياً أعذب الكلمات وأجملها:

- ( ريما .. لقد توقعتُ قدومك إلى هُنا عندما أعلنت ريهام زواجها وسفرها .. )

كان البنك وقتها فارغاً إلا من بعض المُراجعين في مكتبي القديم- حيثُ كُنتُ سعيدة- نظرةٌ أخرى إلى فادي لأدرك أنه أيضاً ينظرُ إلي، حالة التنافر تحولت بدقائق إلى قُطبين موجب وسالب، ولم أزحزح نظري إلى أن نطق أخيراً بصوتٍ هادئ:

- ( أهلا ريما .. أتمنى أن يكون المكان مُريحاً .. فهنا لا نتوقف عن العمل إلا وقت الإستراحة.. وأوقاتٌ نادرة يهدأ بها البنك فجأة ..)

تمركزتُ في مكاني وجذبتُ أنظاري عنه لأقول له بشكلٍ طبيعي.. إلى حدٍ ما:

- ( أحب عملي .. والإستراحة تكفي لأن أشرب فنجان قهوتي وإستعادة أنفاسي لأكمل ما بدأتُ به بنفس درجة النشاط ..)

- ( أعلمُ بأنكِ تُحبين عملك .. لاحظتُ ذلك ..)

- ( وأنا أيضاً لاحظت ..)

نظرتُ إليه بتعالٍ واضح ولم أكمل جُملتي *(.. بأنك تنظر إلى بحقد كأني قتلت أحد عائلتك)* أقتصصتُ هذا الجُزء حِفاظاً على مسافة ولا نتبادل العِراك بالكلمات المُبطنة في أرض العمل .. لكنه أبتسم كأن عقله سمع ما يدور بعقلي .. لم يتسنى لنا الوقت لإكمال حديثنا عندما بدأ البنك يضجّ نشاطاً من جديد ..

(6)

Waiting for forever

**كان حظي بهذا القدر من السوء..**

**لدرجة عندما أحببتُ بصدق**

**ذاك الُحب الأول كان أنت ..**

بمناسبة عطلة الجمعة ارتأيت زيادة ساعات سهرتي لأشاهد فلماً مع أختي.. اما والداي فنظام النوم تاريخي لا يقبل التغيير .. دقت الساعة دقت ساعة النوم ..

(Waiting for forever)الفلم الرومانسي الجميل الذي رسا عليه تقلبات الريموت بيد اختي..

تعجبت ! كيف يعيش الحُب لسنين في زمنٍ عاث الفساد في العلاقات .. من يذهب يأتي الكثير من هم أفضل مِنه .. الحُب أصبح يرتبط بمدة وجود الشخص .. لا بمنبع الحُب الذي لا ينضب ..

قد يكون مجرد نص في عقل كاتب! .. لكن الأمر حتماً دار في عقلي عن إحتمالية وجود حبٍ أبدي .. يُكبّل القلب بأصفادٍ لا يُمكن فض وثاقها إلا بيد من أوصدها .. أن تكون الحياة بريئةً إلى هذا الحد .. أن يعيش المرء على وفاقٍ مع قلبه .. يعقد هدنةً أبدية لمكوث شخصٍ واحد ..

لم أفكر بالأمر كثيراً .. فقط إلى حد إنتهاء الفلم .. لأن امراً كهذا بعيد الأحتمال عني .. وإن كانت أمنيتي البريئة تنام بهدوء في قلبي ..

طوابق عالية لا تملك إلا دهليزاً في أعلى البناء ودرجات لا نهاية لها .. وأنفاسي ترتص على باب حلقي وأنا أنزل بسرعة .. كل حواسي تدرك أن شيئاً يُلاحقني ويكاد يلمس ظهري.. الخوف يتخبط بعقلي ويقذفني درجةً درجة .. لكن الطريق لا ينتهي ولا أبصر من النور شيئاً ..

ما أبعد الطريق إذا كان الخوف رفيقاً لك ..

تقاذفتُ جثثاً على إمتداد الدرج تُعيق حركتي للحظات أنا أحوج بِها للهرب.. لم يُكن تعاطفي أكبر من خوفي .. أن أكون الضحية التالية! .. تحشرج صوتي ولم يُعانق الهواء سوى صوت أنفاسي التي تعلو كُلما نزلت ..

إلى أن دق رنين هاتفي الذي أنتشلني من حالة الرُعب والإختناق، فأحتجتُ لثواني أعي بأن الأمر كله مُجرد حلم.. صمت هاتفي . أرتميتُ مرةً أخرى إلى سريري وأنا أكابد النُعاس الذي يهزمني بقوته مع جرعات الخوف التي تناولتها .. إلى أن رنّ هاتفي من جديد .. لم أستطع رؤية الرقم بوضوح فأجبت بكسل وعينان مُغمضتان وهاتفٌ يكاد ينسلّ من بين اصابعي التي أطبقتها على خدي.. فأتاني الصوت كقنبلةٍ في جبل وأقتلع قمم نعاسي ليدبّ في قلبي رعبٌ فاق ما فعلهُ بي الكابوس:

- ( صباح الخير .. أعلم بأن الوقت مُتأخر .. لكني حاولت الإنتظار حتى طلوع الشمس ولم أتمكن ..)

لم يكُن الصوت غريباً عني ولم يكن فرق الهاتف بكافٍ لكي يُضيع هوية صوته بإذني .. لكن مع هذا لدهشة حضوره سألته :

- ( من؟..)

- (محمد ..)

عندما نطق بالإسم نهضتُ كالملدوغة من فراشي ولم تبقى سوى أنفاسي مُعلقةٌ فيما بيننا وصمتٌ شلّ لساني قبل أن يكون مُحركاً للسانه:

- ( أظن بأني أفزعتك .. لاحظتُ بأنكِ سريعة الإنفعال .. ووجهكِ كالأطفال لا يُخفي ما بداخله ..لهذا أسمعيني صوتك .. لأخبركِ كيف حصلتُ على رقمك ..)

ذكي للغاية .. أسلوب مُقنع وبسيط بالإضافة لجرعات مُهدئة كفيلة بضبط إنفعالي المتأرجح ..

أجبته:

- ( نعم .. لقد أفزعتني .. أكاد أستطيعُ التنفس .. كيف حصلت على رقم هاتفي ؟..)

ضحك قبل أن يُجيب:

- ( في المرة القادمة تذكري أن تضعي رقم سري على هاتفك .. لا تغضبي فأنا لم أرى شيء .. كُل ما فعلته أني كتبتُ رقمي ثم أتصلت ومسحتهُ من جديد كي لا ترتابي ..)

- ( ومتى حصل كُل هذا ..)

- (عندما ذهبتِ لدورة المياه .. أعتذرُ مرةً أخرى .. لم أكن لأستخدم هذه الطريقة لو أنكِ ظهرتِ من جديد .. لكنكِ لم تأتِ وأنا هُنا أنتظر كل يوم ..)

- ( ألم تُسافر بعد ؟ ..)

- ( لا .. ألم تنصحيني بالمكوث أكثر .. ها قد فعلت .. فالنصيحة كانت بجمل وأنت أسديتها لي مجاناً ..)

أطرقتُ قليلاً لأستعيد جُملتي المأثورة التي طبقها هذا المجنون، فتداركتُ ما قال وأجبتهُ بصوتٍ يخلو من أي تعبير:

- ( هذا جيد .. أنا سعيدة لذلك .. ستتمكن من التعرف بوطنك الحبيب ..)

- ( لكني لم أبقى لأجل وطني فقط ..)

هذا الرجل لا ينفك يُفاجئني .. طرقاتٍ مُتتالية على أوتار القلب .. لم أجرؤ على السؤال فارتأيت الصمت الذي يبدو أنه أعتاد عليه بسرعه لُيجيب بنفسهِ على سؤالٍ يدور في عقلي كحجر الرحا:

- ( شعرتُ للحظة بأني أستحق السعادة .. أن أتوقف عن الركض وأنظر لنفسي قليلاً .. لقد أرهقتني الحياة وأنا لا أعلم بالضبط ما الذي أجري خلفه ..)

تنهد ثم أكمل بصوتٍ رقيق:

- ( لا ذنب لكِ لتدخلي متاهاتي .. لكني .. لا أعلم .. لماذا شعرتُ معكِ بحلاوة الوطن! قد تقولين أن لا طعم للوطن .. لكني أؤكد لكِ بأني الآن تذوقته ..)

- ( ألم تبقى لأجل والدتك؟ ..)

- ( إن الماضي الذي يربطني بعائلتي يكاد يجعلني على تواصلٍ معهم .. بداية بوالدي رحمهُ الله وإنتهاءاً بأمي .. أنا لا أقول بأني لا أحبهم .. لكن أمر الشوق تجاوزتهُ مُنذ زمن طويل .. ولم يعد خصلةً من خصالي ..)

- ( لكن الشوق ليس خِصلة .. أنه الحبل الذي يربط بين القلب والعقل .. لا تستطيع كبت شوقٍ ينام في قلبك .. ولن يتمكن عقلك من الفرار .. إن الشوق لا يموت مع مرور الزمن ..)

بإستياء أجابني:

- ( خذي مكاني وسيعيث الخراب في قلبك فلا يتبقى موطئٌ ينامُ فيه الشوق .. وستنقطع كُل الحبال التي تقولين عنها ..

لكي تتمكني من إكمال حياتك ؟..عليكِ الفصل بين قلبك وعقلك..)

تمكنتُ بنجاح من إسقاط حزنٍ يتدلى من سقوف الذكريات دون أن أعي ما مرّ بِه، ودون أن أمنع نفسي من التعاطف معه، صوتهُ شدوٌ حزين .. يمتلك من الحنان بذات القدر من القسوة ..

أن تكون الحياة قد ألقت بعضنا على قارعة الطريق دون وسيلة للوصول .. سيكون المشي في دروبه الوعرة كُل الأثر.. وإن وصل جسده بأمان فإن هنالك صراعاتٌ داخلية لا يعلم بِها إلا الله..

*شعرتُ بذلك الألم من صوته!*

من يكون على نِزاعٍ مع الموت والحياة .. لم أعتقد يوماً أن يلتفت لأحد .. لكنهُ ألتفت إلي وقاوم رغبة الموت في الفتك مِنه ورغبة الحياة من التنصل ..

ومن تكون على وِفاقٍ مع الحياة والموت .. لم أعتقد يوماً أن تعشق أحد .. لكني أحببته وقاومتُ الحياة بِه وتمنيتُ الموت مِن بعده ..

*هكذا بدأت قصتي !*

# رسائل لم تصل

## (1)
## ريما

عندما ألتقيتك .. لم أعلم ما أنا مُقبلةٌ عليه .. ظننتُ أن الوئام ما كان يربطنا ولم أعلم بإنه الحُب الدفين الذي يخرج من قبور القلب، وتلك الشمعة المُنيرة في أعلى الصخرة لم تكن إلا سراباً لشدة الظلام الذي كُنتُ أعيشه ..
أن تتمنى النور! ستراه .. وإذا كان وهماً من خيوطٍ تغزو العين إلا أنها لا تُدفئ القلب .. مثل أن يكون الحُب جُرماً للتعطش للأمان ..
لأجل أن تبني وطناً لك لا يجب عليك بنائه من طين! .. لكني بنيت حبي لك من طين .. فأنهار فوق رأسي ليدفنني كما أنا ..
وفي بطون الألم كُنتُ أستغيث .. عندما تذكرتُ ما قُلته لي في ليلة كذب – أيامي معك واحد ابريل ولم تتعدى ذلك اليوم لو بدقيقةٍ واحدة:
-( أعلم بأني أبكيتُ أمي كثيراً .. لكني اعدك .. لن أجعل الدموع من نصيبك ما دمنا على قيد الحياة..)
أحياناً في جيوب الكذب جُزءٌ من الحقيقة .. فأنت لم تجعل الدموع من نصيبي..
إنها أمرٌ خارجٌ عن النصيب.. إن الدموع تجف كلما ازدادت حرارة البُعد في الأجساد .. لكنها لا تصل إلى القلوب .. لطالما كان الحُزن من نصيبي .. ولطالما تمنيتُ الدموع .. لكني استنفذتها في النحيب عليك ومنك .. فلم يتبقى ما أبكي عليه بعد الآن بالرغم أن الألم منك كان يجب أن يكون أقل المصائب فتكاً في حياةٍ ملؤها الآلام ورائحة الموت وتفشي الفساد في قلوب الناس! لكن طفولتي التي أمتدت إلى مرحلة الشباب .. لم تُريني سواك .. وها أنا اليوم في مواجهة الحُزن دون دموعٍ تُذكر ..

(7)

ضياء نصفُ قمر

**ضياءاً كُنتَ في عيني، فحرمتني شعاع النور**

**نجمٌ فقد أشعة الشمس**

**كيف سأبصر وأنت الضياء في عيني!!**

الأجواء لا تبدو جيدة اليوم، هكذا أدركتُ عندما نظرتُ من نافذة المطبخ وأنا أتناول قطعةً من خبز الفرن الذي تعدهُ أمي بفن يجعلني أُفضّل تناوله كُل يوم على تناول خبز السوق، يقولون أن أكثر ما يشتاق إليه الزوج في غياب زوجته هو رائحة الخُبز الذي تعده في المنزل، ويبدو أن أمي طبقت النصيحة دون العلم بِها.

قبل التفكير بأي شيء كان علي شرب قدحٍ من القهوة بسكرها الوسط، وأخذ نفسٍ عميق يُعيد إلي توازني، في الحقيقة لستُ في مزاجٍ سيء ولا جيد، فقط هو كجلوس الكُتب على الرف، لا أحد يقرأها ولا يُطبطب على غلافها الجديد، الخلو من كائناتٍ حية تتحرك في دماغي. تشبه حياتي الإستعانة بالورود الإصطناعية التي تحتل مكان الطبيعية لدوام حالها وقِلة الأضطرار للإعتناء بِها، هدوئي يجعلني في مرتبةٍ أخيرة من الإهتمام، فلا مُشكلات تأخذ الصفحات الأولى من صُحف العائلة، فقط هو اللاشيء بما تعنيه الكلمة ..

قنوطي من حالي آل إلى حالٍ أخرى، أشتقتُ بِها إلى زمنٍ كان عقلي خالياً من التعقيدات، أن يكون الوعي لدي مُتفقٌ مع عقلي الباطن دون أن أعي، لكني ألقيتُ بأوامري عليه لكي يتغير وأشعر بدبيب الحياة في قلبي، أن أكون الأهم .. أسطورةٌ لن تُحكى ولن تُروى .. الثورات المُتتالية دون رهائن أو قتلى .. أن أمتلك عرش قلبي مع من أحب ..

*رغماً عني ! أن أكتشف أنه أمتلك عرش قلبي.. لكن دوني ..!*

حملتُ نفسي إلى أحضان والدتي التي كانت تُكمل تطريز ثوبٍ لأبنة أختي رنا، بالطبع لم أذكر رنا آنفاً والسبب سفرها مع زوجها إلى قطر حيثُ يعمل، ومن الواضح لمن يلتقي بِنا أن أسماءنا تبدأ بذات الحرف، كأن والداي قررا أن يصنعا إمبراطورية لا عائلة ..بإستثناء أخي الذي أخذته المنية منا، فأُقتُص من حياتنا كأنه حرفٌ زائد غير قابل للتصريف، لا نذكره ولا نُعيد أيامنا معه في حياتنا الحاضرة، هكذا تماماً كإندثار أممٍ لم تُخلد في التاريخ ..قد يجول بأذهان الجميع ذِكر أخي مثلي تماماً لكن لا شيء حيٌ يُذكر ..

دثرتُ رأسي في حضن أمي الدافئ بعد أن ألتقطتُ ثوب أبنة أختي ووضعتهُ جانباً، كانت الأريكة من الطول ما يكفي أن أتكور كالجنين إلى جانبها، ربتت على شعري كأن رادارها القوي ألتقط موجاتي المُضطربة، لأتمنى عندما أجنب أولاداً أن أشعر بهم كما تفعل أمي، أن يمنحني الله هذه النعمة، أن تكون صلتي بهم أقوى من الكلمات، فالصمت لغةٌ لا يمكن فهمها إلا من مُحللي لغة الجسد، ومن يملك قلباً كقلب أمي ..

هَمَستْ بصوتها الحنون قُرب أذني وهي تقول:

-( لولا شعوري أنكِ الآن بحاجةٍ إلي .. لكنتُ وبختك .. لأنكِ تعلمين جيداً أني أريد إكمال الثوب سريعاً قبل قدوم أختك ..)
أجبتها بإستنكار:
-( عليكِ الإعتناء بي أكثر مِنها .. فهي تملك أماً .. عليها أن لا تسلب أمي مني..)
ضَحِكتْ قبل أن تُردف:
-( أعلم بأن الجميع سيكبرون ويشيخون .. إلا أبنتي ريما .. لا يوجد حدٌ أعلى لعمرها )
قاطعتُ سيل الحديث بموجةٍ أخرى تماماً:
-( أمي .. أشعرُ بأني زُجاجةٌ تتأرجح فوق أمواجُ المُحيط .. بداخلي رسالة .. أنتظر قدوم أحدٍ ليلتقطها .. لكن في عرض البحر كم سيكون مِقدار الأمل يا تُرى..!)
أطرقت أمي بكلماتي المُبهمة.. حاولتُ جاهدة أن أفرغ ما بجعبتي دون وضوح.. أن أسكب همي دون لون، أن أرتاح في بوحي دون سرد ..
أجابتني بما أستطاعت أن تعيه من كلماتي:
-( لكل إنسانٍ يا أبنتي مِقدارٌ من السعادة والألم، وبحجم إرادتك يُمكنكِ أن تصنعي ما تشائين .. ثقي بقدرة الخالق أن يهبكِ ما تُريدين .. أنتِ لستِ زُجاجة في عرض البحر .. بل أنتِ القمر الذي يعلو السماء .. حيثُ يتطلع الجميعُ للوصول إليه .. لكنهُ أبعد من قدرة الناس على الوصول..)

نهضتُ لتلتقي عيناي بعينيها.. أن ترى توهاني الحقيقي في بحر عيناي، ثم قُلت لها بتوسل:
-( وإن بقيتُ طوال عمري نصفُ قمر .. ماذا سأفعل حينها؟..)
-( لا يكمن جمال القمر بإكتماله .. بل بضياءه .. لا يوجد قمرٌ دون ضياء وإن كان مُجرد نصف .. والمعنى يا حبيبتي .. أن اكتمال حياتك لا يعني السعادة .. بل بِمقدار ما تستطيعين أن تهبيه من حُب .. إن الإنسان القادر على العطاء دون إنتظار مُقابل، يُشبه القمر .. كُل ما فيكِ يُشبه القمر يا أبنتي العزيزة ..)
أمعنتُ في كلماتها جيداً..
شعرتُ أن ضيائي لن يُمنح من تلقاء نفسي، كما القمر الذي يستمدُ نوره من الشمس، سيأتي أحدٌ ما ليهبني هذا الضياء فأكتمل وإن كُنتُ نصفاً ..
*هكذا ظننتُ يوماً .. إلى حين!*

كانت إجابة أمي كافية لأن تُعيد الطاقة والحيوية إلى جسدي، فيتامينات الكلمات لها مفعولٍ سريع، وتُفرز بسرعة في الجسد،على جميع الناس تداول هذه الفيتامينات وقتل البخل الذي نعانيه في مشاعرنا .. التي أصبحت بِهِ الكلمات تُقاس بالمسطرة، كأنها ضريبة جزية أو تحرير رقبةٍ بمال..
على جميع الأحوال .. لن أستطيع حل مشكلة مُجتمعٍ كامل ببضع كلمات، فالأمر أكبر مما قد أظن، بالنسبة لنضوج عقلي لم أصل بعد لمرحلة فهم من هم حولي، وإن كانت لي فلسفة خاصة بالتعامل مع كل شخصٍ على حِده.. فلي كاتلوجي الخاص الذي أطبقه بتفاصيله مع كل شخص، بغض النظر عن شخصيتي الأساسية فأنا قد أمحوها تماماً لأجل التأقلم مع من هم حولي، حتى كُدت أن أكون ما بين محبوبة وحيادية وخالية تماماً من أي عداوة. ظننتُ لفترة أن الأمر مُريح، ثم أكتشفتُ لاحقاً أن الأمر أشبه بمياهٍ راكده على قارعة طريقٍ مهجور ..
وإن كان لكَ القليل من الإعداء فهذا لا يعني بأنك شخصٌ سيء، لكن بالنسبة لي عدوٌ واحد كفيلٌ أن يقلب حياتي لجحيم محتواه تأنيب ضمير+ ندم والناتج تعاسة..
لم أعلم بأن المثالية جهدٌ جهيد يفوق الإحساس بالذنب اضعافاً مُضاعفه .. في حين ينكبّ الناس على إستبدال العلاقات بكل سهولة والتجربة العمياء بشكلٍ أسهل، لا تعود بها العلاقة ذات أهمية ولا تعد التجربة مُخيفة .. إلا لمن هُم من أمثالي..
أقتنعت بما أخبرتني بِهِ أمي، ورضيتُ بنصف قمر إلى أن يكتمل ضيائي، في ذات الوقت وبعد عشرة دقائق من خروجي إلى باحة الحديقة أتاني الإتصال الذي جعلني أشك

بأنهُ يملك حاسة سادسة ومُقترنة بي فقط ... حين لاح أسمهُ أمامي ابتسمت بسعادةٍ مُفرطة جعلتني أرتاب بحقيقة مشاعري تجاهه .. الحُب ليس بهذه السرعه لكنه يأتي بسرعه .. وما يُثّبت قواعد الحُب هو نوع المشاعر التي نتبادلها وقوة الترابط، حيثُ يشعر قلبان بإنصهارهما في كوةٍ واحدة.. أن يكون النبض على ذات الوتر ولا تكون موسيقاه إلا طرباً للعاشقين .. فقط العاشقين .. او بالأحرى عاشقة .. بعد أن يطول الزمان يبدأ الصراع بين الشك واليقين في وجود الحب من الأساس .. أن يكون وهماً أبتعلته في وصفةٍ خاطئة .. مكونة من تصوراتٍ زُرعت في دواخلي دون أن أعي ذلك ..
فيكون الوقوع دون ان نحذر معناهُ الظاهر هو فخٌ يصطادنا على غفلةٍ مِنا .. أن نستسلم قبل التفكير في المقاومة.. وعندما نصل لمرحلة الإحتضار .. نفز هاربين .. لكن دون جدوى .. فالموت حصيلة حاصل .. موت المشاعر التي كانت ذات يومٍ حية ..!

*إلى اليوم أتمنى أن أعرف .. لِمَ قسم ظهري إلى نصفين .. لِمَ سمنّ الحُب في قلبي إذا كان سيتركهُ فريسةً للذئاب ..!*

-( هل أتصلتُ في الوقت الخاطئ؟)
-(لا .. أبداً ..)
-( بقيتُ لأجلك .. ومع هذا لم تتصلي بي أبداً.. ألا ترين أن ذلك ظلم!)
-(حقاً! آسفه .. لكني أترددُ قليلاً في الأتصال، ولا تسألني لماذا.. لأني لا أعلم..)
ضحك بنشوةٍ غريبة:
-( ومتى ستعلمين؟ ..إلى أن تنتهي إجازتي وارحل !..)
قابلتهُ بضحكة ثم قلت:
-(لا .. بالحقيقة لا أعلم ما سأجيبك..)
-(قولي لي.. ما الذي تعرفينه إذاً؟..)
همهم قليلاً يفكر ودون أن ينتظر إجابتي أكمل:
-( أحاول جاهداً أن أخفي ذلك .. لكن مِن لقائنا الأول شعرت! ولأول مرة ينتابني هذا الإحساس بإني أعرفكِ مُنذ زمن ..)
-(نعم .. هذا يحصلُ كثيراً.. سمعتُ أن الأرواح عند النوم تلتقي .. قد نكون ألتقينا ذات ليلة .. أقصد .. أرواحنا ..)
كانت صدى ضحكته أعلى هذه المرة وأنتابني شعورٌ بالضحك أيضاً .. لكني تماسكتُ في اللحظة الأخيرة عندما سمعت صوته:

-( هل أنتِ هكذا دائماً؟..)
-(هكذا .. ماذا!)
-( عفوية جداً.. غريبة جداً.. وأيضاً مجنونة ..)
أكملتُ بتلقائية :
-( جداً! ..)
على ما يبدو أن سلسلة الضحك لن تنتهي هذا اليوم، ألقي كلماتي دون أن أعي أنها مُضحكة.. كان صوتهُ عذباً وإحساسٌ غريب بالسعادة يحتل مشاعري ..ان تُقفل كل الأبواب والنوافذ والأصوات فلا أشعر إلا بوجوده:
-( أيهمكِ أن تكوني مجنونة أو مجنونة جداً..)
ضحكت قبل أن أجيبه:
-( لا بأس بالجنون .. وإن كان جداً)
-(حسناً.. هل نلتقي يا مجنونتي؟ فلدي من الكلام الكثير ..)
-(وهل هناك شيفرة للهاتف لا تسمح بكلامك أن يُقال؟)
-(بل اؤمن بلغة العيون أكثر من الصوت .. فلا تحرميني هذه النعمة...)

فكرتُ قليلاً ..
*لا بأس بلقائه.. لكن هكذا سيُطيل حبل كذبي وأخاف أن يكون مشنقتي ذات يوم .. لكن إلى أي حد سأتضرر؟ .. مُجرد لقاء بسيط .. وأن علم بكذبتي لن يكون عليه سوى تغيير اسمي .. والشخصيات لن تتغير مع الأسماء!*

لم أعلم بأن الكون كُله سيتغير مع أسم .. أن يكون منفاي في وطني ..

وافقتُ وأذعنتُ لمشاعري قبل أن يؤثر إقناعهُ لي، وأنا الفتاة العنيدة لم يُقنعني أبداً سوى قلبي .. كان اللقاء في البداية كذاك الطريق القصير في قصة ليلى والذئب .. أن نختار ما يُريحنا دون أن نعي ما هي النهاية.. أن نلتقط الورود على قارعة الطريق دون أن نشتم رائحة الخطر..

**الغيرة نصفان ..**
**النصف الاول يُبعثرك وقد يجمعك ..يُرضخك للهذيان والخوف**
**فعينٌ تنام والأخرى تُراقب .. قد تسقط دموعك ألما وقد تُكابر ..**
**اما النصف الآخر فهو قاتل.. لا تموت ببطئ بل موتٌ كامل ..**
**النصف الاول هو الشك والثاني هو اليقين**

وجهان لعملة واحدة - العشق الخفي - الذي كان يجمع بين الصداقة وغيرة الحُب .. يداهُ تتشبث بي في وقتٍ تحاول بِها أن تتركني.. قوةٌ لا سبيل لغورها .. فهناك ما يجمعنا بالرغم أن أسباب الفُراق كثيرة ..

مِن ذكرياتي لهذه العملة التي تحمل هذان الوجهان، عيناهُ اللتان تشتعلان ناراً، وذلك بعد أن تركني للحظات بسبب إتصالٍ مفاجئ أبعدهُ عني عِدة خطوات، ولا أنسى محاولتهُ في التركيز لسماع من يُهاتفهُ، وبنفس اللحظة تركيز أنظارهِ علي وأنا أجلس على مقعدٍ قريبٍ مني، لكن سرعان ما تشتت إنتباههُ وترك إتصالهُ المُباغت لدرجة شككتُ حتى إن قام بتوديعه أم أقفل الهاتف في وجهه، وبخطواتٍ عُجلى كان بيني وبين ذاك الشاب الفضولي الذي يُحاول إستلطافي لمشاركته الحديث، قفز قلبي وهو يقول من بين أسنانهِ المُطبقة غضباً:

- (هل لديك أي مشكلة؟)

كان ارتباك الشاب واضحاً وصوته يرتجف بين كلماته وهو يرد عليه:

- (انا آسف ... لم.. أكن.. أعلم بأن.. أحداً يُرافقها؟)

لم يُخفض ذلك من غضبه، بل وتيرة صوتهِ بدت أعلى، كأنه يبعدُ عنهُ آلاف الأمتار بينما هو ببعد رمشٍ عن عيناهُ الغاضبتان:

- (إياك أن تقترب من أي فتاة حتى لو كانت لوحدها .. وإلا ..)

مَسكتُ ذراعهُ التي علت جسدهُ مُعلناً أن قبضته التي على وشك الإنفجار في وجهه ...أذكر أن الشاب غادرنا مسرعاً وهو يشعر بالخوف ،جلس بجانبي وأنفاسه المُتهدجة لا زالت تُعلن

بأن الغضب بركانٌ لا زالت حممهُ تفرش قلبه وعقلهُ ،قلتُ لهُ علّ كلامي يكون مطراً يُهدئ سيل هذه النيران:

- (لماذا لا تستطيع أن تتمالك أعصابك؟ هو فقط أساء الظن ...)

نظر الي وقاطعني بصوتٍ هادئ رغم كُل هذا الغضب:

- ( ألا ترين أن هذا حصل .. وأنا هنا بجانبك .. برأيك !.. ماذا يحصل في غيابي! كيف سأتحمل هذه الفكرة .. الجنونية! )

ابتسمتُ من اعماق قلبي ، محاولةً إخفاء هذه الإبتسامة عن شفتاي .. فمن غير المُناسب أن أبتسم وأنا واقفةٌ أعالي بركانٍ ثائر .. لكني حقاً شعرتُ بأني ألامس أطراف السماء في ليلةٍ ربيعيه وأداعب النجوم والقمر ..

ظهرت إبتسامتي رُغماً عني .. ولكني تداركتُ الأمر وقُلتُ لهُ وأنا أداعب خصل شعري لأخفي خجلي:

- (جميلٌ هذا الأمر .. هكذا .. وهذه الأفكار التي تقول عنها جنونية .. بالتأكيد ستدفعك للبقاء معي..)

فاجئني ردهُ السريع علي ولا زالت عيناهُ حادتان كالسيف:

- (ومن أخبركِ بأني سأتخلى عنكِ يوماً!.. على جُثتي..)

أكمل كلماته والإبتسامة تشقُ خديه بجاذبية مُعلنةً أن الغيمة السوداء أصبحت ما وراء الشمس:

- (أو .. أن أقترحَ حلاً آخر .. أن تُخففي قليلاً مِن جمالك .. فإن قلبي لن يهدأ بغير ذلك أبداً ..)

أحمرت وجنتاي خجلاً كأن الدم تخلى عن كل جسدي وتجمع فيهما:

- (أنت تُبالغ ..)
- ( أنتِ لا تعلمين مِقدار الجمال الذي تحملينه .. وهذا ما يزيد العبئ عبئاً.. ويزيد أسوار الشك علواً .. بعفويتك تجذبين من حولك .. وبساطتك تسيطر على أعين الناظرين.. أخاف أن تأخذكِ مني إحدى هذه الأعين .. )

أبتسم وهو يكمل بنظرةٍ لا يمكن وصفها ب 28 حرفاً:

-( أشعرُ أحياناً بأنكِ خرجتِ من إحدى حكايات الأطفال .. هاؤلاء الذين يكون بِقمة البراءة .. نفسَ الإبتسامة وذات البراءة .. لا أعلم كم أملك من الحظ كي يكون نصيبي أن ألقاكِ ..)

علمتُ وقتها بأنهُ يحبني ،لكن لم أعلم لِمَ بقيت هذه المشاعر مُقفلةً بشدة، كُلما رجفت شفتاه لتُخبرني الحقيقة تبتلع عيناهُ الكلمات لكي تطبق الحيرة فكّاها على قلبي.كنتُ أدعو الله أن ينطقها ليرتاح قلبي ،لكن أن نبقى اصدقاء أفضل فالأصدقاء لا يخسرون بعض.. فقط من باغتهم الحُب يموتون في لحظة فُراق .

عدتُ يومها إلى المنزل وجنحان السعادة تُحلق بي. تناولت العشاء مع امي واختي ريماس ،كان بادياً على وجهي أن أرضاً تحمل قطعةً من الجنة قد أصبحت مُلكي ،سألتني أختي بفضول:

- (ريما .. هل وقعتِ!)

بغضب مُفتعل أجبتها:

- (ريماس ..ما هذا الذي تقولينه.. !)
- (لكني لم أقصد بذلك سقوطكِ من علو .. فأنكسرت قدمكِ أو مِن هذا القبيل ..)
- (إذاً تكلمي .. وإلا ستفقديني عقلي يا مجنونة ..)

ابتسمت ريماس نصف إبتسامة.. لكنها تحمل كُل الخُبث بين فكّيها:

- (في الحب.. يا عاشقة..)

ضربتها على كتفها وأنا أكتم نصف ذهولي ونصف غضبي ونصف الحقيقة التي قالتها:

- (بدأتِ تُغضبيني .. هل أصبح ممنوعاً علي الضحك في هذا المنزل! .. أمي أسمعيها ماذا تقول ... إنها ...)

قاطعتنا امي بين ضحكة ريماس وصوتي الغاضب:

- (ريماس تأدبي ،وانتي يا ريما أتمنى أن تبقي سعيدة طوال العمر وأن لا تُفارق الإبتسامة شفتاكِ ..كم أنتما جميلتان هكذا! أيتها المجنونة وأيتها الغاضبة ..)

تمكنت أمي بكل سهولة أن تضفي بهارات السعادة كما نقولها دوماً لها .. فضحكنا معاً على كلماتها ..

دخلتُ إلى غرفتي وأنا أمسك بهاتفي ،جلستُ على سريري والأفكار تتزاحم إلى دماغي وبعضها يوقع الآخر ليحتل مكانها، من ضمن ذلك الطابور المُزدحم كانت فكرة أن أتصل بِه أو لا ،تُفكك ذبذبات عقلي وتشوش دقات قلبي.. تمنيتُ وقتها لو كُنتُ أحمل جِهازاً لضبط المشاعر والتصرفات .. فنحنُ وقت الشعور بالحزن الشديد والفرح الشديد .. نقوم بأفعالٍ خارجة عن إدراكنا .. ولشدة ذهولي عندما سمعتُ صوته ، لأدرك بأن صوت قلبي قد تغلب على صوت عقلي:

- (سبحان الله .. كُنت على وشك الإتصال بِكِ ...)

جاءت كلماته كنسمة هواءٍ في ساعة صيفٍ حارة ،قلتُ لهُ مازحة:

- (هذا يعني بأن عمري أطول من عمرك ..)

أتاني صوتهُ مُتفائلاً:

- (جيد ،لأني أتمنى أن أموت قبل أن تبكي عيناي فُراقك)

خفق قلبي خوفاً من شيءٍ لم يحدث بعد:

- (لا ، لا أريد ... كُنتُ أمزح .. لا تأخذ مُزاحي على محمل الجد ..)

ضحك عليّ وأكمل بحيويةٍ أكبر:

- (هل فُزعتِ علي ! لا تخافي أنا قط بسبع أرواح ،خافي على نفسك مني... )

أختفى صوتي المُضطرب ليحل مكانه ضحكةٌ هادئة:

- (لماذا .. ألك أسنان مفترسة !علي أن أتعلم فنون القتال ..)
- (لا أنا أرجوكِ .. إبقِ هكذا .. فأنتِ كما أنتِ وأعاني جداً في مُقاومتك)

أدركتُ غريزياً عن أي مُقاومةٍ يقصد، لكني تجاهلتُ كلامهُ وقلتُ بصوتٍ رزين:

- ( اليوم أختي ريماس تسألني أكنتُ قد وقعت ..)

كان ردهُ سريعاً وذكياً.. لا يحتاج للكثير من التفكير ليدرك الحقيقة:

- (وقعتِ بالحب!)

ومن بين بواقي شهقتي وأنفاسي قُلت له:

- (كيف عرفت؟ انت وأختي متواطآن ..)

تجاهل كلامي وجاء صوتهُ هادئاً:

- (أتحبيني ... تالا؟)

في حين أني أعتدتُ اسمي المُزيف، لم أتوقع يوماً أن يسألني - بهذه الطريقه! - دائماً يجول ببالي كيف سيخبرني بالحقيقة.. عن الطريقة والمكان .. نظرة عينيه وصوته ..لا أن يُلقي المسؤولية علي .أجبتهُ مدافعةً عن نفسي بكل كبرياء:

- (لماذا؟ هل جُننت لكي أحبك .. لا تخف فلم أفقد عقلي بعد ..)

قال لي وهو يضحك .. صوته الخلاب عندما يضحك دواءٌ مهدئ لكل غضب:

- (حقاً لا زلتِ صغيرة .. لا أعلم متى ستكبرين .. لا يا جميلتي .. خائفٌ أن تحبيني وأحتاج إلى حل ..)

لا أعلم لِمَ أصبحتُ حساسة عند هذه الجملة بالذات وقلت لهُ وأنا أكاد أُغص بكلماتي:

- (إقسم لي بأنك خائف...)

لكنهُ دوماً يشعر بي من نبرة صوتي ،ودوماً يخفف من وطأة الموقف الذي يحمل عبئاً ثقيلاً ..فأجابني:

- (لا ،أتمنى لو كُنتُ خائفاً مِنكِ ،أنا خائفٌ من نفسي فقط ..)

*****

**خذني معك**

**كحقيبةٍ لا تُفارق يديك**

**كمظلةٍ ..كُلما نزل المطر أقيك**

**خُذني حنيناً**

**أو حُلماً لا يُفارق مُقلتيك**

**خُذني معك..**

**فالحياةُ دونكَ لا تُطاق**

**والإبتسامة دونكَ لا تكتمل**

**خُذني الآن...**

**ولا ترحل عني**

**فأنا طائرٌ جريح.. وترياقي بين يديك**

**خُذني قلمك ودفترك**

**كمعطفٍ**

**لا يُفارق كتفيك**

**كوسادتك وهواجسك**

**كوطنٍ يصعبُ عليك تركه**

**يُعيدكَ الحنين إليه**

**ويرجعه الحنين إليك**

**خُذني معك ...**

(8)
في رحم الحلم تُنجب الحقيقة

**طريق الحُب يبدأ بحلم وينتهي بحقيقة**
**يبدأ بأمل وينتهي بإنكسار**
**كُسرت مجاذيف الحب في منتصف الحقيقة**
**وغرق الأمل في بحور الشك**

بِقدر أحتياجنا للوقت لأجل الإعتراف بمشاعرنا بِقدر قوة الحب عندما أجتاحنا وبالرغم من مضي أربعة شهور كُنا نتفق بها أن نكون أصدقاء .. أن نبتعد عن الحُب ما يكفي ويسمحُ للأمان لكلينا .. كان يقيني لا يُخطئ بأني وقعتُ في حبه لا محالة، ولم يكُن مُبتغاي سوى أن يكون إلى جانبي مع أمنيةٍ لا يعلم بِها إلا الله أن يكون من نصيبي ..

من الذكاء أن نضع حداً للحب ومن التهور الوقوع بِه.. لكن!
أن يُخلق شخصٌ يحتل تفكيرك بأكمله .. أن تنام ليجتاح أحلامك .. أن تشكر الله كُل دقيقةٍ على وجوده .. أن تشعر بأنك وصلت إلى مكانٍ لا تحتاج إلى المزيد.. الإكتفاء فقط هو الإكتفاء بهذا القدر .. أن يكون مشوار الألف ميل أنتهى بخطوةٍ واحدة .. كان حقاً علي أن أتعلق بِه .. أن أتشبث بِه بكل قواي وعقلي وصبري وعطفي .. أن أكون ملاذاً له وأن أكون بذات الوقت أمه ..
وهبني ما لا أتخيله ولا يمكن يوماً أن أطلبه.. وهبني أقصى مما كُنتُ أحلم وأعلى مما كنت أريد الوصول .. من الغباء أن أظن ذلك ومن المستحيل أن أظن عكس ذلك .. وهو الملاك الذي يُحيطني بالأمان .. أن يمنحني الضياء في حين كُنتُ أغوصُ بالظلام .. أن يكون معي في حُزني قبل أفراحي .. أن يَقبلني كما أنا دون قيود أو شروط .. كان حقاً علي أن أحبه! ومِن النفاق نكران حبي له ..
وهناك المزيد حيثُ سيقفُ عقلي بعد أن يدور في الثانية آلاف المرات ولن أجد إجابةً على أي سؤال .. كان كمرور نيزك أطفئ لهبه ما أن وصل الأرض ولم تبقى سوى فجوةٌ كبيرة دَفنت كل ما كان فوقها .. كُل ما كان أنا ..

فتحتُ جهازي المحمول وأنا جالسة فوق سريري مع كوب نسكافيه دافئ، وبتصفحٍ سريح لحساب الفيس بوك بالإضافة إلى إعجاباتٍ لا هدف لها لمنشواراتٍ كُنت أمرُّ أمامها كالبرق لكسلي المُعتاد في قراءة المنشورات الطويلة والوقوف لثواني عند أي صورة وتعليق سريع بكلمة واحدة فقط (جميل) إلى أن سطع نجم صندوق الرسائل بإشارةٍ حمراء، فتحتها دون أن أتوقع ممن إلى أن لاحت غشاوةٌ سريعة أمام عيني عندما قرأتُ أسمه، رغم مرور الكثير من الوقت لا يزال ذات التأثير وذات العنفوان والشوق، بالرغم أني سمعت بأن الوقت كفيلٌ بإخماد أكبر نيران الحُب إشتعالاً.. لكن يبدو أن هناك بعض الإستثناءات هذه المرة:

-( كيف حالك؟ أشتقتُ لكِ..)
-(بأحسن حال .. بالحقيقة وأنا أيضاً ..)
-(ماذا؟)
-(أشتقتُ لك..)
-( لا يكفي ..)
-( أنت تعرف دون أن أتكلم..)
-( أريدُ أن أعرف وأنتِ تتكلمين .. لم أعد أحتمل ..)
-( تحتمل ماذا!..)
-( أنتِ تعلمين ماذا ..)
-( ألم نتفق ؟..)
- ( وماذا سأقول لقلبي؟)
- ( ألا تعلم بأن قلبي أكثر إلحاحاً..؟)
- (إذاً !)
- ( حسناً .. فلنقلها ..)
-( قوليها..)
-( لماذا تُلقي بالمهمة عليّ ؟ ألا يجدر بِك أن تتولاها )
-( أحبكِ.. جداً)

تجمد قلبي في كلمةٍ صغيرة لا تتجاوز الأربعة حروف، لكن لها مفعولٌ أقوى من السحر.. إلى أن أصبحت هذه الكلمة سرّ إبتسامتي ولاحقاً هلاكي ..

نعم احبه... وأحببتهُ اكثر عندما اعترف بما يُخالج قلبهُ المُغلق.. شعرتُ وقتها بالأمان - انهُ لي وحدي – لم أكن أعلم أن لا شيء يجب أن يشعرنا بالأمان ،كان يجب أن أخاف فقدانهُ ما حييت..

*إلى الآن كُنت أحلق سعادةً لكن بجنحان من زُجاج ..*

عندما يبدو العالم صغيراً في أعيننا .. لا نستطيع أن نرى أبعد من أبصارنا، أن نبحث عن الأمان في وكر الذئاب كي لا يجدونا، أن يضيع منتصف العمر في البحث عن أنفسنا!..
عندما كانت طفولتي مجرد ضوضاءٍ داخلي وهدوءٍ خارجي .. أن لا ينظر إلي أحد أبعد من مستوى جسدي.. أن أكون بطريقةٍ أو أخرى مُلفتة للأنظار دون أنظار .. لن يكون مني سوى البحث عن ملاذي .. وجودي .. هويتي .. أن أبحث عن مرآتي لتعكس جمالي الداخلي .. كُل هذا طريقٌ طويل تعثرت أول سنين عمري بِه، هكذا عندما ألتقيتهُ وكان النحيب وسلسلة الإنهيارات وضياع الهوية والوجود طريقٌ طويل عندما توقفت عنده، أن تظن أن الحياة قد إنتهت على أعتاب شخص.. وأن الطريق الطويل للبحث ها قد إنتهى .. وإن الفشل الذريع ليس سوى فشلك .. وإن الهاوية التي سقطت بِها مكانك الأبدي ولا مكان للصعود ولا مجال للحياة .. النظر إلى الأعلى راجياً الله الخلاص .. فقط الخلاص مما أنت فيه .. دون التطلع إلى المستقبل وإن كان الطريق الطويل لم يبدأ بعد .. لم يبدأ ما كُنت تظنهُ قد انتهى ..

وعندما أهديتهُ قلبي، كان يعلم يقيناً أنه مُغلف .. معدنٌ خام لم يتم صقله يوماً .. وأن الحب في حياتي لم يتجاوز السطور والأحلام .. في حين لم يمسس قلبي قبله .. ولا حتى بعده .. قبله لم يكن إلا وفاءاً لنفسي .. وبعدهُ لم يكن إلا حُنقاً لنفسي ... عقابي الذي أستحققتهُ على ذنبٍ فعلته وكان بيدي أن أوقفه ذات يوم ولم أجرؤ..

وصلتُ معه إلى ما أبعد من الفكر وأقرب للقلب، عندما يكون القلب قائدك لن تعرف ما هو الطريق، فإن الضباب المُحيط بك يحجب الرؤيا، وأن ثقتك بمن يُرافقك يقينك بأن ما بعد الضباب سيكون المرسى حيثُ ستعيشون معاً .
رافقتهُ إلى أن أبتلت عروقه وجفت عروقي.. إلى أن تعلقتُ بِه وأنتشى مني، حيثُ يكون الوفاق أشبه بالنفاق، وأن الفراق لا محالة مِنه، أن يكون الصمت سداً كبيراً بيني وبينه .. كُنت أحياناً أخاف هدم السد فيغرقني بطوفان الحقيقة .. أن يكون من أحببت قد هجرني حقاً .. أن يكون الحب خيالاً لا أكثر، فأحياناً يكون حجب الحقيقة لأستمرار الحياة، وإن كان الأمل مستحيلاً .. لكنهُ الوقود الحالي الذي استطيع إستخدامه للوصول لأقصى حد قبل أن يتوقف قطاري بمنتصف الطريق وأكمل على قدميّ ما تبقّى عُمري..

*بطريقةٍ ما .. ساهمتُ معه بدماري..*

# وأحرَقَني بذات الشمعة
# التي أنار بِها
# حياتي...

في اليوم التالي وبعد إنتهاء عملي، ألتقيتُ به ولم يكن يفصل بيننا سوى خجلي، حيثُ الصمت برهاناً على قوة تأثيره علي وأن الكلام لن يُجدي نفعاً في حضوره. أن أحضّر آلاف الكلمات فلا أجدها في حينها، وأن أرتجل ما تبقى من كلمات في ذاكرتي لأستطيع إكمال سير الحديث، كان من التناقض ما يكفي بين حديثي معهُ على الهاتف مع لقائي بِهِ وجهاً لوجه، فكما قال هُناك لغة العيون التي لا تستطيع الكلمات ترجمتها ..في حين لم يُدرك وفي لحظات تذهب عينيه بعيداً عني .. إني أكون في مرحلة الإنغماس بِه حد التوهان .. أن اتأكد من وجوده حقاً امامي .. وأن هناك بشراً بهذا الكم من الجمال .. أن أشعر بمرارةٍ في حلقي ضعفاً من حالي أمامه وأن اشعر بقشعريرة كُلما ألتقت عيوننا ..

وفي حين لن يدرك ابداً .. بإن أختلاط مشاعري كُلها لم تحصل يوماً من أحدٍ غيره .. وإلى لحظتي هذه وبعد مرور دهرٍ من الصبر والشوق والفراق .. لم أقابل أحداً مثله ولم أُحب أحداً كما أحببته ولم أشعر بإمتنان لوجود أحد .. وإن باب الحُب قد أغلق ولم يبقى سوى الحاجة لسنين إلى من يداوي جرحي منه ولم يستطع، وسنيناً آمنت بها أني لن أعشق من جديد .. وإنه ختام الحب ومسكه .. وكلما لاحت ذكراه ابتسم بعنفوان وأبكي سِراً وأشكر الله أن كُل ما حصل هو القدر .. وأني فعلتُ ما بوسعي ولم أستطع .. وأنني أستطعتُ إلى حدٍ ما من طيه في النسيان بُكل هدوء .. وإن طفا على سطح الذاكرة فلا يكون إلا ذكرى طيبة وشوقٌ مُبطن ورحلةٌ مع النفس إسمها القناعه .. أننا لم نكن لبعضنا .. وأن بعضنا لو كانت لما أتفقنا .. وإن أتفقنا لا بد من سوء وأن الفراق أفضلُ حالاً..

في حين فكرتُ كثيراً بأن ما حصل أفضل .. وإن عشقي الكبير له .. ليس سوى دماري إن بقي، فغيرتي العمياء قد تخنقني .. وخوفي الظاهر قد يقتلني .. أن أخاف كُل لحظةٍ من خسارته هو الموت بعينه، أن أحمل حبه في قلبي جنيناً ويكبر كُلما أعتنيت بِه .. إلى أن أصل لمرحلةٍ تكون الحياة دونه مستحيلة .. مرحلةٍ سيكون الفراق موتي والغيرة سلاحٌ ضدي وإن التهديد بالموت أشد فتكاً من الموت ..

كانت نظرتهُ هذه المرة أكثر حناناً، لمعاناً خفياً في عينيه وإبتسامة خلابه لا أستطيع تجاوزها بسهولة.

أن نتبادل كلمات العشق وجهاً لوجه كان أمراً مُستحيلاً .. لكنهُ أستطاع أن يتجاوز خجلي بكل رِقه وهو يقول:

-( قد لا تعلمين .. لكني أحب رؤيتك .. لسبب مهم

وهو أن يستنى لي رؤية الخجل الواضح على خديك..)

ضحكتُ بخجل وأنا أنظر إلى مجموعات الأطفال التي تلعب أمامنا في الحديقة، ويديّ مُتكئتان على مقعد الخشب الطويل الذي يجمعنا مع إنحنائةٍ مني تُبعدني عنهُ مسافةً أستطيع بها التحكم بدقات قلبي، في حين أنتظر إجابتي كان يقرأ الخجل وصعود الدماء إلى خديّ وإبتسامتي التي تسبر أغوارها عنوةً ، أجبتهُ أخيراً:

-( وأنا أواجهُ صعوبةً في لقائك .. لأن خجلي يكون عائقاً بيني وبينك .. إلى أن أعود إلى منزلي دون قول أي كلمةٍ كُنتُ أودُ أن أقولها..)
وضع يدهُ فوق يدي بهدوء وعينيه لا تفارق مُقلة عيوني وأقترب هامساً:
-(لكني أقرأ كل شيء في عيونك.. لا أنكر بأن سماع كُل هذا يُسعدني أكثر، لكني سأنتظر إلى أن أكون جُزءاً مِنكِ.. أن أكون أنتِ في حضورك.. فلا يبقى أي حاجزٍ بيننا..)
أرتخت أعصابي التي كانت مشدودةً كوتر العود، وتنفستُ عميقاً وأنا أبتسم له:
-( لهذا دوماً أشعر بالإرتياح معك، إن هذا الإحساس الغريب لم يزرني يوماً.. هو يقيني بأنك مُختلفٌ عن بقية البشر.. أنك حقاً جُزءاً مني ..)
استدلتُ ستار عينيّ بخجل والهواء يُداعب وجنتيَ وشعري.
القرب دفئ والحقيقة يقين، في حين يتوقف الزمن عن الجريان وتتوقف الحياة عند هذه الدائرة .. ولكأن لا ماضي ذهب ولا مُستقبل سيأتي .. وأن سعادة هذه اللحظة هي كُل ما أريد وكُل ما أطمع بِه .. أن تكون الحياة بهذه البساطة .
-( أحبكِ ..)
فأجأني بلحظةٍ واحدة كاد قلبي يخرج من ضلوعي، كان صمتي قوياً وملامحي طفولية وكُل ما بداخلي يصغر بي، حاولتُ أن أمتلك نفسي قبل أن تمتلكني وأجبته بصوتٍ خافت يُكاد يُسمع:
-(وأنا أيضاً..)

أنفجر ضاحكاً لكن بصوتٍ رقيق جداً ووجهٍ ملائكي:
-( يا الله .. كيف ألتقيتُ بكِ؟ كيف بين كُل هذا الجمع الغفير من الناس.. أن تكوني بريئةً إلى هذا الحد وفي هذا الزمن .. أكادُ لا أصدق!..)
أجبتهُ بقليلٍ من عنفوان الغضب:
-( ماذا تقصد؟ أنا أعلم كُل شيء .. وهذا الجمع الغفير ليسوا أفضل مني .. لستُ بريئة كما تظن..)
أشحتُ بوجهي عنه حين رد علي:
-( مجنونة .. أنتِ لا تعلمين بأن هذا سر حبي لكِ.. أنا أحبك هكذا ..
وإذا كُنتِ حقاً كباقي الناس .. وتجاهلاً لكلماتك .. أحياناً اتمنى لو أملك مرآةً لتري وجهك .. ستعلمين وقتها عن ماذا أقصد ..)
أكمل يضحك كمن يُلاعب طفلاً صغيراً، وبادلته الغضب بضحكةٍ تخرج أصدائها من القلب حين أدركت بأني أميرته ..
وبعد حديثٍ مطول تناول مُغلفاً صغيراً إلى جانبه الآخر وعرضهُ أمامي، كان يبدو كصندوقٍ صغير، وبعينين فضوليتين كُنتُ أتابع حركة يديه إلى أن قال:
-( أريد أن يكون هذا اليوم مُميزاً.. كُلما رأيتِ هذه الهدية ستتذكرين هذا اليوم بكل وضوح .. أعلم بأنها بسيطة .. أتمنى أن تنال إعجابك..)
غمرتني السعادة أضعافاً، ونشوة الحُب الخفية :
-( حقاً! بالتأكيد ستعجبني .. ألا يكفي إنها مِنك .. دعني أراها ..)
فتح العُلبة وأخرج مِنها علبةً أصغر دائرية زجاجية وغطائها فضي وتحمل بِداخلها شيئاً أبيض اللون .. وضع الهدية بيدي وسرعان ما فتحتُ غِطائها لأدرك بأنها شمعة! .. لم أكن بحاجة أن أقترب لأشتمع عبيرها .. فأن عبيرها الأخاذ يصل إلى مواضع الشم دون مجهود .. رائحةٌ زكية لا يُمكن نسيانها ..
قال وهو يرى حدائق الفرح التي أفترشت على وجهي:
-( عندما شممتُ رائحتها .. تذكرتك ..)
لو كُنتُ أعلم حقاً حقيقة المُستقبل لما أخذتها .. وإلى الآن رغم مرور السنين لا تزال رائحتها الزكية تذكرني بذلك اليوم كما قال حقاً.. (كُلما رأيتِ هذه الهدية ستتذكرين هذا اليوم) ولا أملك القدرة الكافية أن أتخلى عن هذه الشمعة التي تَحرقني كُلما رأيتها وكلما شممتُ عبيرها وتذكرتهُ بِها ..
*صندوقٌ صغير ورائحة تحملُ كُل الذكريات ..!*

*****

**الطريق العاجي الذي كنت أمشي به**
**تلك الماسات التي كانت تتناثر بين يدي**
**وشعاع الشمس التي تغذت عليه عيناي**

**وذلك الأمل الظاهر آخر الطريق**
**وتلك السعادة تتناثر أمام عيني**
**أعلن استسلامي لسعادتي الضائعة**

**لا أريدها أن تعود لأنها سببت ألما لاحقاً لا يمكن وصفه**
**ومع هذا لا أستطيع العيش دونها..**

**أنت يا من أنت ،سببت السعادة والألم**
**سعادة امتلأت بها كدت أن أطير ،وألماً أرقدني تحت الأرض آلاف الأمتار**
**أنت يا من أنت ... شكوتك منك إليك...**

(9)

رجاء

**إبحث بداخلك لتجد الحب**

**فإن لم تجده .. ستدرك أنك معشوقٌ لمن لا تعشق**

**وعاشقٌ لمن لا يَعشق ..**

لا ندرك موقعنا في قلوب بعض الأشخاص .. لِشدة رقتهم أثناء وضعنا، وأن تكون الأيام كالتخدير البطيء الذي يسري بالجسد ..هو الذي يوهمك بالنوم بدل الإغماء..ويوهمك بحالةٍ طبيعية هي عكس ذلك ..

كان الأمر طبيعياً في البداية.. نعتاد الأمر شيئاً فشيئاً إذا كان يأتينا على جرعاتٍ قليلة لفتراتٍ طويلة.. وكان الأمر هكذا مع فادي .. الذي بدأ غضبه غير المنطقي يتلاشى شيئاً فشيئاً، لنتبادل أطراف الحديث في بداية تعارفنا .. هذا الرجل العجيب!

كان يحتويني دون أن أشعر ويُراقبني دون أن ألتفتّ، أن يُطري عليّ دون غزل .. ويهتم بي دون أن يُبالغ .. لم أكن أدرك ما كان يُخالج قلبه .. لكني كُنتُ أشعر أحياناً بأني محط إنتباهه وأحياناً أخرى أُنفي هذه النظرية لأشعر بأني أنسانةٌ عادية بالنسبة له، وأن ما أفكر بِه مُجرد أوهام .. إن الوفاق لا يعني الحُب.. هناك دوماً وِفاقٌ من نوعٍ آخر ..

*هكذا كُنت أظن .. ودوماً تُخطئ ظنونـي!*

-(ريما.. لقد أُنهِكتُ حقاً اليوم .. ومن حقي الطبيعي أن أشرب فنجان قهوة ..)

في مكاننا المُعتاد وعملنا المُفعم بالحياة طوال الوقت، نملك وجهان في ذات المكان، أمام الزبائن وجهٌ شديد لا تمتلك شفاهنا أي إبتسامة، ولكأن المال جردنا من أحاسيسنا.. وما أن يفرغ البنك

تعود الأحاسيس جريانها في أوردتنا.. أجبت فادي وأنا أسند ظهري المُتعب إلى مقعدي الذي يكاد يتهالك من تأرجحي:

-( ألا تعتقد بأني أستحق أيضاً ما تستحق..)

-(حقاً!..)

بسخرية أجبته:

-(يبدو أن عليّ تغيير ملامح وجهي.. قد تظنني رجلاً آلياً.. وإن شرب القهوة قد يُتلف أجهزتي..)

ضحك وهو يقول:

-(كُنتُ أريد أن أحاصركِ لكي تكون قهوتي على حسابك .. لكن يبدو أني لن أنجح..)

-(لا تحاول أبداً.. أنت دوماً تُعطيني نصائحك على الحساب.. ألا يكفي ذلك! هناك شيءٌ free مجاني.. يجب أن يكون )

-(ألا يكفي! أن يكون كُلي ملكٌ لكِ..)

لم أتمالك دهشتي إلى أن أكمل بمزيجٍ من الإرتباك والمُزاح:

-(أقصد .. بأني أقضي نصف يومي إلى جانبك .. تكادين تكونين عائلتي..)

أكمل عمله وهو يضحك وشاركتهُ دعابتهُ دون أن أشعر للحظة بأنها دعابة..

لكن القلب دوماً يُنفي ما يدور بالعقل من فرضيات.. وهذه المعركة منذ الأزل إلى الأزل ..

## كُتب على جبين العُمر .. أن هواكَ منزلي

## وأن العمر دونك يا حبيبي

## قبرٌ ..!!

## وفي وِصالِكَ ينجلي

كانت الشمس تتوسط السماء .. ليكون النظر في عينها مستحيل، أرتديتُ نظارتي الشمسية بلونها القاتم التي تحجب أشعة الشمس وكل الألوان المُحيطة بي، في بداية الأمر كان إرتداء النظارة يُزعجني وقد يوقعني عن إحدى الدرجات، وكُنت أكرهُ فيها سلب الألوان من حياتي إلى أن اعتدتُ الأمر وأصبحت الألوان بجميع درجاتها لا تحتل أهميةً كبيرة.

*كُل شيء مع الأعتياد يصبحُ مُمكناً..*

كُنتُ برفقة والدتي لنتسوق .. بالإضافة لإنطلاق بلابل البوح والتي لا تُغرد إلا في أماكن عامة حيثُ الهواء العليل والمكان الجديد سبباً في الراحة النفسية التي تسبق مجرى الحديث.

الصُدفة كفيلة بقلب مجرى القصة، وأنقلبت قصتي في صدفة هذا اليوم...

أكملتُ التسوق لأشتري من الألوان ما يُحبه محمد ومنها اللون الأزرق، حيث إنعكاس اللون في وجهي يروق له. وبعد الإنتهاء وأثناء خروجنا من المول وبالذات عندما فُتح الباب الخارجي على مصرعيه.. ليكون لقائنا الأول وجهاً لوجه مع خالتي سِهام، لم يكُن الامر سوى مصدر سعادة عندما رأيتُ وجهها البشوش وإنبساط سرائرها وهي تحيي أمي، في حين أكملت عِناقها على جسدي وهي تقول:

-( ريما .. ما أجملكِ يا فتاتي.. قد كبرتِ وأصبحتِ عروس..)
أبتسمتُ من أعماقي عند كلمة عروس، فليتها تعلم بأن أبنها هو فارسي وزوجي مُستقبلاً، وليتني كُنتُ أعلم بأن أبنها قاتلي وجرحي الماضي..
قاطعتها أمي:
-(هل أتيتِ وحدك؟ إذا كُنتِ لوحدك تعالي لتكملي الطريق معنا..)
-(في الحقيقة أتيتُ مع أبني، وها هو آتٍ خلفي..)

لم تُخطف الإبتسامة بل أقتلعت من جذورها، ودق قلبي وهو يتخبط كأنهُ سيخرج من جسدي ويقتلع كل بابٍ للخروج، وغشاوة الخوف التي أحتلت عيناي. الآن وفي هذه اللحظة سيكتشف أمري قبل أن أخبره، الفرق سيكونُ كبيراً بين أن يعلم صُدفةً قبل أن أخبره، وسيكون مدى الصدق والكذب شاسعاً، هُنا لن تُجدي الإعذار مهما كانت كبيرة، ولن يُجدي الحُب أي نفع، ستكون نهايتي في هذه اللحظة،ويا ليتني أخبرتهُ منذ البداية لكان الأمر أهون، لما أبتعلتني أناكوندا الكذب في خطأ واحد لم يكن في الحسبان،

أردتُ إنقاذ نفسي قدر الإمكان، وأردتُ الإعتذار للعودة إلى الداخل بسبب نسياني لهاتفي، لكن الكلمات لم تجد وقتها عندما قُذفت إلى أمعائي بعد أن وقف أمامي وجهاً لوجه، وبالتأكيد لجهله من هي والدتي، كانت إبتسامتهُ الخجولة تُعانق عيناي، بينما قلقي يطوف على وجهي وإرتباكي يكاد يتحول إلى دموع.

*لا تنطقي يا خالتي .. ودّعيني .. دعي لي فُرصةً واحدة أن أخبرهُ الحقيقة..!*

-(إنه ابني العزيز محمد .. محمد إنها خالتك أم نبيل وأبنتها ريما .. بالتأكيد لم تتذكر ريما.. لكنها كانت الأحب إلى قلبك عندما كُنتما صغيرين..)

أتبعت كلماتها بضحكةٍ بريئة وقد تمكنت بجملةٍ واحدة من هدم طوابق عديدة أولها الثقة وآخرها الحُب وفي وسطها إبتسامة محمد..

*لم أكن أقصد!*

هكذا هتف قلبي له ولم يسمعني، بقيت عيناهُ معلقةٌ في وجهي وهو يُحاول لملمة دموعهِ الحائرة في عينيه. في هذه اللحظة فقط أدركت كم يمكن للآلام أن تتجمع في دقيقة، أن تشعر بدوران الأرض من تحتك في دقيقة.. وأن تفقد سعادتك في دقيقة .. أن يكون الكذب هو بدايتي معه والصدق هو النهايه ..

-(حسناً أمي.. سأنتظركِ في الداخل..)

صفعني بجملةٍ واحدة ونظرةٍ واحدة .. سقطت معهُ كُل أحلامي ثم مضى إلى طريقه .. كُنت أحتاج أن أكون وحدي لأبكي كثيراً، فأن حصر الدموع في هذه البؤرة الصغيرة لن يكفي، لن تتسع عيناي أكثر لطوفان الدموع الذي سيغسل جسدي بأكمله ..

*عُد أرجوك أن تعد! دعني أقول لك ما بقلبي .. عُد ولا تتركني أعاني .. فصمتك الآن يطعنني .. لا تذهب وعُد ... فلدي الكثير مما أقوله ..*

لم يسمع ندائي ورجائي، لم يشعر من عيناي مدى إحتياجي له ومدى أسفي، أتكون نهايتنا بكل هذه البساطة.. وكُل هذا الألم!

كانت المسافة أطول إلى منزلي، وكان كبت الدموع أثقل على عينيّ، كان التمثيل بأني طبيعية أصعب وكتمان حرقة قلبي أكثر إيلاماً..

إلى أن وصلتُ غرفتي وتركتُ جسدي يُلقي أثقالهُ ووهنهُ على سريري بعد أن ألقيتُ كل ما بيدي وأنهارت قواي كُلها .. إنتظار هذه اللحظة كأن أكثر صعوبةً مِنها، تهالكت الكلمات في فمي وخبتت كُل الفُرص، تهاوت كُل أعذاري وتقاذَفت على مِداد العُمرِ آمالي .. أفقدتهُ للأبد؟ أم أن هذا هو الإمتحان الحقيقي للحب!

لم يُكن هذا أو ذاك.. كُل الإمتحانات في حياتي لم تكن إلا ورقةً واحدة في يدي، ولم تكن النتيجةُ إلا لي، وما نلتُ في بدايتها إلا السقوط ثم السقوط .. وأستطاع جميع من حولي من تجاوزها بسهولة.. لم يكونوا أذكى مني، لكنهم أكثر خبرة وأكثر جرأة وأكثرهم نسياناً.. في حين كُنتُ صغيرةً في فكري وفي عشقي صغيرة ..

لم أجرؤ لمدة يومين على إرسال أي كلمة ولا حتى الإتصال بِه، إلى أن فاض الصبر ونازعني الشوق وأضرمت نيران الخوف في صدري..

جلستُ أكتب وأمسح ما كتبت لتصبح الحروف كُلها غير كافيه .. غير مُرتبه وغير مُعبرة.. أحتاجُ أحياناً أن أدخله قلبي ليرى بنفسه.. كم كانت نيتي صافية وكذبتي بريئة وعشقي لهُ أبيضاً كالسحب في السماء..

(إلى من وثقتُ بِه وخذلته.. إلى من عشقتهُ دون أمري.. دع لي فرصةً واحدة وإن لم تُجدي كلماتي نفعاً فغادرني إلى الأبد .. ولن أعاتبك ما حييت..)

بقي هاتفي مُعلقاً في يدي وأنا أكرر قراءة ما كتبت وأرسلت وأنتظر بفارغ الصبر أن يُجيبني.. لكنه لم يُجب!

**ما يؤلِمُ حقاً**
**أن تُنتَزع روحگ وأنتَ على قيد الحياة ..**
**فلا الأرض تَحملُ اجسادنا.. ولا السماءُ تُغطينا**

أن تدخل أعماق نفسك .. لأمرٌ مُخيف!

ومهما أدركت أنك عرفت نفسك .. فأنت لم تدرك بعد .. ومهما ظننت أنك وصلت .. فأنت لم تصل بعد .. أن أدراك نفسك يحتاج إلى التركيز والتعمق والجرأة والشجاعة .. وأن تصل فأنت بحاجة إلى عُمر غيرك فوق عُمرك ..

لا أنكر بأني ظننتُ للحظة بأني أدركتُ نفسي.. وبأني حقاً وصلت!

وعلى مقاعد الإنتظار كُنت أجلس بجانب فادي، لكم كُنتُ أكره رائحة المشفى وأتجنبُ دوماً الدخول إليها، لكني اليوم أرى أني مُجبرةٌ على الدخول عندما أتصل بي فادي يُخبرني عن إصابة عماد بحادثٍ مروع .. ما كان مني إلا أن أتيت.. لأشتم رائحة الموت والدم ونواح الأرامل والأمهات وبكاء الأطفال .. حيثُ يجمعُ نفس المكان .. الميلاد والموت .. وحيثُ يكون المرء أكثر إيماناً بأن الحياة قصيرةٌ جداً.. وأن الموت يُدركنا قبل أن نُدرك الحياة.

قُلتُ بقلق:

-(هل سيكونُ بخير؟ أنا خائفة..)

تحولت عيناه إلي ليرتكز نظرهُ أخيراً إلى مُقلة عينيّ، حيثُ الدموع تنسابُ بهدوءٍ على خديّ، أشاح بصرهُ سريعاً حتى قبل أن تكمل دموعي طريقها وهو يقول:

-(من يراكِ بهذه الحالة سيظن بأنهُ قد مات.. الحمدُ لله أن عائلتهُ لم تصل بعد..)

شقتّ إبتسامتي دموعي وأنا أضحك بحُزن، أكمل يقول وهو يرى التناقض في وجهي:

-(كُنت أسمع عن إلتقاء الضحك والبكاء .. لكن هذه المرة الأولى الذي أراه بأم عيني.. إنه كإلتقاء الليل والنهار بالذات على وجهك..)

قاطعنا الطبيب وهو يقول:

-( صحتهُ بخير الآن.. لكن يجب مُراقبتهُ لمدة 24 ساعة .. تستطيعان رؤيتهُ غداً بإذن الله ..)

بعد أن غادرنا الطبيب، ألتفتَ إلي فادي:

-(أرأيتِ! إنهُ بخير.. هيا نُغادر ونعودُ غداً..لكن قبل كُل هذا ستشربين القهوة معي..)

-(لا داعي لذلك.. يجب أن أعود إلى المنزل ..بالتأكيد أن والدي قلق..)

-(سأخبره أن عماد بخير.. هاه لا تُلقي الأعذار الآن .. هيا..)

لم أقاوم أكثر وتبعتهُ حيثُ أراد، وأنا أقاوم أفكاري المعهودة والوساوس القابعة في ذهني أن ما أفعلهُ خطأ وأن إنجاذبهُ نحوي واضح.. ورغمُ كُل ما كُنتُ أعانيه .. إلا أني أستطعتُ أن أكون بالهدوء المطلوب حيثُ لا يستطيع أحد إكتشاف الخوف الذي يُلازمني في غياب محمد (الخوف من الفقد .. الخوف من المواجهه)

(10)

أمل

**عاقبني كما شئت .. فأنا أستحق!**
**بدد كل أحلامي وأمحو آفاقي وأقتل آمالي بك**
**فأنا أستحق..**
**سأتألم وحدي كثيراً ولكني سأنسى**
**سأموت اياماً كثيرة ..ولكني سأحيا**
**سأبكي دموعاً حارة ولكني يوماً سأقاوم تفكيري بك**
**وأستسلم لواقعي معك .. بأنك لم تَكن يوماً لي**
**فأنا أستحق..**

طارت جميع العصافير في الهواء عندما تتابعت قدماي وإنتصافي موطن هبوطها، كانت الطيور أكثر أملاً مني، حيثُ تمكنت بجنحانها الصغيرة أن تطير بعيداً حيثُ الأمان وحيثُ لا تدوسهم أقدام البشر، رحلتُ معها بفكري وطرتُ عالياً وأنا أتمنى حقاً الوصول إلى بر الأمان .. حيثُ لا مخاوف تستوطن قلبي ولا أفكار تتقاذفني في كُل حين..

إن الحياة مع البشر .. مليئةٌ بُكل شيء .. نوهم أنفسنا أننا أستطعنا فهم بعضنا .. في حين لم نفهم أحد ولم يفهمنا أحد .. نحنُ كيانٌ لا ترجمة له ولا صولجان .. نخرج من فوهة الحياة مُحترقين بالأحقاد .. مِنا من تبرد نيرانه بعد أن يخرج بعيداً عن الفوهه.. ومنا من يبقى أسيراً لأحقاده ..

كان السر في قلب كُلٍ مِنّا.. وكان اللغز في فم صاحبه ..

حاولتُ بكل ما أستطيع أن أفهم من حولي.. حاولتُ أن أتأقلم كثيراً مع تفكيرهم ونزعاتهم وأحقادهم .. أن أكون مثلهم في عنفوانهم ونسيانهم وتأقلمهم .. حتى في التعبير عن النفس بحرية وفي التنفيس عن الغضب .. لقد حُرمت حقاً أن أنفس عن غضبي .. كُل ما بداخلي عبارة عن كُتلٍ تتجمع فوق بعضها دون مسرب .. كأن الحياة بداخلي عالمٌ آخر .. ولكأن الحياة بخارجي لا تناسبني ..

الآن أستطيع أن أقول بكل بساطة .. أني غريبةٌ في موطني .. غريبةٌ عن نفسي معهم وغريبةٌ عنهم إذا كنتُ مع نفسي ..

زفاف زميلتي بتول ..

حيثُ أنها تزوجت بعد قصة حُب طويلة .. كان لا ينفكّ خطيبها يُفاجئها ويُفاجئنا بالهدايا والعبارات والرسائل التي تنهال على مكتبها من حينٍ إلى آخر .. بالإضافة إلى الورود الحمراء .. بالرغم أني أحب الورود ناصعة البياض .. لكني كُنت أحسدها على رائحة الورد التي تغتال مكتبها بكل عنفوان ..

في حين تتبارز عيون الجميع بالوصول إليها وإطلاق هُتافاتٍ ضاحكة ومِنها مُشجعة .. لكن في جميع الأحوال كان الوئام هو العامل الرئيسي في علاقتنا ببعضنا ..

وكما الحال في حياتي! .. جلستُ على طاولةٍ منزوية عن الجميع .. أتابع الجميع بنظراتي ..

وبعد أن رأيتُ عِدة فتيات أنيقات وجميلات يحتلنّ نِطاق الحفل كأنهن فراشاتٌ من الجنة، تسائلتُ إذا ولدن وهُنّ يحملن مجلة سيدتي في إيديهن .. أشعرُ كثيراً بأن الاناقة أمرٌ سهل لديهنّ.. بينما أنا أعاني أياماً لتنسيق ملابسي وفي النهاية قد أخرج بلا تنسيق ..

واليوم بفستاني الدانتيل بلونهِ الأسود أبدو كمن أتت إلى جنازة صديقتها لا زفافها ..

*يا الله يبدو أني أفقد عقلي كُلما فكرت !*

قاطع عِماد صوت عقلي وهو يجلس على مقعدٍ بجانبي:

-(ما بِكِ؟ أنتِ هُنا لا تُشاركين أحد !)
-(دعك مني الآن .. وأخبرني كيف أصبحت صحتك ..)
-(جيدة.. لكني أعاني من حينٍ إلى آخر آلاماً في الرأس..)
عماد .. هو عبارة عن وجع رأس بالأساس.. إن تكلم لا يصمت وأن أبتسم فلا نهاية لإبتسامته.. بالرغم من تجنب الجميع له .. إلا أني أرى بِهِ قلباً جميلاً لم يراهُ أحد ..حيثُ تُطفئ إبتسامته لهيب حُزنه .. وفي كلامهِ كسرٌ لوحدته .. إنهُ يُعاني دون أن يشعر أحد .. لكن الجميع لا يرى أبعد من نظره ولا يسمع أبعد من أذنه ..

بعد أن تكلم بِما يُقاربُ النصف ساعه، استأذن أخيراً ليُهنيء العريسين وبالتأكيد إستئذانه لا يعني مُضيهُ لوحده .. بل أن تتابع أقدامي سير أقدامه..

كانت بتول ترتدي ثوب السعادة لُتضاهي الجميع بهجةً وتألقاً.. إن الحُب هو السر .. سُر هذا الوهج في عينيها وسر التوق في إبتسامتها ..

*أين أنت الآن؟ أين توقي ووهجي! جميعُ من في الكون يرثي لحالي ولكأن العالم نايٌ حزينٌ بين أصابعي .. لا يبثّ سوى الأنين ..! لا يزف إلا الحنين ..*
*أين أنت يا مُهجتي ووادي .. في حين أعانق الجميع بإبتسامةٍ فإني أعانق قلبي ألما ..*
*أين أنت الآن مني!*

صافحتها وتمنيتُ لها عُمراً طويلاً مع من تُحب.. وأنا أدعو الله بظهر الغيب أن يُعيد لي من أحب .. إلى أن فاجئتني بكلماتٍ مُبهمة أخرجتني من سابع حلمٍ إلى سابع أرض:
-(وأنا أتمنى لكِ حياةً سعيدة مع فادي..)
أتمت جملتها بإسم فادي وهي تغمز لي بعينها، لم تنطق شفاهي بكلمة كما نطقت عيناي ..
أكملت هي مُصافحتها للجميع وأكملتُ أنا تفكيري بكلامها.. بحثتُ حولي علّني أجدُ فادي، أيكون الجميع لاحظ إهتمامهُ بي إلا أنا!
لا.. بل لاحظتُ إهتمامه لكن ليس لدرجة أن يدعو لي أحدهم بالسعادة معه ..
يستطيع الجميع رؤية ما لا أستطيع.. إدراك ما لا أدرك .. الرؤية عندهم لحياتي أوضح من رؤيتي .. لكأني شاشةٌ ثلاثية الأبعاد وأنا هُنا لم أبصر إلا بُعداً واحداً..
أبتعدتُ بخطواتٍ بطيئة عن الجميع إلى أن أنتشلني أحدٌ من بين الجمع وأخذني من ذِراعي عنوةً لم أدرك من هو إلى أن وقفتُ بعيداً عنهم ،وجهاً لوجه.. وقلباً لقلب وأنفاساً لأنفاس :
-(لم يُتعبني إنسانٌ كما فعلتِ أنتِ..)
في لحظةٍ لا نُدرك حاجتنا للبكاء أم للضحك!.. أن نهتم لمن حولنا أو نهتم لأنفسنا فقط ..!
أن ننسى كُلياً أنفسنا مع أحدٍ ما .. نشعرُ معهُ أننا أمام ذواتنا ..
-(هل سامحتني؟..)
كُل ما كُنتُ أنتظره .. (أن يقول نعم سامحتك..) ليرتاح قلبي من تأنيب الضمير .. ليرتاح قلبي بعودته أخيراً ..
-(حاولتُ كثيراً..
أن لا أسامحكِ.. حاولتُ كثيراً أن أنساكِ.. لكنه أستعصى عليّ حقاً نسيانك ..)

نظر حولهُ وهو يتنهد إلى أن عادت أبصارهُ أخيراً إليّ وأكمل:
-(أنا أهواكِ.. لا سبيل للنجاةِ الآن .. )
-(لستُ هلاكاً لتحتاج إلى النجاة .. أنا ريما .. حبيبتك!)
-(لا تعلمين حقاً حجم هلاكي حين أحببتك وعندما صارعتُ نفسي لأنساكِ .. وعندما أستسلمتُ أخيراً لأكون الآن أمامك خائر القوى يهزمني الشوق إليكِ .. يهزمني حنيني.. فلا تتركيني أبداً.. أنا أرجوكِ..)
-(أجننت لتطلب مني .. كيف أستطيع العيش دونك! وأنت حياتي..)
أدركنا أخيراً أننا لا زلنا في القاعة والجميع يتحركون ذهاباً وإياباً.. ضحكنا معاً في حين قال:
-(ألا ترين أنه سيُكشف أمرنا بعد حين .. علينا الخروجُ من هُنا ..)
اومأت بخجل .. ثم خرجنا معاً ..
مشينا بجانب بعض وأنا أتلّمسُ ذراعاي شعوراً بوخزة باردة وخجلاً من فستاني عاري الكتفين .. يبدو أن الشعور يختلفُ من مكانٍ إلى آخر .. ففي قاعةٍ تضجّ بسيداتٍ يتبهرجن بجميع أنواع الزينة والملابس.. أبدو مثل كوزيت في فلم البؤوساء.. لكن هُنا وفي الشارع ومع من أحب وأهوى، أشعر بأني خارجةٌ للتو من ملهى ليلي..
*يا للعار!..*
أشحتُ بوجهي عنه موحيةً بأني أنظر إلى الطريق والمارة .. ووشاح الليل الذي بدأ يُرخي سدوله .. إلى أن شعرتُ بيديه الحانيتين وهو يضعُ سترتهُ على كتفيّ.. كم شعرتُ حقاً بالخجل ولأكني أغوص الأرض أمتاراً.. شكرتهُ بإمتعاض فشعر بي وقال:
-(لا يجب عليكِ إظهار جمالك لأحدٍ من بعدي، وإذا غبتُ لأيام فلا يعني هذا أن يأخذكِ أحدٌ مني ..)
ضحك وهو يُكمل:
-(في المرة القادمة لا أريد أن أراكِ هكذا.. فلا تستهيني بغيرة الرجل.. فأعين الجميع حولك قد أقتلعها ...)
ضحكت معه بتردد:
-(أنا آسفه.. لم أقصد .. المهم الآن أنك عُدت ولن تتركني مرةً أخرى..)
-(فقط في حالةٍ واحدة ..)
-(ما هي؟)
-(إذا يوماً أحتل غيري قلبك لو لدقائق.. لن أعود أبداً..)

بعد إن أنقبض قلبي ضحكت وأجبته بمرح:
-(أنت هكذا تبث السكينة بداخلي.. أنا لم أحبب أحداً من قبلك ولم أخن نفسي إلا معك ..هل من المُمكن أن أخونك وأنا أحبك أكثر من نفسي! )
أوقفني بيده عند أطراف الرصيف بعد إنطلاق الإشارة الحمراء وإنطلاق السيارات من بعدها ..
لا أعلم كيف أنسى نفسي معه.. أتركهُ يقودني حيثُ يشاء .. وأثقُ بِهِ ثقةً عمياء .. ولو تركني لمشيتُ الشارع دون أن أشعر ..
وعند مرور الشاحنات الكبيرة أغمضتُ عينّي، لم أسأل نفسي لِمَ أغمضهما لأني أفعل ذلك دوماً.. إلى أن أنتشلتني ضحكته من إغماضتي .. ألتفتُّ إليه أريدُ تفسيراً.. لكنه مسك يدي ومضى إلى الرصيف الآخر وبعد أن وصلنا قال وهو يغمغم بضحكةٍ لم أرها عند سواه ولا يُمكن يوماً أن أنساها..فقط عندما يضحك لبرائتي .. مُختلطة بالتعجب والمرح:
-(كُل يوم أكتشف بكِ شيئاً.. أتغمضين عيناكِ حقاً عند مرور السيارات !..)
الآن أكتشفت لِمَ كان يضحك! كان يُراقب إنفعالاتي بِدقة، وللمرة الأولى سألت نفسي لِم أغمضهما وأجبته:
-(عند الخوف أغمض عيناي .. كأني بذلك أقتص جُزءاً لستُ بحاجته ..وأنا أخاف من السيارات )
-(أنتِ الأولى في التاريخ التي تفعل ذلك .. يا لكِ من بريئةٍ يا صغيرتي..)

قد أحتاجُ معهُ العُمر كُله لأغمض عينيّ.. لأقتص حقاً جُزءاً لستُ بحاجته.. جُزءاً لن يكون هو فيه حيث شعوري بالأمان .. حيثُ كُنتُ أبصر..
وهكذا عُدنا معاً كما كُنا دوماً.. بل أكثر عِشقاً وأكثر تعلقا ..

*****

**اقتربت مني كثيراً**

**حتى لمست قلباً لم يعرف الحب يوماً**

**وابتعدت عني كثيراً**

**حتى أوقفت نبضات قلبٍ**

**لم يعرف الحب إلا معك..**

**لِمَ اقتربت إلى هذا الحد!**

**وأنت تعلم**

**بأني سأخلص لك في غيابك،**

**وأتألم كثيراً ... كثيراً**

## الصراعات التي تحدث داخلنا
## اما إن تهوي بنا إلى القاع
## أو تصعد بنا إلى القمة
## فقط مِقدار الإصرار هو ما يحدد مصيرك

قطار الأيام السعيدة يمضي بِنا سريعاً .. لتكون محطتنا الآتيه هي الآخيرة.. لا يعود قِطار السعادة ولا نبرح مكاننا آملين بعودته ذات يوم. أذكر أيامنا معاً كستارٍ شفاف لا يبدو من خلفه سوى الألم.. ولا يبدو مِنهُ إلا ظلالٌ بيضاء لا تُرى إلا إذا أمعنتُ النظر بِها طويلاً.

يوم الأربعاء وأنا في عملي، الذي كُنتُ اظنهُ سيمضي كالمعتاد، أستطاع بلمح البصر أن يجعلهُ أجمل يوم .. فلا تخلو مُفاجئاتهُ لي من كميةٍ كبيرة من السعادة، التي تطفو في عيناي كُلما رأيتهُ.. ولم تكُن المُفاجأة أقل تأثيراً عليّ.. عندما رفعتُ رأسي من أمام مكتبي لأراه .. كانت عيناهُ تحمل الحُب والقلق في ذات الوقت.. وعيناي تحمل الحُب واللهفة في ذات الوقت. لم أعتقد أن ضبط دقات القلب بهذه الصعوبة وأن الشعور بالدوار قد يُفقدني توازني. لكني حاولتُ كُل جُهدي أن أعاملهُ كأي زبونٍ يأتي إلى البنك وقلتُ له:

-(هل أستطيع خدمتك!)

بصوتٍ هادئ.. وعينان متقدتان .. وروحٍ مرحة أجابني:

-(أريد فتح حساب جديد ..)

أخذت الإستمارة ووضعتها أمامه.. ولأن فتح حساب جديد في مكتبٍ آخر .. تمنيتُ كثيراً أن لا يلحظ عماد وفادي ويكتشفان أمري ..

لم ينتظر أن أكمل لَه .. فأسرعت يداهُ تُخط على خلف الورقة بكلماتٍ قليلة، تنهد كأنهُ أتم أهم عمل ثم ناولني الورقة وغادرني وأنا مذهولةٌ تماماً، أتابع سير خطواته إلى خارج البنك..

رغماً عني سأبتسم وأن كانت كُل عمان أمامي .. لن أستطيع سبل غور مشاعري أمام كلماته ..رغما عني سترقص دقات قلبي:

- (عزيزتي ريما ..أريد أن أضع قلبي في حسابك ..ولك حرية التصرف فيه
اشتقتُ اليك ولم أنتظر انتهاء العمل ،اطلبي مغادرة وتعالي ..أنا بإنتظارك)

لم ينتظر إجابتي.. كان يعلمُ جيداً أني سآتي ،ولكن المهمة الأصعب هي إقناع والدي ،لكني إستطعتُ أقناعه أخيراً بعد حوارٍ مطول ،خرجتُ وأنا سعيدة . ليس لأني سأراه فقط ..بل هذا دليلٌ قاطع أن الشوق لن يسمح لهُ يوماً بالإبتعاد عني .

جلستُ بجانبه في السيارة وأنا ألتقط أنفاسي من بين فكيّ ضلوعي:

- (أنت مجنون ...أشكرُ الله أن أحداً لم يلاحظ شيئاً..)

بكل برود أجابني:

- (واذا؟..)

لم تكن ردة فعلي أقل وأنا أجيبه:

- (واذا لاحظوا ... سيصل الخبر للبابا فقط ...)

كان صوتهُ واثقاً وهو يُعيد خصلة شعري خلف أذني:

- (لا احد له الحق بكِ .. سواي)

دوماً لهُ الحق بي ... حتى دون أن أسمح له..

رسائل لم تصل

(2)

فادي

من الوهلة الأولى !

شعرتُ بقلبي يقفزُ من ضلوعي .. من أول خطوةٍ خطوتها بإتجاهي علمتُ قطعاً أنكِ ستكونين حبيبتي .. وما كان مني إلا أن خفتُ كثيراً على نفسي .. من حُب إمرأةٍ أستطاعت من النظرة الأولى أن تأسرني ..

عندما بدأت الحرب كان في قلبي يبدأ الحُب .. كُلما قاومتكِ كان أسري أطول وكُلما جفوتكِ أحن إليكِ أكثر ..

لا أريد منكِ أكثر من وجودكِ أمامي كُل يوم .. لا أطمع بأكثر من إبتسامتك وصوتك .. من سحركِ الأخاذ وبرائتك .. من عيناكِ اللتان لا أعلم ما سرهما .. ما سر ذاك الشغف الواضح فيهما ..

لا أريد أن تعشقيني .. فعشقي لكِ يكفي كِلانا .. لا أريد البوح أو الإقتراب أكثر .. لا أريد يا أسيرة قلبي ..

فقط لا تُبعديني عنكِ.. لا تظلميني بهواكِ ..

ولا تحزني أو تبكي .. لا تكوني وحيدة ..

بِقدر إشتعال قلبي لأجلكِ .. بذات القدر يا أسيرة قلبي أخافُ الإقتراب .. أخافُ فِقدانكِ ما حييت .. أن تكوني بهذا القُرب خيرٌ من فِقدانك ألف مرة .. وهذا العذاب لأهون علي من التفكير للحظة أن تكوني بعيدة ..

ذاك البُعد الذي لا يسمح لي برؤيتك.. عِناق تفاصيلك .. ونشوتي في إبتسامتك .. وحُلمي الدائم بالإقتراب منكِ ..

أحبكِ وكيف لا .. وفي كُل لحظةٍ من عُمري أراكِ ..

(11)

فُراق

**الأمر أشبه بمن يقوم بإحتضانك ثم يطعنك في ظهرك**
**أتحزن لأنك ستخسر حياتك!**
**ام لأنك خسرت من هو أغلى من حياتك**

في إحدى أيام شوقي أرسلتُ كلماتي لتكون رسالةً تعانق هاتفي قبل هاتفه.. كانت كلمات تُحيك الشوق من ذهب .. وأنتظرتُ أن يُجيبني بلهفة العِشق الأولى واللقاء الأول .. فكل يومٍ معه يعني بدايةً جديدة .. وكُل لهفةٍ هي أغصانٌ تُزهر بداية كُل ربيع ..

أنتهى الفصل عند هذا الحد .. وأنتهت اللهفة بصدهِ الغريب وتجاهلهِ الآثم -ذاك الخالي من الخطيئة - لشد ما أحببته ولشد ما وثقت بِه .. كان الخوف عليه يحتل كل مشاعري .. لم يكُن الخوف مِنه ضمن ما قد أشعرُ بِهِ يوماً . إلى أن ملّني صبري وأتصلتُ بِه راجيةً من الله أن أسمع صوته ليهدأ صوت الخوف بداخلي .. لكن رنين الهاتف المُغلق أخافني أكثر ..

كقطع الجمر مر اليومان على قلبي.. أنتقي بِها الأعذار التي تُخفف من شدة القلق والوهن .. أردتُ أن أتحمل ... لم يُصبه مكروهٌ!.. كيف لي أن أعلم بأن المكروه قد أصابني أنا ..

-(أمي .. أريد أن أهاتف خالتي سهام .. إذا سمحتِ لي..)

تسكب العصير لوالدي وتضع شرائح الليمون بداخله .. لم يكن سوى المطبخ المكان الوحيد الذي أختلي بهِ معها، بعيداً عن أنظار والدي وأسماعه..

كان صوتها هادئاً على غير المُعتاد وهي تُجيبني:

-(هل تُخبريني ما هو السبب! أم هي عادتكِ في الإلحاح دون سبب..)

*أريد أن أطمئن عليه!*

-(في الحقيقة أمي .. أريد الإطمئنان عليها .. ألا يكفي أني لا أستطيعُ زيارتها؟)

-(حسناً يا عزيزتي .. وأخبريها أني سآتي لزيارتها غداً..)

غادرتني في حين دبّت السعادة في قلبي وسارعتُ إلى هاتفي للإتصال بِها .. بالطبع بعد أن أخذتُ رقمها من أمي..

هي فقط تعلم أين هو الآن! وماذا حصل ليختفي هكذا - دون سابق إنذار- أريد كلماتها التي أصبحت حياتي مُعقلةً بِها .

كان من الصعب أن أتكلم معها بهدوء، أن أقيد مخاوفي بسلاسل مُمتدة من جذور قلبي .. وضعني محمد في أشد المواقف ألماً ..

أقصاني إلى ما وراء الهلاك ودون أن يشعر(**آلمني** )..

بدأ عقلي يفقد مجاذيف تركيزه، وقلبي يتخبط بأمواج نبضاته.. أريد الوصول .. أريد الأمان . خرج صوتي دون أي إنفعال .. خالي من كُل شيء.. فكل شيء يختبئ بالأعماق:

-(مرحباً خالتي .. نعم أنا ريما

أنا بخير .. أحببتُ الإطمئنان عليكِ..)

دوماً وعلى مرّ العصور .. صوت الأم هو تاريخٌ لحياتها ووصف موجز لما تمر بِه .. وما كان صوتها إلا صفارة الإنذار لقنبلةٍ ستصيبني لا محاله..

صمتّ أستمعُ إليها..نواحٌ صامت وألمٌ يدوي في كُل مكان .. رحلةٌ قصيرة بدأت بمكالمةٍ وأنتهت بِها .. أستمعتُ إلى أن جف الدم في عروقي إلى أن تقاذفتني الأمواج في كُل صوب .. أين أنا ! من أنا! وماذا أفعل!

توقفت الأصوات عن الوصول إلى أذني، توقف عقلي عن التفكير.. كل ما حولي يدور إلى ما لانهاية - أين أنا – إني أعيد السؤال مِراراً على نفسي كرجلٍ في الخمسين أكتشف للتو إصابتهُ بالزهايمر.. أحاول التنفس بصعوبة .. أنفاسي صخورٌ ثقيلة لا أستطيع رفعها. كيف لي أن أصدق ما تقوله لي! هو من يُحبني جداً! هو من وعدني ألا دموع تُعانق خدي!

*أين أنت! تعال وبدد شكوك الجميع.تعال وأحمل جثة قلبي بين يديك*

*لا تذهب وحدك يا عزيزي ...*

أغلقتُ الهاتف بعد أن أقنعتها بكلماتٍ لم تُقنعني .. أن كُل شيء سيكون بخير ..

خرجتُ من منزلي وحملت جثة قلبي لوحدي، *يموت الكثير أحياناً .. دون تشييع .. دون مأتم.*

ركبتُ سيارتي ومضيت إلى لا مكان ولا زمان.. ضاعت سبلي وأنا أحاول جمع شتات تفكيري.

أُوقفتُ السيارة في منتصف الطريق، عندما أدركتُ أن لا قوة لدي للإستمرار، وأن دموعي تُعيق علي الرؤية. لم يكُن بُكاءاً بقدر ما كان صُراخاً يتعثر أسفل حلقي، أكانت خيبتي مِنه هي السبب! أم خوفٌ يهيمن على قلبي! شوقٌ لأرتمي بين أحضانه أشكوه ما فعلهُ بي، فيأتي صوتهُ بلسماً لِجراحي.. لكن قلبي لا يُصدق ما فعلهُ بي، هنالك صوتٌ صغير يخرج من أعماقي يُخبرني أن أثق بِه، لن يطول غيابه كثيراً.. لا يستطيع العيش دوني، أنا جنته على الأرض ولا أحد يتخلى عن الجنة.

عدّتُ إلى البيت كأن لا شيء حصل خارج حدوده، عُدتُ كأي يومٍ طبيعي .. أكمل حياتي كما كانت قبل أن يجتاحها، هذا الإدعاء الذي لن يجعل حياتي حقاً كما كانت قبل لقائه، هُناك نُقطة تفصل بينهما.. لا شيء يعود كما كان - أبداً -

ومضت الأيام .. يوماً تلو يوم .. حلمٌ جميل أستيقظت بعدها على كابوسٍ أبدي ..

## وعندما فقدتُ الأمل بلقائك..

## بأنك أبعد من أن تسمع صوتي أو تشعر بألمي،

## عندما فقدتُ وجودك وسعادتي،

## رجوتُ الله كثيراً أن تعود

كُلما مضت الأيام أفقد الأمل أكثر، وكُلما خَفَتَ صَوتُ قلبي خفتُ اكثر .. كُلما وقفتُ على قدميّ أنازع الحياة من بعده فإني أنهارُ أكثر ..

إلى أن أتم الشهر ..أتمها ما بين صراعاتي وأفكاري وشكوكي وخوفي .. كيف لهُ أن يُسافر فجأة .. أن يتركني بهذه القسوة .. كيف لهُ أن لا يمنحني فرصة الوداع الأخيرة.. أن لا يمنحني فرصة البكاء الأخير..

إن الإنتظار لأشد قسوة .. إن الصمت لأكثرُ ضجيجاً .. أن من يمنحون جنازةً أخيرة لذواتهم هُم من يعيشون مرةً أخرى .. أما من تحتضر ذواتهم فلا سبيل للسلام ..

شعرتُ حينها أني فقدتُ نفسي بكُلِ ما تعنيهِ نفسي .. إن أكثر الناس مِثاليه، وفاءاً وأخلاصاً، أكثرهم حُباً ووداً، هُم فقط من يصعقوننا بالغياب، ولأنهم مِثالنا الأعلى تنهار معهم قممٌ بنيناها في سنين ..

لكني رُغم كُل هذا قاومتُ أفكاري ولمحتُ طيفه بعد كُل ليلة شوقٍ يُناديني .. يطلب مني أن أنتظره .. أن لا أتركه كما وعدته ..

***

حملتُ رواية (الخيميائي لباولو كويلو) بيدي وهاتفي باليد الأخرى ومشيتُ بخطواتٍ بطيئة إلى حديقتنا، حيثُ يجلس مقعدي مُنذُ سنين في نفس المكان وتُظللُ عليه شجرة الزينة.. هُنا مكان الإسترخاء الخاص بي .. هُنا أفضل الجلوس وحدي مع وحدتي أو كِتابي ..

رن هاتفي قبل وصولي ولمحتُ رقماً غريباً دولياً.. لم أكترث كثيراً بسبب أخطاء الأرقام التي تحصلُ كثيراً.. رقمٌ واحدٌ فقط يحول مسارك كُلياً ..

-(أشتقت لكِ كثيراً..)

أبتعلتُ شهقتي الصاعدة إلى حلقي، ووقعت الرواية من يدي .. فقط في جملةٍ واحدة، من صوتٍ أنتظرتهُ طويلاً.

شعر بذهولي فأكمل يضحك:

-(عفوية جداً في إنفعالاتك .. أنتِ لا تتغيرين أبداً..)

نسيتُ كُل لحظةٍ تعذبتُ بها .. فالغريق مهما أختنق وتلاطمت يداه البحر فهو يُمسك بأول مركب نجاة وإن أنتظرهُ طويلاً، فالحياة تستحق أن نتمسك بمن يُشعرنا بلذتها وسعادتها.. تمسكتُ به دون أن ألومه على ما فعل، لم أرد سوى أن يكون معي، أن يعود إلي:

-(وأنا أيضاً.. أشتقت لكَ كثيراً..)

-(أخبريني ماذا فعلتِ في غيابي! )

*عليه أن يسألني ماذا فعل غيابهُ بي!*

-(لا شيء .. كُنتُ أنتظر فقط، لأني على يقينٍ أنك ستعود إلي..)

*حصل كُل شيء وقد فقدت للحظةٍ الأمل في عودتك..!*

تحدثنا لساعات ..

كنتُ طوال الوقت أضحك وكل ما حولي يبتهج سعادةً ،بلحظة أوصلني لقمة الفرح من قاع الألم ،محمد فقط من يستطيع فِعل ذلك بي، لذلك أنتظرته ولذلك فقط أحببته .في آخر المكالمة ودعني وأوصاني أن أعتني بنفسي ،لم اتألم لنهاية حديثي معه ،فثقتي عادت أننا سنتكلم كل يوم ،وبأن أيامنا الجميلة ها قد عادت ولا داعي للحزن ،ودعتهُ بسعادة كبيرة ..لم أكن أعلم بأن طريق الفراق طويل وطريقي معه لا نهاية له،

إلى أن أتى صباحُ اليوم التالي ليثبتُ أن خيبتي ممُتدة مُتجددة .. لن تنتهي أبداً

استقيظتُ على ولادة الحُب وولادة السعادة. بدأتُ يومي بِه كما أعتدتُ دوماً بعد أن ألتقيته.. فأرسلتُ لهُ كلماتي لتكون أول ما يهتز في هاتفه هذا الصباح:

- (الصباح ما يحلى إلا بوجودك .. صباح الخير يا كل الخير..)

وأين الخير في صباحٍ أنتظرته به ولم يأتي .لم يُجب على رسالتي .قمتُ بالاتصال به ولم يُجب علي ،ولكأني أحاول الاتصال بشخص غير موجود على هذه الأرض ،لكأن أحاسيسه أخذت غفوةً من جديد أو أنها ماتت .

عاود الغياب مرةً أخرى ،كأنهُ يُعاقبني على مُسامحتي له، يُعاقب حُباً أعمى وأصم، فلا يرى سيوف الغدر التي تطعن كبريائي ولا يسمع صوت تحطم الحُب في أواني الكذب .. هذه المرة كان غيابه أصعب ،وفي كل مرة كان يتركني أشعر بأن الموت أبعد وأمنية الموت أقرب.. لتكون الحياة شراً لا بد مِنه .. والموت خيرٌ نتمناه ..

لم أجرؤ أن أبوح عن خيبتي لأحد، فلم أجد فرصةً لأبوح عن سعادتي، وبدأت أذوي كزهرةٍ فقدت شمسها، بدأت أهلَك وأترامى على طُرق الذكريات، أتحامل بكائي ليلاً وأمحوه نهاراً، وأجدد ترياقي كُل يوم لكي أكمل ما تبقى من حياتي، تمنيتُ أن تكون لدي القدرة كما يملك، أن يكون الغياب جُزءاً لا يتجزأ كوجود الماء والطعام والهواء، لكن الغياب كان لي ثاني أوكسيد الكربون، كلما تنشقته أزددتُ إختناقاً.

- (ريما .. أريد الإطمئنان عليكِ..)
- (أيهمك أمري؟)
- (لا يهُمني في الُدنيا سواكِ ...)

عاد بعد أسابيع كُنت أستجدي بِها الحياة، عاد بُكل بساطةٍ يسألني عن حالي، يسألني عن حالٍ لم يكن إلا بسببه، يضحكُ ببساطة كأنه لم يقترف ذنباً بحقي ولكأني لم أتألم ..

- (أنا أكونُ دوماً في إنشغال .. أريد منكِ تحمل ذلك قليلاً.. فكل ما أفعله لأجلنا .. لكي نكون معاً ذات يوم ..)
- ( أنت تعلمُ جيداً أني تحملتُ الكثير.. كُل ما أتمناه أن تبقى بجانبي .. إن فُراقك ألم لا يُحتمل .. )

- ( لا أستطيع أن أعدك .. لكني سأحاول جاهداً أن لا يطول غيابي..)

كم كان كاذباً...ولكم صدقته، فأين الحب وهو يتركني أياما وليالٍ دون أن يباغته حزنٌ على فراقي ،دون أن يتألم على ألمي في فراقه.

وهكذا توالت على مرور الأيام والشهور وأنا بين غيابه وحضوره.. إلى أن أعتدتُ أخيراً على تقبّل حُزني كما هو، على تقبُّل حالتي كما هي .. دون شفاءٍ يُرجى من مرض الغياب.

## الحُزن..!

**كُلما أزداد الحُزن فإنه يُبعدك عن إيمانك .. يُبعدك الآف الأمتار عن من حولك وعن نفسك .. يُلقي بِك في غياهب لن يلتقطك أحدٌ منها سواك ..**

إلى أن لجأتُ أخيراً لما يُغضبُ الخالق قبل الخلق ويُبدد للحظة كُل ما دحضتهُ على مرّ السنين وكُل ما كُنتُ أنهى عنه ..

بعد أن أصبتُ بعوكةٍ صحية ألتقت صديقاتي لزيارتي في يومٍ واحد، كُنتُ قد تماثلتُ للشفاء تقريباً.. تكلمنا وضحكنا لساعات كان ينسحبُ البعض منهم ويبقى القسمُ الآخر .. إلى أن بقيت في النهاية صديقتي رغدة.. زميلة الدراسة أيام الجامعة، وكما كان المُعتاد فهي تقول لي بالتفصيل عن حياتها .. علاقاتها ومُشكلاتها بالإضافة إلى ما تُخبرها بِهِ الأبراج (وطَبّ الفنجان) دوماً هي تؤمن بما لا يُمكن الإيمان بِه .. لكن هذه المرة كان الأمرُ مُختلفاً تماماً.. إيمانٌ من نوعٍ آخر .. مُخيف وجريء ومُخاطرة كبيرة..

-(لم تُخبريني بعد كيف علاقتكِ بطارق! مُنذ زمن لم تقولي إسمهُ لي..)

بتبجح أجابتني:

-(لقد تركته.. الغيرة الشديدة أعمت قلبه .. لهذا تركته لم أعد أحتمل الحياة معه..)

ضحكتُ بسخرية:

-(يا مجنونة .. ألن تتوقفي عن اللعب .. ألا تخافين!)

-(لا أخاف .. فهم بالنسبة لي سواسية، كُلهم أنانيون ولا يفكرون إلا بأنفسهم.. لِمَ عليّ التفكير بِهم! )

-(لا يجب أن تكوني كأحد .. كوني نفسكِ فقط..)

-(نعم .. وأنا نفسي الآن )

أتبَعتها بضحكة وهي تُطبطب على كتفي وأكملت:

-(أنتِ التي يجب أن تتغيري وليس أنا..)

-(لا دخيلك .. )

بحماسٍ مُفاجيء قالت:

-(أتتذكرين نِزار الذي كان يُلاحقكِ في الجامعة.. لقد سألني عنكِ قبل يومين.. لكني كذبت وأخبرتهُ أنك تزوجتِ..)

-(نعم .. خيرٌ فعلتِ)

-(لهذا أصبح الآن صديقي..)

غَمزت بعينها وهي تقول هذه الجملة ففهمتُ عليها وضحكت بصوتٍ كاد يجمعُ من في البيت :

-(حقاً أن الجنون لبيتٌ لكِ .. لقد أضحكتني حقاً ،أخبريني ما خُططكِ القادمة!)

أخرجت هاتفها من حقيبتها وهي تقول:

-(لقد أخذتُ رقم شيخٍ جليل .. يستطيع معرفة كُل شيء من أسمك وأسم أمكِ..تخيلي!)

رمقُتها بعتب:

-(يبدو أن الأمر قد تطور الآن، ولِمَ أنتِ بحاجته إذا كُنتِ تعيشين بهدوء)

-(ومن قال لكِ أني أعيش بهدوء.. لقد مللت وأريد إختيار شريكٍ مُناسب لحياتي وأن أتوقف عن العبث هكذا)

-(وهل سيجد هذا الشيخُ الجليل كما تقولين عنه، الشريك المُناسب.. ؟!)

*خرابيط!!.. بالتأكيد قادتها الحياة إلى الجنون*

أجابتني بكلُ ثقة:

-(نعم.. سأجرب، وأنتِ سجلي رقمهُ قد تحتاجينه يوماً..)

ألتقطت هاتفي تُخزن الرقم حتى قبل أن أجيبها مُعترضة:

-(لكني لن أحتاجه، أعيش بهدوء ولا أؤمن بخزعبلاتٍ كهذه.. الشيخُ الجليل هو المؤمن بالله .. ولا أحد يستطيع رؤية المستقبل سوى السحرة الكُفار الذين يكذبون على الناس ببضع كلمات)

-(على كُل حال.. لن يقتلكِ الرقم أيتها الحكيمة)

لم أفكر بالأمر إطلاقاً أثناء جلوسها ولا حتى بعد مُغادرتها..

*بالطبع إلى حين!..*

**في منتصف كل ليله**
**تبدأ المشاعر بالتراكم على ابواب الذاكرة**
**تلك الأبواب التي أغلقناها طوال اليوم فلم تعد تقوى على احتمال التزاحم**
**فإما أن نكون اقوياء أو تشهد تلك الجدران الأربعة مصرعنا**

عانق القمر خصر السماء .. وأنتشرت النجوم بدلال على صفحتها السوداء.. نامت كُل العيون إلا من أعتاد السهر .. إلا من أسهرهُ التفكير كما حصل لي..

بدأت بالتفكير..!

ما سبب الفراق المُفاجيء؟

- بالتأكيد يريد أن يعود بعد الإستقرار .. فهو لم يستقر بعد

لكن لا .. ألا يُمكنه أن يُخبرني ! بالطبع يُمكنهُ ذلك

قد يكون السبب .. أنه يعمل على مبدأ :

*(أحياناً يكون التجاهل ..إهتمام)..!*

أي تجاهلٍ هذا الذي يقتص العُمر ويُسمى إهتمام ..

تبادر إلى ذهني كُل ما يخطر من أسئلة إلى أن وصلتُ الباب المُغلق وخفتُ للحظةٍ أن أفتحه .. لكني فتحتهُ ..

لقد وجد بداية موطنه في أرضٍ أخرى .. في قلبٍ آخر ..

طرأت ببالي كُل تلك الإفكار الجنونية .. فالمرأة عندما تغار ترى ما لا يُرى .. وتفكر بكل ما لا يُعقل .. وتشعر كأن كُل ما رأته قد حصل ..

الغيرة هي الأسم الآخر للجنون ..

رأيتهُ مع إمرأة غيري .. ينام بين أحضانها وأنا هُنا في أحضان الحُزن كُل يومٍ أنام ..

أنتفضتُ من سريري كأني أستنشق آخر أنفاسي وأني مُفارقةٌ لروحي، نهضتُ واقفةً على قدميّ وكُل جسدي يرتجف.. ذاك الألم .. آهٍ منه لما ترددتُ لحظةً بإعارته أياه للحظات.. علّه يشعر بما يحصل لي .. علّ تجربة الألم تُنعش منابت الإحساس في بدنه، *أن تُجن بكل ما يعنيه الجنون بسبب حب أحد..*

حملتُ هاتفي ولمع رقم الشيخ الذي سجلته رغدة أمام ناظريّ.. كُنتُ أنظر للرقم كمدمنٍ ينظر إلى جرعته .. تِلك المقاومة الآسرة مع النفس في رفض ما قد يودي بهلاكك.. أرمي هاتفي كي لا تنتصر شكوكي .. وفي ذات اللحظة أفكر بالتجربة ،أريد أي كلمةٍ تُطفئ النيران المُشتعلة .. أي دليل أو كذبه تُحييني من جديد

رن الهاتف وتحاججتُ على نفسي أنه لن يرد عليّ بهذا الوقت .. إلى أن أتسقبلني صوته، رجفتُ وسرت قشعريرةً في بدني منعتني من الإستمرار في الوقوف فجلستُ على مقعدي الذي يُقابل مكتبتي الصغيرة..

حيّاني وسألني عن طلبي، فذكرت أسم محمد وأسم والدته .. لم أكن لأصدق هذه الكذبات لولاه .. ولما كُنتُ سأصل لهذه الحالة لولاه .. لقد أقفل في وجهي كُل الطرق .

تذكرتُ حينها ما غُنى:

*وطرقتُ باب العرافات..*

*أيعقل أن ما يقولونه صحيح .. وإن الحُب ضعفٌ إلى هذا الحد .. أن تبحث عن من تُحب في قاع الفنجان وفي يدك المكسوة بالأسى!*

أجابني الرجل وأنصتَّ إليه بإمعان:

-(أنا أعتذر .. لكنهُ لن يعود لأنه يحبُ أمرأةً أخرى ..)

أستطعت حينها أن أتماسك وأكمل يقول:

-(إذا أردتِ أستطيعُ أن أجعلهُ خاتماً بإصبعك..)

هُنا لم يرجف بدني فقط..

بل كاد أن يُغمى علي ،أن أصل إلى هذا الحد! يا الله ..

أجبته بصوتٍ مبحوح:

-(لا شكراً.. إن كان لا يُريدني بكل إرادته.. فأنا أيضاً لا أريده..)

أنهيتُ المُكالمة وبقيتُ لزمنٍ لا أعلمه .. ولم أشعر بطوله ولم أتحرك شبراً من مكاني، أحاول فقط أن أعي حقاً ما حصل ..

لكن ذاك الجُزء ! *إنه يحبُ أمرأةً أخرى..*

حينها أصبحتُ حقاً إمرأةٌ أخرى .. أنسالت الدموع على خدي .. كالبكماء كُنت.. كالعمياء كُنت

بكاءٌ أخرس .. أمواجٌ تتلاطم بداخلي دون أن تصل أعنان السماء.. إلى أن تحشرج البكاء في حلقي وأطلقتُ نحيبي وإنهياري بلحظةٍ واحدة .. أنهارت قواي بسببه .. لم أعِ يوماً سبب هذا الألم الذي لا أجد جذوره .. أن أبكي أحداً إلى هذا الحد ،أن أشعر بمرارة الدمع في حلقي قبل أن يصل خدي،

**"لِمَ أحببتك! لِمَ آلمتني .. لِمَ أحببتني وأنت يوماً لم تُحبني .."**

ثورة الروح لا تُقاوم .. وقفتُ ونثرتُ كل ما بُغرفتي، صرختُ حنقاً وذُلاً وأسى .. صرختُ أبكي نفسي وأبكي فُراقه ..

ريما، كيف تُصدقين هذا الرجل؟

نعم أصدقه، عندما يتعلق الأمر بمصير حياتي سأصدقه، لا .. أنا لم أصدقه، أنا فقط كُنتُ أقاوم نفسي بالشك بِه وأنهارت بكلمة كُل مُقاومتي .. إني أعتنق ما أحسستُ ولم أعتنق كلامه .

بقيتُ على حالي إلى مطلع الفجر، جلستُ على أكوامي التي أنهارت معي ومسكتُ هاتفي، إن الصبر سيقتلني هذه المرة .. ولن يكون مفتاح الفرج:

(أخبرني إذا سكنت إمرأةٌ غيري في موطني.. أقسم لك أني سأغفر لك .. فقط أخبرني ولا تجعلني أنتظر)

لا أعلم ما الذي قد أيقظهُ في هذا الوقت، أكان حُسن حظي أم صدفةٌ لا تمت بأي صلةٍ بي، حينها رن هاتفي برسالة كانت طوق النجاة:

-(اطمئني .. لم احبب سواكِ.. فقط أنتِ)

من بين دموعي شقت إبتسامتي بعرض خدي، رفعتُ رأسي لأدرك أن الشمس قد أرسلت خيوطها الذهبية لتعلن إقتراب موعد عملي .. ذاك العمل الذي يُبعدني قليلاً عنه، حيثُ يتهالك جسدي ويرتاحُ عقلي..

حيثُ هناك ألتقي بمن أكون نصفهُ الثاني.. في حين لا يُدرك بأني لا أمتلك حقاً نصفي ..

(12)

غُرباء

**أنت الخيط البسيط الذي يربطني بالسعادة**

**والوميض الخفي في قلبي..**

**أتلو عليك سطوري وأقف عاجزةً عن رؤيتك لتسمعها..**

**أنت بعيدٌ جداً!!**

**تسكن ما بعد الجبال والبحار**

**وقريبٌ جداً!!**

**تحتل مساحة ذاكرتي كُلها ..**

وبعد ازدحام عقلي بالأفكار بدأت أشعر بصداعٍ في رأسي ،فخرجتُ من غرفتي إلى الحديقة لأتأكد بأني أملك الحرية ،مع هذا لا أعلَم لِمَ دوماً اعود إلى قضبان سجنه وأغلق الباب على نفسي. مسكتُ هاتفي وكلي شوقٌ إليه، ذلك الهاتف الذي كنتُ أقبله بعد كل مكالمةٍ لنا بات الآن كابوساً لي، كتبتُ رقمهُ الذي دوماً امحوه من هاتفي غضباً منه، وأنا اعلم أني بذلك لن امحوه يوماً من ذاكرتي .. وكلما أستعصى الحنين فيّ كتبته..

فأتصلت به!.. كان نبض قلبي كدقات الساعه، وعقلي قد شُلّ تفكيره، ومشاعري تنسلّ مني لخيبة أملٍ اعتدت عليها منه- ولم أتعود- خانتني دموعي كما خانني،

في كل مراحل حياتي كنت أظن بأن ما كنت ابكيه بكاءاً وما كنت أحزن عليه حزناً، وأني قد مررت كما مرّ الجميع بكل مراحل الألم والصعوبات، إلى أن أتى وعلمني أن الحزن أكبر وأن البكاء أشد حرقة ،وان ما مررت به قبله لم يكن حزناً، أن أتعلم لغةً جديدة للألم ..

*أنا أرجوك أن تعطيني سبباً واحداً للغياب حتى أنساك*

## ألا أستحق منك موتاً رحيماً..!

في غفلة أفكاري رنّ هاتفي.. أعتقدت في هذه البُرهة أن الشوق أعاده إلي.. وكيف يستمر الأمل إذا كان يقف على باب الخيبة .. وأذ بِهِ أسمُ فادي يقتل تِلك اللهفة في قلبي. أجبتهُ وأنا حاقدةٌ لإحساسٍ لم يُكن ذنبه سوى أختيار التوقيت الخطأ :

-( أهلا فادي.. هل هُناك خطبٌ ما ؟)

كان صوتي يكادُ أن يكونُ عزاءاً لا ترحيب. أجابني وقد شعر بغبطةٍ في صوتي:

- (آسف ريما ..أظن ..أني أتصلتُ في وقتٍ غير مُناسب ..)

أحسستُ من دفئ صوتهِ المُعتذر بالإرتياح ،أو يبدو أن في لحظة إنهياري هذه... أحتجتُ للشعور بالأمان، أجبته كأني أستعيد صوتي من قاع البئر:

- (لا .. أهلاً بِك في أي وقت ..فقط خفتُ قليلاً وأعلم أن لا داعي لخوفي.. لكني هكذا دوماً)
- (لا بأس، أحببتُ الإطمئنان عليكِ .. بالإضافة..)

ضحك ثم صمت، ضحكت وأنا أجيبه :

-(بالإضاافه.. قُل ما بِك قد صمتّ)

-(أحتاجُ لخدمةٍ صغيرة منكِ.. صغيرة جداً)

-(بالطبع .. أخبرني وسأفعل لك ما تُريد)

-(هل أعد ذلك وعداً؟)

يأخذ مني وعداً بأسلوب، هذا هو الأسلوب القاسي الذي يُجبر المرء على الوعد:

-(بالتأكيد.. )

-(أريد مُساعدتك في برنامج، لقد سألتُ الجميع أخبروني أنكِ الوحيدة التي تعرفين في هذا المجال)

ضحكتُ كثيراً إلى أن جفت الدموع حقاً من عيناي:

-(يبدو سبباً غير مُقنع، لكني لن أحقق معك .. وبما أني قد وعدت .. فلك هذا الوعد، متى تريد أن نتلقي..)

نجحتُ ببساطة أن أهديه السعادة دون مُقابل:

-(أشكركِ من كُل قلبي.. نلتقي غداً بعد إنتهاء العمل..)

كصعود السلم، كان يستدرجني ببطئٍ شديد لكي أكون أقرب له، أن أشاطرهُ جُزءاً من حياتي رغم أنهُ يعلمُ جيداً أني لم أشاطرهُ قلبي يوماً، ولا أعلم ما كمية التضحية التي قام بِها لكي يقبل بالقليل في حين يرغب العشاق بالكثير؟
*عشقٌ غريب!*

**الأسرار قد تدوم إلى الأبد**

**لكن خيوطها السوداء تلتف حولنا**

**دون أن نشعر! ..**

كُلما كان يبتعد .. ليلقيني في حُجراتٍ مُظلمة لا أتمنى سوى لِقائهُ للمرة الأخيرة .. أن أسمع صوتهُ للمرة الأخيرة.. لأصرخ في وجهه إلى أن أفقد صوتي .. أن أتهمه بما يليق بِفعلته .. أن أخبره قليلاً عمّا فعله بي غيابهُ الصامت .. وحضوره الغريب! ..

- بعدها- أن أغادره إلى الأبد ..

كُنتُ أنتظر هذا اللقاء وسماع هذا الصوت .. ها قد أصبحتُ قويةً بشكلٍ كافٍ كي أزرع سكاكين الغياب في عنق حبي له..

**وعندما سمعت صوته..!!**

نسيتُ كل شيء كأن شيئاً لم يكن.. ابتسمت وضحكت. شعرتُ صِدقاً بالسعادة. سعادةٌ لم أشعر بها الا معه.. أيا ترى تلك فرحتي أم قطعةٌ من الجنة ! فما اشعر به تجاهه لم أشعر به تجاه أحد.. نسيتُ بلِحظة عِشق كُل بُكائي وآلامي. غادرتني كلماتي لأشعر فقط بنبضات قلبي .. مُدركةٌ أن عشقي له من ضرب الجنون ..

كان إتصالهُ مُباغتاً .. كدوي صفارات إنذار الحريق .. يأتي بعد أن يحتل اليأس كُل طوابق قلبي. كيف لهُ أن يُدرك التوقيت الصحيح للتصرف الخاطئ.. أن يجتاحني بموجاتٍ حارة بعد أن يُصيبني برود البُعد والفراق .. فتصبحُ مشاعري قطع ثلج ..

يرغب في أن أعيش دونه وفي ذات الوقت لا يُريدني أن أنساه ...ينتظر مني فقدان أملي بِه .. ليعود ويُعيد كُل أبواب الأمل أمامي مفتوحةً في حين كانت موصودة..

كنتُ حينها في غرفتي أبادل فادي الرسائل على الهاتف .. أحاديث لطيفة تُنسيني همومي .إلى أن ظهر أسمه في منتصف الشاشه .. نسيتُ كل شيء لأترك فادي وأجيبه.

كان صوته نسيماً عليلاً ودوائاً لكل الجروح:

- (ريما، لا تعلمين كم أشتقتُ إليكِ..)
- ( ليس بحجم الشوق الذي يقطن قلبي.. لأدرك بعد الأيام الحافلة باللقاء.. ثمن دقائق صوتك الثمينة .. والتي أتمناها كثيراً)

كان صوتهُ مليئاً بالشوق.. حتى كدتُ أصدق أن أسباب فراقه عني حقاً رغماً عنه:

- ( أريد الإطمئنان عليكِ.. أتمنى أن لا تكون غيوم عينيكِ ماطرة .. وأن تكون سحائب الصيف تعلو حاجبيكِ ...)

اجبتهُ بكبرياءٍ مكسور:

- (لا تخف علي، فلم تعد سمائي تغطي أرضك وإن كانت تغطيها لأزهرت حدائق ترسم وجهك في كُل مكان .. لا تقلق .. فأنا بخير ..)
- (هكذا أريدكِ.. قويةً في غيابي وأن لا يُضعفكِ الحنين .. أنتِ من تسندين ظهري المُتعب ..)
- (وانا! من سيسند ظهري في غيابك !)

تنهد بصمت..لأنهُ يعلم أنهُ لم يعد يسندني بل يثقل كاهلي. أكمل:

- (أني مجبرٌ على ذلك، ولا تعلمين حجم حبي لكِ، ولن تكفي كُل كلمات العالم لتصف لكِ مدى شوقي وبإني أعاني أضعاف مُعاناتك .. وإن كان غيابي يؤلمكِ فغيابكِ أشد إيلاماً.. سيأتي يومٌ تدركين بِهِ ما أعنيه.. )

أجبته على أمل أن يقتنع بكلماتي المُشفقة:

- (إذا كُنت تريد فعل شيءٍ لأجلي .. فأبقى إلى جانبي .. لا يوجد سببٌ لتبتعد هكذا ..)
- (ريما، أنتِ ضعيفةٌ في غيابي.. وأنا أعلم مدى حبكِ لي، هذا الحُب يُخيفيني جداً .. أنتِ لستِ كباقي النساء .. والنسيان ليس دواءاً فعّالاً لعلاجك .. هو الوقت فقط الحل الوحيد.. فأذا مُت يوماً أو لم تكوني من نصيبي.. لا تفقدين بِها حياتكِ.. أنا لا أبالغ إن قلت أنك ستفقدين حياتكِ إذا حصل لي شيء ..)
- (ولماذا تُريد قتلي وأنا على قيد الحياة!)
- (أغيب عنكِ لفترة ليست بطويلة .. ألم تلحظي ذلك !.. أني أعود بعد كُل غياب .. ألا يكونُ هذا دليلاً على تعلقي بِك! وفي ذات الوقت لا تربطين وجودكِ بوجودي .. وهكذا إن حصل وأفترقنا .. لا يحصلُ لكِ أي مكروه ...)

سأحتمل لأني اعلم بأن النتيجة لن تتغير مهما قلت له، سأحتمل لأني ظننت انه سيرأف بي إذا أثبت لهُ عكس كلامه .. وأني قويةٌ بما في الكفاية لأتحمل غيابه .. فيذبل خوفه علي ويزهر الحب من جديد .. سأتحمل وكُلي أمل أنه سيمنحني ما فقدتهُ في غيابه.

ودعني بعد أن نجح ببعثرة كياني من جديد وإدخالي إلى متاهاته بكل بساطة.

فتحتُ رسائل فادي فتجاوزت العشرة رسائل واتصالٌ منه ليطمأن عن إختفائي المفاجئ، لم يكن لدي الرغبة بالرد عليه أو سماع صوته ، لا أريد خيانة من أحب. قام بأتصالٍ واحد بإعادتي إلى مقاعد الإنتظار ونفي كل الرجال من حولي ..

***

وجدتُ أمي في المطبخ تُعدُّ طبقاً من الحلوى(تشيز كيك)، سألتها مُضفيةً حِس الدعابة لحديثي:

- (كيف سيكون الحلو من يدان كالعسل ..؟)

تَركت ما بيديها وعانقتني بحنان:

- (بالتأكيد... لن يكون إلا كأبنتي الجميلة ريما ..)

تناولتُ مِنها ما تبقى من خلطة الكيك لأصبها في القالب فوق طبقة البسكويت. مُعطيةً نفسي فرصةً لنتبادل حديثاً سلساً -لا شكوك فيه – إلى أن وصلتُ إلى ما أصبو إليه، كُنتُ قد أتممتُ وضع قالب الكيك في الثلاجة وجلسنا مُتقابلين أمام طاولة المطبخ :

- (امي! متى ستذهبين لزيارة خالتي؟ .. أشعرُ بأنها تحتاجكِ أكثر من أي وقتٍ مضى..)

بطبيعتنا البشرية مستعدين أن نخوض نقاشاتٍ لا مِداد لها من أجل أن نرضي فضولنا، وفضولي كله خرج من أجله وإلا لبقي في سباتٍ عميق. أجابتني أمي بعد إن غصّ الحزن في صوتها:

- ( أعلم ما تعاني منه أختي، وأعلم عُمق الحزن الذي تمرُّ بِه، فهذه المرة كان سفر إبنها.. أكثر حُزناً من السابق .. ويعود السبب لجلوسهِ أطول فترة في عمان مُنذُ سنين)

تتكلم أمي ببساطة دون تعلم أن كُل كلمة تنبش قبور الذكريات.. عندها أشعر بتكورٍ في معدتي وكأن قلبي سقط فيه . تمالكتُ بصعوبةٍ نفسي :

- (لا يوجد أي سببٍ ليتركها هكذا .. إنهُ إبنها الوحيد ..يجبُ عليه أن يشعر بالمسؤولية حيالها..)

قاطعت أمي سيل كلماتي:

- (ومن أخبركِ أن لا سبب لذلك!..)

حان وقت حصاد محصول إنتظاري:

- (هل أستطيع معرفة هذا السبب؟)

تملك أمي اسلوباً مُقنعاً حين تحاور- بل تُراوغ- لا تكذب علي ومع هذا لا تعطيني كُل الحقيقة.. فقط تُريني ما يظهر من شجرة الحقيقة مِن أوراق .. أما تلك الجذور فلا أبصر مِنها شيئاً:

- (كُنتم صِغاراً حينها، كُل حياتنا تغيرت في لحظةٍ ما، موت أخيك كان فاجعةً لنا ولن أطيل في الحديث عنه، لكن الفاجعة لخالتك كان إبتعاد إبنها الوحيد عنها.. تلتها بسنين وفاة زوجها، لم تعتقد خالتكِ للحظة أن الغياب سيأخذ إبنها إلى هذا الحد، أن يتركها دون عودة.. لقد فضلّ البُعد عنها يا أبنتي .. وتركها تُعاني الوحدة في منزلها..)
- (ما الذي يجعلهُ قاسي القلب إلى هذا الحد!)
- (الحقد .. في طفولته لم يُسافر بإرادته، لأن والدهُ أجبره على السفر.. ولليوم لم يستطع مُسامحة والده رُغم وفاته، ولم يطق العودة إلى الديار إلا لفتراتٍ قصيرة نكادُ نراهُ بِها)
- (أي ظلمٍ فعلهُ زوج خالتي! لِمَ يُقصي إبنهُ الوحيد عن أحضانه وهو بأمس الحاجة لوالديه)
- (يا أبنتي .. الماضي لن يتغير وإن علمتِ تفاصيله.. فقط دعواتك لخالتك هي ما يُمكنكِ أن تفعليه ..)

وقفت امي انهاءاً للحديث واختصاراً لأسئلتي، لأدخل انا إلى دوامةٍ لا نهاية لها، ومن ضمن ما نسيتهُ في متاهتي –فادي- التي كانت ملامحه الغاضبة مع مسحاتٍ من القلق في عينيه .. جعلتني أتذكر تجاهلي المُذل له، غارقةً بهمومٍ أكبر من أهمية وجوده في حياتي.

*****

**الحزن ..**

**هو ما يجعلني أكتب..**

**كلما تذكرتك كتبت... وكُلما كتبت بكيت..**

**دموعي ضبابٌ أسود أمام عيناي، يُصّعب علي الرؤيا فأكمل ما بين غمامة الحُزن**

**أسكب جرحي في وعاءٍ أجوف**

**وإن كُنتُ سأتناول ما بالوعاء مرةً أخرى..**

رسائل لم تصل

(3)

ريما

**"محمد ..**

**لا أعلم لِمَ أحبك! فأنت كالأنفاس لي.. ولم اسأل يوماً لِمَ اتنفس!"**

دوماً بعد انقطاعٍ بيننا.. تبدأ رسائلي بإسمك فقط .. مُنفية كُل تلك الأيام التي لا نذكر بِها اسمائنا إلا لحظةَ الغضب .. أشعر أن المسافة تقتل كلمات الحب وإن كان الحب مشتعلاً في قلبي.

أيا خيبتي منك يا عزيزي! أيا جرحاً لن يداوى.. كلما أتيتك بقلبٍ يقطر سعادةً. تعيدني مكللةً بالخيبة، ليتك تعلم كم أنا قوية مع غيرك وبقدر الحجم ضعيفةٌ أمامك، رمالٌ كُلما أقتربت من شُطئانها ذوت في الأعماق ..

**إحرقني يا عزيزي فأنا رمادٌ قبل أن تحرقني..**

رسالتي التي قُتلت منذ يومين دون دفن، بسببٍ تجاهلٍ أتقنتهُ تماماً، بدأت تختفي من امامي بغيمةٍ من الدموع تطوق عيني. عادت ملامح الكلمات تكسرني بعد ان فارقت تلك الدموع وانسابت خيبةٌ على خدي. كيف لي أن أتوقع منك الكثير وانت لم تعطني القليل بعد! كيف لي أن أجازف بمشاعري كلها على طرقٍ مزدحمة! لم تتجاوز رسالتي السطر ولكن ألمها تجاوزني. رميتُ هاتفي من يدي وبكيت بشدة. قاومتُ فكرة مسح دموعي الغزيرة .. كُنتُ بحاجة إليها تقطر في جسدي الذي أبتل بآلامه مِنك .. علّني هذه المرة لا أعود إليكَ مرةً أخرى ..

مسكتُ هاتفي من الارض اريد انهاء كل شيء بضربة كلمات:

- (قد تكون الأرض أطبقت فلم أعد أستطيع التمييز في أي أرضٍ تسكن.. وقد تكون المسافات بيننا أبعد مما كُنتُ أتخيل، مُنذ اليوم لن يُقاس بُعدي بالمسافة لأنها لا تُقاس إلا لمن أقترنت قلوبهم ونحنُ لم نُخلق لبعض ولم تقترن قلوبنا قط .. )

**الذكريات**

**هي قوتك السام في أوقاتك الشديدة**

**شدة الشوق يجعلك تلتهمها**

**لُيلقى قلبك طريح الهوى..**

ذهبتُ لأغسل وجهي..

فالماء هو ما سينعشُ هذا الوجه الصحراوي الخالي من كُل بذور الحياة .. نظرت ملياً في المرآة قبل أن أبدأ بإنعاشه.. ثم غسلتهُ بقوة ونشرت الماء حتى عُنقي .. إلى أن لاحت لي تلك الذكرى في بقايا نقاط الماء المُنتشرة على المرآة ومن بينها عيناي الموحلتان بالحزن حتى الأعماق..

في تِلك الذكرى البعيدة حيثُ كانت عيناهُ جاذبيةٌ لا تستطيع عيناي مقاومتها، أخبرني بصوتٍ كأنه صُنع من مادةٍ تُسمى الحُب:

- (اريد أن أخبركِ بسر ..!)

بإبتسامةٍ ربيعية تنتظر أزهارها اليانعه لتتفتح، أجبته:

-( أثرت فضولي.. ما هو هذا السر؟ وأنت المليئ أساساً بالأسرار ..)

كلمتي الأخيرة كانت كضربة ترجيح في الجولة الأخيرة ، فأنتشلها ليُغيضني :

- (هكذا إذا ! .. فلتحلم ريما الصغيرة طوال الليل بما هية هذا السر ..)

كان لِقائُنا بعد عذاب اسبوع من الغياب المُجبر .. الذي كان يضم إنشغاله ومُناسباتٍ أزدحمت في شجرة عائلتنا. وتِلك اللهفة الأسطورية في تاريخ عينيه.. تكاد تكون الأولى من نوعها .. رحيقٌ مُعتق من الحب المُخزن في زُجاجاتٍ مرموقه .. كُنتُ أتذوقها للمرة الأولى وأنتعشُ في كُل رشفةٍ كأنها الأخيرة .. لم أكن أدرك حينها أن الإدمان على وجوده سيُفضي بي طريحة الأحزان وتلتف بي الذكريات لتكاد أن تُستبدل بجلدي ..

ذِكرى جلوسه بجانبي وشجرة تُرسل خصلات الشمس الذهبية التي نشعرُ بِها ناعمةً على أجسادنا ..

بغضبٍ مُفتعل في قطةٍ مُشاكسة أجبته:

- (لا يُمكنك أن تُخفي عني ما كُنتُ ستقوله .. تعلمُ جيداً أنك لن تنم هذه الليلة أيضاً وعند النوم ستشاركني ذات الكابوس .. هيا أخبرني..)

- ( تهديدك لا يُجدي .. عليكِ تقديم شيءٍ في المقابل ..)

أطرقتُ ملياً بما قال، وبنصف عين نظرتُ إليه وأنا أجيبه:

-( حسناً .. أعلم بأنك عنيد .. لهذا موافقة .. الآن أخبرني ولا تزد جرعات فضولي أكثر..)

نصف عيني لا تكفي .. فالحب بكلتا عينيّ يبدو قليلاً .. أحتاجُ أكثر وأكثر لأعي شجرة السعادة التي تصل إلى الغيوم وتجعلني أنام على بساطٍ أبيض وحلمٍ ملائكي يعتليه جنحان الحُب المُقدس .. أبصرتهُ بقلبي قبل عيوني وأمعنتُ النظر فيه أنتظر إخباره لي بهذا السر ..

*طفلةٌ تضع يديها على خديها مُنتظرةً برنامجها المُفضل بعد ساعاتٍ طويلة من الدراسة ..*

بضحكته العفوية أدركت أن المراوغة أنتهت .. وأني في أتم الإستعداد لِسماع كُل كلمةٍ عن السر :

- ( لو ترين نفسكِ الآن .. )

أرتجف قلبي :

- (ماذا؟ هل فعلتُ شيئاً خاطئاً؟)

-( نعم .. ودوماً تفعلين هذا الشيء بالذات .. هو ذاته السر الذي أريد أخباركِ عنه ..)

- (أتمنى لو كُنتُ أحمل مرآةً لكي أرى ماذا فعلت .. وما الخطب بوجهي!..)

(هُنا) وبهذه الجملة.. ضحك بصوتٍ عالٍ يكاد يوقظ الأموات من قبورها .. ويُخرج الناس من بيوتها ، لكني لم أبادله مزاجه الصافي .. بل تخلل وجهي الإستغراب والتمعن بما قد فعلتهُ وجعلهُ ينتشي ضحكاً هكذا ..

أدرك من صمتي مدى حيرتي ونفث دُخان صمته حتى لامس أنفي لأستنشق رائحة الحُب كُلما أقترب وجهه من وجهي وضحكته التي تتحول لإبتسامةٍ لطيفة:

-( حبيبتي .. كم أعشق إيماءات وجهك التي تُلقي غزلها بعفوية .. فتقبضين على قلبي مُتلصصاً في عينيكِ .. أنتِ لا تُدركين .. لكني أدرك ذلك تماماً .. كلون عينيكِ الذي يُصبحُ لون حياتي كُلما نظرتُ إليهما ..)

بصوتٍ يكاد يُسمع:

- (إذا ..!)

لم يكن قد تحرك مِن مكانه .. ولم يمتلك جسدي من القدرة ما يكفي لكي أبتعد .. فقط هو الخدر يستولي عليها كأنها مُتنملة .. إذا تحركت تنتعش الأعصاب حد الألم .

أنتظرتُ إجابته:

- (عيناكِ هُما السر... لا أستطيع مُقاومة النظر فيهما .. أنهما سلاحُكِ ضدي .. فقط عليكِ أن تُلقي بسهامهما علي ... وسأكون طريح الحُب .. إلى الأبد ..)

فغرتُ فاهي قليلاً لأتمكن من تنشق كمٍ أكبر من الهواء، فأنفي لم يعُد يكفي لضخ الحياة بداخلي .. إلى أن أشحتُ بوجهي عنه فأستعدتُ توازني.. يا له من عاشقٍ يستطيع من نافذة الكلام أن يُغنيني عن كُل أبواب العُشاق لأمضي طوال العمر أمام هذه النافذة المُغلقة في غيابه..

أبتسمتُ له وأنا أقول :

- (من الجيد أن تُخبرني بِسلاحي .. لأني بالتأكيد سأستخدمهُ ضدك ..)

- (لقد إستخدمتهِ وأنتهى الأمر ..)

- (لا .. لم ينتهِ ..)

من بين علو حاجبيه ونصف إبتسامةٍ في شفتيه .. أرتكزت عيناي على الخطوط الجميلة التي زينت جبهته. أجبته بخبثٍ مُفتعل كما هو تعجُبُه:

- (لن يكون سلاحي .. إلا في غيابك ..)

-( إن الخوف بدأ يسكنني .. كيف لكِ أن تفعلي ذلك!)

أجبته بثقة :

- (سأبكي على فراقك ما حييت.. إلى أن تذبل هاتان العينان التي تعشقهما..)

صمت كِلانا بملامح مُتشابهة إلى أن كسرتُ الصمت المُبهم بإبتسامتي التي لم أتمكن من حبسها في داخلي طويلا. مسك شعري وبعثر تصفيفه برقة:

- (مجنونة .. لن تفعليها..)

إلى أن ضمّني بقوة واكمل:

- (عيناكِ لي.. لا حق لكِ بإيذائهما ..)

فليأتي الآن ليرى ( سلاحي ضِده قتلني) وتهديدي له كان تهديداً لا سبيل لغور أضراره القابعة في عيناي... فليأتي الآن .. لن يرى فيهما عالمه بل عالمي المحطم، لقد ذبلا لدرجة أنه لن يُميزهما، وغروري به قد تبدد وتلاشى والآن لا شعور يتجاوز عن شعوري بالنقص..( فلا عيناي جميلتان ولستُ الأجمل ) ولا قلبي يكفيه ولستُ الأفضل. وإلا لكان الآن معي. يُبدد غيوم الحزن من عيونٍ عشقهما دوماً..

مع كُل سُبل تفكيري لم أصل إلى ذلك الطريق الذي لا عودة مِنه ..أن يكون رجلاً خائناً يرسم الحب ويمحوه بسهوله.. أن يكون رجلاً يعشق الكثير من النساء فلا يتذكر أيهن تنتظره، وأيهن تبكي عليه كل يوم. أن يكون ذاك الرجل الذي يَملكُ قناعاً في كل طريق، وخُدعاً مع كل قلب، رجلاً يمشي في طريقٍ ولا يعود إليه، لم أفكر للحظة بأنه خدعني، وتركني دون أن يشعر لحظةً بالندم..

**لم أُلمكَ يوماً**

**لماذا آلمـــتني؟**

كانت الرِمال المُتحركة تغوص بي إلى الأعماق .. في كُل لحظةٍ أنتظرتُ بِها أن يصمد الصبر أمام الشوق ..

وبباقي جزءٍ يعتلي بِهِ جسدي عن أعماق الخوف.. لاحت الذكريات لتُعذبني من جديد..

وحفاوةً بكبريائي الشديد وقفتُ أمام مرآتي ومسحتُ وجهي بيدي لأطرد ذرات الحزن التي قد تجعلني أبكي. بدأتُ أرسم بقلم الكحل حول عيني وجعلت سوادها شديداً كي تخفي حدود الألم حولها وتُظهر جمال عيني فقط، ثم وضَعت أحمر شفاه (لونٌ أحبه مُنذُ طفولتي) ورفعتُ شعري كاملاً على هيئة ذيل الفرس.. شعري الذي طالما أحب سواده، وأصابعهُ نجومٌ تُضيء خُصلات شعري كلما عبر بِها.. (غابته السوداء) كما كان يصفها..

أيمكنهُ أن يتذكر كما أتذكر! فالذكرى الآن تلوح أمامي كسرابٍ وسط الصحراء .. واضحة المعالم لكني لن أتمكن من لمسها أبدا ..

لم تكُن زيارتي لبيت خالتي إلا طلباً من أمي لأوصل لها ثوباً قامت بتفصيلهِ خصيصاً لها،وبالطبع كان من المفروض أن تذهب أمي لكن ضيوفاً أتوا إليها فجأة، أهدوني فرصةً لا تعوض بزيارة منزل خالتي، والتي لا تعلم أمي بأني قمتُ بزيارته مُسبقاً ، وبعد تنبيهٍ شديد أن أعطيها الثوب من باب المنزل وأن أعود، لكن إستقبال خالتي الشديد لم يمنعني من الدخول قليلاً إلى أن تُجرب الثوب كما طلبت مني ..

*سامحيني يا أمي .. لكني لا أرفض دعوة أحد ..!*

قلتُ هذا الكلام لنفسي وأنا أمشي إلى الصالة بخطواتٍ ثابتة ومسموعة بِحذائي الذهبي ذا الكعب القصير .. المُتمم لطقمٍ بقميصٍ ذا ياقة ذهبية وساحةٍ سوداء يتخللها لمساتٍ ذهبية كسماءٍ ساطعة بالنجوم وبنطال قماش أسود .

ما إن إرتكزت عيناي على لوحةٍ صغيرة تضمُ حِصاناً بني لا يبدو مِنهُ إلا رأسه.. حتى شعرتُ بلمسةٍ خاطفة تقودني إلى داخل المطبخ، بسرعةٍ لم يُكن للصراخ مِن مكانٍ في صوتي.. ولذهولٍ في عيني عندما ألتقينا وجهاً لوجه وأنفاساً لأنفاس.

همستُ بصوتٍ يرتجف:

- (محمد! .. لم أكن .. أعلم بوجودك هُنا.. كيف )

لم أتمكن في التركيز بباقي جُملتي التي بُترت أجزاءها من فمي.. محاولةً بجهد من يصعد جبل أن أتمم ما أريد قوله .. لكن أصابعه كالرعد تُصيب لساني فيسقط كُل ما جمعته .. شعرتُ بالسكينة في حين لا تزالُ أصابعه تُمشّط غابتي السوداء وعيناهُ سماءٌ تُغطيها ... ولم يكُن صمتنا إلا تجسدياً للحظة لا يُمكن للكلام ترجمتها..

كان إقترابهُ مع كُل دقة قلب .. يُخفض من وتيرتهِ ككتم صراخٍ بإبهام ..إلى أن طبع قبلةً خفيفة في أعلى خدي .. وضمّني بِشدة في حين لامست شفتاهُ أذني هامساً:

- (حبيبتي .. في قِمة إحتياجي لكِ.. أتيتِ .. مُنذ لحظاتٍ فقط كُنتِ تغزين عقلي .. وها أنتِ الآن أمامي .. تحقيقاً لحلمٍ كان مُستحيلاً..)
أكمل صوته كتنغيمة شِعرٍ من العصر القديم:

- (فلنمضِ العمر معاً..
إجعليني قلبك.. وروحاً في جسدك .. اجعليني أنفاسك.. إلى أن نموت معا..)

أدركتُ إرتخاء ذراعيّ في حين ذِراعاهُ طوقٌ يُقيد كتفيّ، ضممتهُ إلي وأكملتُ وتر تناغمنا:

- (فلنمضِ العمر معا ..
أجعلني دقاتك ..نبضٌ في شرايينك .. إلى أن نموت معا.. )

لأستمر لِقائنا الأزلي قليل الدقائق مُزدحم المشاعر طويلاً.. لولا وقع خطوات خالتي يقترب مِنا .. صوتُ كان كفيلاً بأن يفك أسر أيدينا وُيبعدنا عدة خطاتٍ لم تكن حينها قد استأصلت خفقان القلب لأجل من يُحب .(ها هي ذكرى أيضاً) ظهرت عبثاً بين خُصلات شعري ..

***إن الأمر لا ينتهي.. لا ينتهي أبداً***

*****

**لم اعتلي يوماً عرش الاحلام**

**ولم امتلك جنحاناً**

**لأطير املاً واغفو ألماً**

**لم أنتعل حذاء التكبر**

**وأحببتكَ صغيرة**

**وعشقتكَ كما يعشق الكبار..**

**فلا تتكبر علي**

**وأنهي ما كان بيننا**

**بكبرياء الُحب وبراءة الصغار..**

**إكذب علي وقُل**

**احببتكِ جداً**

**ولكن...**

**لم يكن لدي لغير الفراق**

**أي خيار!**

رسائل لم تصل

(4)

ريما

(عدتُ إلى روتيني المعتاد في البيت)

في الساعات الأولى من اليوم .. أغوص في عملٍ يكاد يكون ملاذا لجسدي المُرهق .. إلى أن يحل المساء مع قهوتي التي نتشاركها أنا وكتابٌ يغفو بين يدي .. يعقبها سهرة خفيفة مع عائلتي إلى أن أصل الجزء الأصعب فأختلي بذكرياتي معك.

أخبرني يا عزيزي أسيمضي العمر هكذا! اسأفقد بهجة الحب من جديد! ام أن الايام كفيلة بشفائي! أحببتكُ صغيرة في جيدها كمٌ كبير من المبادئ التي أحتلت نصف مُخيلتها ونصف عقلها .. فأكتمل الحُب .. حياكةٌ تجانست خيوطها وألوانها ..

إن الحب روحٌ في الجسد .. إن إفترقا يحصل الموت .. عطاءٌ بلا نهاية وشغفٌ منذ البداية .. جميلٌ لو تحقق .. صادقٌ في موجاته فلا شك أو خيانة .. اليقين أن روحك في أمان وإن كانت على زورقٍ مخروم بقيادة من تُحب.

أن تنام ليكون صوته إشراقة الشمس وعِطره أزهارُ المساء .. وعبق الأحلام يلتحف بكما عندما تُغطي السماء أبناءها النجوم.. أن تبدو الحياة صغيرةً في عينيّه وكبيرةً في قلبه، أن تتمنى عُمراً أطول، وانفاساً اكثر ...

(13)

## ربيعٌ في منتصف الخريف

**إلى أن يحين إرتباط القلوب**

**تبقى هائمةً على نبضها..**

كان بإنتظاري ككل مرة، يحمل عشقاً اكبر وحباً أكبر، بُعدي لم يُنقص الحُب في قلبه، وأخطائي تملك المغفرة قبل طلب المُسامحة، كان يعشقني كما عشقت محمد، لهذا يثقل ظهري بهمومٍ اكبر..

واقفاً على باب البنك يُمسك هاتفه عبثاً، لكني على يقينٍ بإنه ينتظرني، يريد أن يراني قبل الجميع، وأعلم يقيناً بأني أشعلت الشوق في قلبه بفترة غيابي ..

ولم تكن إجازتي طويلة المدى إلا خوفاً يدق أوصاله بكل دقيقةٍ تعانق جوف الساعه..

أأكون شبه من آلمني ! أأكون ظالمةً دون أن أشعر! وكيف لي أن أغفر لنفسي وأنا لم أغفر لهُ بعد، وكيف لي أن ألوم محمد وأنا أفعل بفادي كما فَعل بي، ولكني لم أنطق بكلمات الحب له يوماً، ولم أبني له قصوراً من الوعد وفصولاً من الحب، وقاراتٍ مليئة بالوهم، كُنت صادقة معه، حتى أن حزني على محمد واضحاً على وجهي ويعلم بوجوده، فما ذنبي إذا ما زال يُحبني، لكني أعترف أن بعد إنتهاء إجازتي بدأتُ بتلك الخطوات، وجعلته يقترب مني أكثر من السابق، أشعر بالأمان معه، وقد يكون ذلك بسبب حبه الكبير لي، وعدم إكتراثي بحبه، فإن غاب عني يوماً او خذلني، لن أبكي ولن اتألم ،هذه هي ثقتي به وهذه أنانيتي بسعادة مؤقتة في غياب من أحب مخدرٍ مؤقت لآلامي، كُنت بحاجة لأن استعيد ثقتي بنفسي، بأن هنالك من يُحبني ولا يقوى غيابي، ان أستعيد ثقتي بجمال شخصيتي وجمال عيناي، أريد أن أغطي شعوري بالنقص، ذاك الشعور الذي لم يسكن بداخلي إلا بسبب من شعرت بالكمال بسببه يوماً.

ابتسمتُ لفادي ما أن ألتقيت بِه، علّني ألطف غياباً مريراً، ويغفر لي ما فعلته به، فقابلني بتلك الإبتسامة الجميلة ووضع هاتفه بجيبه واقترب مني وهو يقول بسعادةٍ بالغة :

- (ريما، الحمد لله على سلامتك.. )
أجبته وانا من داخلي أضحك:

- (شكراً فادي، في الحقيقة لقد أشتقتُ كثيراً للعمل وأشتقت ...)
لم أكمل كلامي متعمدةً ذلك، وتعديتُ عنهُ ببضع خطوات، لكن صوتهُ المتردد أوقفني:

- (هل أستطيع أن أعرف لمن أشتقتِ أيضا!)
لم أستدر بشكلٍ كامل كي لا اعود فلا نكمل الحديث، اكتفيت بعيناي من خلف كتفي وقلت له وانا ابتسم:

- (اشتقتُ لك ..)
ثم مضيتُ إلى عملي.. لم أرى ما فعلتهُ كلماتي به، ولا اعلم لِمَ كذبت! ولِمَ فعلتُ هذا! كُل ما أردتهُ أن أجبر كسري به، أن أُعطي نفسي فرصةً جديدة في حبٍ جديد، أن أحاول كُل وسعي أن أنسى محمد، ومن سيكون أفضل من فادي، ذلك الشاب الوفي والقلبُ العاشق، لن يتركني ما حييت ولن يجعلني أبكي، لن يُشعل النار بل سيطفئ كل لهيبٍ في قلبي، لن يجرحني بل سيضمد جراحي، سيكون سنداً لي ولكم أتمنى أن لا أرهق قواه وأن أغيب عن غائبي كما مغيب الشمس عن الأرض لكن دون عودة ودون إشراق،

وما كان من فادي إلا أن أعتبر ذلك بشارة خير، وتذكرة الدخول إلى قلبي، دون أن يعلم أن طائرته ستقلع في الهواء بجنحان شخصٍ آخر، حتى لو سكن بداخله، لكن لن يطير يوماً دون جنحان، آلمته كما آلمني محمد وظلمتهُ كما ظلمني، وصبر علي كما صبرت على من أحببت دوماً،

*أأكون نسخةً طِبق الأصل عنك يا عزيزي، أأكون ضمادك من جرح امرأة أخرى، وعندما ضَمدت الجرح هجرتني، وها أنا اليوم أفعل به ما كنتُ ألعنهُ بك، لا أريد ذلك*

*عالجني منك ثم أذهب، اقتل حبك بداخلي ثم اذهب، إحصد ما زرعتهُ بقلبي ثم اذهب، ليس عدلاً ان تترك لي كل شيء وانت قد أخذت كل شيء..*

*****

**كـ وميضٍ يقطع ضفاف النهر**
**وسبات الطيور في الشتاء**
**لحظةً بلحظة**
**كنت تنسال بين يدي**
**كقطع السيف قِلتُ لا**
**وبداخلي آلافٌ القنابل**

**.....**

**بقدر ما اهرب مِنكَ**
**اتوق إليك**
**وبقدر تلك الخيبات التي ألتهمتني**
**فأنا جائعةٌ بك**
**قُلتُ لا**
**وبداخلي كي القاك أُقاتِل**

**.....**

**وها انا اليوم ادركتُ**
**كم كُنت أُحبكَ**
**وكم انني في حربٍ عاتيه**
**كُنتُ القاتلَ وكُنتُ القتيل**
**اغمض عيني كي لا اراكَ**
**وانا في مقلة عيني أنازِل**

**.....**

**يا هائجاً في عرض البحر**
**اما آن لك الاوان**
**ان تنام على شواطئ قلبي**
**ان تحتضن اطراف الشوق**
**وتقطع اوصال الرحيل**
**اما آن لشراعك ان يُعانق رياحي**
**يا هائجاً في فراقٍ أليم**
**اما آن لك اليومَ ان تستقيل**

**. . . .**

**عبثاً نثرتُ اوراقي امامك**
**عبثاً شققتها على ملئ عينيك**
**عبثاً بترتُ قلمي**
**وانشققتُ اليك**
**عبثاً بكيتكُ .. احييتكُ ثم قتلتك**
**عبثاً بحثتُ عنكَ**
**في مخابئ رمالٍ متحركة**
**وقصاصات متناثرة في الهواء**
**عبثاً لن ألقاكَ**
**فأنت هُناك في البُعدِ الآخر**
**وانا هُنا في المنفى**
**وبداخلي تُبنى آلافُ المنازِل**

- ( ريما... أُحبكِ...)

أجلس مُقابل فادي في المطعم، وأرفع خصلةً من شعري عن عيني عندما فاجئني بكلمته التي أهتز لها كُل شعري..

يأتي أفضلُ الناس في الأوقات الخاطئة.. ليكونوا عبثاً غير مُهمين جداً.. ليسوا أهم من الذين غادرونا وقد تركوا نزيفاً لا يتوقف إلا بعودتهم..

لم يُكن حينها من العدل أن أهبه الأمل كما وهِبتُ يوماً وخُذلت، بالرغم بإعترافي لأنانيتي أن أوافق على إهتمامه بي.. والإعتراف الأهم أني لم أوافق لأجله بل لشعوري المؤقت بالنسيان.. الشعور بالسعادة ..

لكن الحب لا يستوي في كُل البشر ولا يُمكنه أن يُشابه كُل القلوب..

صمتّ امامه ولم أنطق بكلمة، فابتسم وقطب حاجبيه يُلملم كيانه أمامي ثم قطع الصمت الذي يكاد أن يقطعنا:

-(لقد فاجئتُ نفسي قبل أن أفعل ذلك لكِ، حاولتُ جداً أن أخفي ما بقلبي لكني لم أستطع .. لا أنتظر جواباً منكِ فلستُ غبياً إلى هذا الحد لكي لا أميز ما تكنينه لي .. لكن علّ يوماً يجمعنا يُسمى النصيب..)

-(لم أشعر يوماً بالوئام مع أحدٍ كما حصل لي معك، لا أنكر شعوري بالراحة عندما أكون معك.. لكني لن أصل يوماً إلى مرحلة الحُب ولا يُمكنني تفسير ذلك بشكلٍ أوضح)

تذكرت محمد في هذه اللحظة القصيرة.. ذاك الحبيب الذي خسرته وكذب علي بكلمة عشق.. كدتُ أن أبكي ولكني تداركت حبس دموعي كما أعتدتُ دوماً وكما دربتني الأيام..

حتى قذف كلماتهُ في وجهي:

- (ريما ..ألا زلتِ تُحبينه؟)

كان تحقيقاً مؤكداً لا سؤالاً عابراً،ألقى بشعلة كِلماته وهو على يقينٍ بأن ناراً تُحرقني وهي الحب.. كانت خيبتي أشد وأكبر وأعمق .. خيبتي بشكلٍ جديد .. تحمل جسداً ووجهاً مشوهاً أستطاع الجميع أن يراه بوضوح وإن جلس طويلاً في الظلام..

نحنُ لا نكون على طبيعتنا عند الوقوع في الحب، نكون اشخاصاً مُختلفين، نتمسك بأدنى شعاعٍ من الأمل، ونتراقص على الجمر بكامل إرادتنا ، لم أكن على أتم الأستعاد في خوض علاقةٍ كانت كمعركةٍ قليلة الموارد، فلم أكن أملك شيئاً، بل أحتاج للكثير، أحتاج أن اعيش .. أن اتنفس .. أن امتلك حريتي

وهكذا بقيتُ جالسةً أمامه وانا كُلي كبرياء، كبرياءٌ طُقت اوصاله، كبرياءٌ لم يكن ليمنع تجاعيد الحزن من الأستوطان في ملامحي، وكان فادي هو الوحيد القادر على قراءة ملامح وجهي، مع هذا كان ينتظرني، ومع كُل حديثي مع ذاتي ونهيي عن الوقوع في هذا الخطأ، إلا أن الألم توغل بي حتى وصلتُ إلى حالة الغريق الذي يتمسكُ بقشة، فأدخلته عالمي وقوقعتي التي أقسمتُ يوماً أن لا يدخلها سوى من أحببت ..

## رسائل لم تصل

## (4)

## ريما

**لا اعلم أين أنت الآن**
**لكني اعلم بإنك بعيدٌ جداً**
**لدرجة انك لا تشعر بي عندما أبكي**

**ولا تسمعُ دقات قلبي عندما اشتاق..**

وحالما عانقت عيناي اشعة الشمس تذكرتك،

لا ندرك حقاً بأن مقدار ما نعيشه من السعادة، سنعيش اضعافه بذكريات تلك الايام التي لن تعود، لو كنا ندرك حقيقة ذلك لما أفرطنا في تناول جرعاتٍ كبيرة من السعادة، لننتهي في أزقةٍ فارغه لا نحمل ما يكفي ليسد الألم، ونركع باحثين عن رشفة حياةٍ قد تنعشنا من جديد،

كُنت معك تلك المدمنة، التي افرطت بتناول جرعاتها وها أنا أتلوى وحدي، احاول قدر الامكان الاستمتاع بأشعة الشمس كما كُنتُ سابقاً، ولكنك هنا تظهر من جديد،، كان لقائنا الأخير بعد مرور سنةٍ كاملة من الغياب، سنةٍ كنت أتألم وحدي وابكي وحدي، انتظرك وحدي وافرغ زجاجاتي المتبقية من ذكرياتنا لكي استطيع إكمال حياتي وحدي، كان لقائنا الأخير غريباً وغير متوقع، بعد مرور سنة علمت بأنك خلال هذا الشهر ستأتي، عندما وصلني الخبر، كنتُ قد وصلت إلى مراحلي الأخيرة من اليأس ومراحلي الأخيرة من المأتم، حتى رأيك بريق الأمل يظهر بين قبورٍ كنتُ أحبو فوقها..

## 27/3/2013

## الأربعاء

في غمرة احاسيسي لم أتوقع يوماً ان لا أعلم منك متى ستأتي، بل أعلم من مُراقبتي الدائمة وسؤالي المُبطن، لم أتوقع بأننا سنكون على هذا الُبعد الشديد والمؤلم، واقعاً انك لم تأبه بي ابداً، وحقيقة أنك وضعتني جانباً كأي قطعةٍ مللت منها

تجاهلت عدم إخبارك لي بقدومك ،وعدتُ إلى المنزل وقد عاد ذلك الشعاع في وجهي، قابلتني امي بإستغرابٍ وخوف، فأبنتها بالتأكيد قد جُنت، لا تعرف سبب حزنها المفاجئ ولا سبب سعادتها المفاجئه، لا تعلمين يا امي بإن رجلاً صنع مزاجي ويعلم كيف يتحكم فيه، يعلم تلك التعليمات التي كتبت بلغةٍ لا يفهمها إلا هو، لا تعلمين يا أمي بأنكِ أنجبتي ابنة عاشقة حتى الموت، ابنة تُفني حياتها من اجل ما ظنّته حبها الأول والأخير،

كان المنزل بأبهى صورة، كأن منزلي ايضاً قد علم بقدومك، غرفتي واشيائي، كل الدنيا تنتظرك معي،

رن هاتفي وانا أصعد إلى غرفتي، فتناولته من حقيبتي وظهر لي اسم فادي، نحنُ انانيون عندما يتعلق الأمر بأنفسنا ، نرمي ما يكون بإيدينا إذا رأينا ما نريده امامنا، قد لا نستطيع إمساك ما امامنا، لكننا نتخلى عما معنا، وكان فادي ذاك الشئ الذي دوماً بين يدي، وكنتُ دوماً أفلته لأذهب إليك، لا أريدك ان تراه او تشعر بوجوده، خائفةٌ من فقدانك

**( خائفةٌ من شيءٍ قد حصل منذ البعيد)**

لم أجب على أتصاله وأكتفيتُ بالنظر إلى نفسي في المرآة، كم من الزمن مرّ علي مُذ آخر مرةٍ رأيت نفسي بها في المرآة ( اني أنظر كُل يوم) لكني لم ارى نفسي حقاً، اليوم أرى كم أخذ حُبك من وجهي وملامحي، كم كُنت بائسةُ وحزينة..

ابتسمت وقلت في نفسي:

- (الآن هو آتٍ بعد زمنٍ طويل، علي أن أكون قوية وجميلة، لا يجب أن يرى بأني قد كُسرت من بعده، عليه أن يعلم بأني استطيع الإعتناء بنفسي وان تلك الاوهام التي كان يقولها سيلغيها من باله ويعود إلي، اعلم جيداً بأنه سيطلب رؤيتي فوطنٌ واحدٌ سيجمعنا وبالتأكيد لن يُقاوم فكرة لقائي...)

كُنت مؤمنةً بحبي لك، وبإنك ستأتي يوماً، غافلةً حكايات الكثير من العشاق التي أنتهت بالفراق، كنت مؤمنةً بنفسي بأني استحق أن اكون معك، فلا حب يفوق حبي، ولا امرأة ستهواك مثلي، مؤمنةُ بقدرٍ سيجمعنا، دون أن أعلم أن نفس القدر لوى قلبي وفرقنا.

**أعجز عن البدء وأنت البداية**

**ولا نهاية لما أنا فيه..**

لم أحتج سوى يومان لأعود ريما المشعه، شمسٌ بعد العديد من السحب قد عادت، كان وهج الحُب واضحاً على وجهي حتى ادرك فادي ذلك، كان امامي في العمل عندما ارسل لي تلك رسالة، لمحته وهو يكتب وكُنت اعلم أنهُ سيرسل لي، فتجاهلت رنين هاتفي لكي أخفي ما بداخلي..

*فادي ذلك القلب الذي جرحت..*

راقبني لدقائق علّني اقرأ رسالته ، لكنه أدرك بأني مُنشغلةٌ بأوراقي أكثر من إنشغالي بأي شيءٍ آخر، لم يطق صبراً فأقترب مني وهمس لي:

- (ريما كم أتمنى أن يتحرك قلبكِ لأجلي... أتركي قلبي جانباً وحركي هذا الهاتف قليلاً)

تبعتهُ ضحكتي التي حاولت كتمها بيدي، قابلني بإبتسامة المنتصر وذهب، أصبحتُ مُجبرة وقتها أن اقرأ رسالته وهو لا يزال يراقبني من بعيد:

- (ريما انتِ اليوم كالقمر المُكتمل، ولكم أتمنى أن يكون مُكتملاً لأجلي، إذا كان هُنالك سببٌ آخر فأخبريني، سوف أحققهُ لكِ لآخر عُمري لكي تبقي سعيدة...)

وتلك الإبتسامة ما بين شفتي اصبحت تضيق شيئاً فشيئاً وتذكرت ما انا سعيدةٌ من أجله، كيف لفادي أن يحتمل سعادتي التي قد أنطلقت جذورها من رجلٍ غيره، وهاهي تكمل جذوعها فوق الأرض بسبب رجلٍ غيره، كيف له أن يتصور تلك الثمار الناضجة والشهية في قلبي هي لرجلٍ آخر، ولم تتشرب يوماً الماء منه بل من رجلٍ غيره، كيف نسيتُ نفسي إلى هذا الحد، وانا اراه هناك يبتسم لي وينتظر إجابةُ قد ظن للحظةٍ بإنها ستكون لصالحه، إجابةً تنهي فصول الإنتظار، أن يحين القطاف قبل الجفاف، أن ينتهي المطاف بي بين احضانه، لا احضان رجلٍ آخر،

اخفيت عيناي واكتفيت بإنزال هاتفي إلى الطاولة، مُدعيةً بأني لا أزال أقرأ رسالته، ارسم على شفتاي ابتسامةً مُزيفة، في حين عيناي تجمعان سُحباً من الدموع،

كُنت ادعو الله أن يذهب قبل أن تنزل دمعتي، لكن عاشقاً مثله لن يهتز حتى لو تناوله أحدٌ عنوة من يديه، حتى سقطت دمعتي فوق الهاتف، على رسالةٍ لا تزال ندية، رفعتُ رأسي متمنيةً ان

يكون اختفى من أمامي، حتى رأيته متسمسراً أمامي لا يبعد بيننا سوى خطواتٍ قليلة، نسي أنه في العمل، وتجاهل الناس التي تتوافد أمامه ذهاباً واياباً، دون أن ترمش له عين، بدا مستغرباً ومذهولاً، فلم تكن دمعتي سعادةً بل اسى واضح، فملامحي التي لم أستطع يوماً التحكم بها، كانت شاشةً واضحة امامه،

لم اعرف ماذا كان يفكر وقتها، لكني حاولت تدارك الأمر، ومسكتُ هاتفي تلامس حروفاً علّها تخفف ما فعلتُ بِه، اهتز الهاتف في جيبه، لكنه لم يشعر بذلك، بقي مكانه وعيناه كمرقابٍ اكتشف للتو نجماً جديداً، يا ترى هل رأى محمد في عيني!! هل أكتشفهُ من جديد!

كنت خائفة من ردة فعله حتى اقترب مني وجلس بجانبي على مقعده، وقال بصوتٍ خافت .. لا لم يُكن خافتاً بقدر ما كان يائساً:

- (أحببتكِ لأنكِ شفافة، هل تعلمين ما تعني شفافة! أن كُل ما بداخل قلبك أستطيع رؤيته ... لا قُدرة لكِ على الكذب، ولا تعرفين كيف تُخفين ما بِداخلك، رُغم أنكِ تحاولين كثيراً...)

اختنق صوته فجأة وصمت، مسك الأوراق من امامي وبدأ بترتيبها، كُنت اعلم بأن هذه عادته عندما يشعر بالتوتر، يقوم بترتيب الأوراق امامه حتى يتمكن من تهدأة نفسه، ليتني لم أكن اعلم، فذلك يعني بأني قد آلمته لدرجةٍ وصل بها إلى اشد درجات التوتر، تلك التي لا تحصل إلا نادراً، تلك التي لم ارها يوماً، بل قالها لي في إحدى احاديثنا على الهاتف،

اوقف ترتيب الأوراق ونظر إلي، اعقبها بقوله:

- (أتمنى أن تعيشي معهُ بسعادة، وأتمنى هذه المرة أن لا يتخلى عنكِ كما يفعل كُل مرة، أريد أن تكوني سعيدة ..)

تركني في حيرتي ودمعتي، تركني امرأةً انانية مُشبعةٌ بحبٍ آخر، اشبه من أحببت حتى نفرتُ من نفسي، لا أريد أن اكون مثله، لا أريد أن ينتهي بي الأمر نسخةُ عنه، لكني لا زلت بذاك الضعف الغريب واللهفة الغريبة إليه ..

رسائل لم تصل

(5)

ريما

12/4/2013

الأحد

**وبتلك السرعة التي اشرقت بها شمسي ..قد أغربت**

**وبنفس السرعة التي صعدت بها سلالم سعادتي ..قد نزلت**

كانت الأيام تمشي كسقوط اوراق الخريف، مع كل ورقةٍ تسقط.. تسقط بها آمالي وتتعرى احزاني، انتظر هاتفي وانتظر قدومك من باب البنك، وأنظر من نافذتي علّك تقف خارجاً، لكن لا شيء قد حدث، فقط إنتظارٌ اجوف ومقاعد خاليةٌ من الحياة،

-عُدّني جارك واطمئن عليه ...عُدّني صديقاً قديماً قد اشتقت إليه، عُدني اي شئ ...او حتى قطةٍ تقطن في منزلك ...اطمئن علي

بكامل غضبي بعثتُ رسالةً مؤلمة ومُضحكة، فقد طلبتُ ان تعتبرني قطةً في منزلك، لكنك هيهات ان تعتبرني شيئاً، نقطةً وبدأت بعدها قصةً جديدة، لن تُدخل سطراً واحداً عني، هكذا انت ..حاكمٌ ظالم عندما تقوم بنفي أحد فأنت لا تعود بقرارك، لا يُعيدك حب أو اشتياق او حتى شفقة، وانا لم أضع نقطةً بعد، خائفةٌ من قرارٍ قد يُنهي أي أملٍ في قلبي، كأن عذابي اليومي في بُعدك أهون من يقين أني خسرتك للأبد..

وبالطبع لم تُجب على رسالتي، وكُلما أُقتربت إجازتك على الإنتهاء، كُلما أغلقت مخارج سعادتي، وأقفلتُ على نفسي لكي أبكي طوال اليوم، كأنك اليوم قد تركتني وخذلتني، جرحٌ أعدتُ فتحه من جديد. على سريري اضم قدمي إلي وأدفن رأسي لبكاءٍ طويلٍ، لم يكُن بكائي يتوقف

للحظة، وكُلما تذكرتك يعلو صوت نحيبي، وتنطلق صيحات الألم التي لن تسمعها يوماً ولن تتخيلها، كُنت هناك احتضر،

أكنت تعلم شيئاً يا عزيزي! أشعرت بي للحظة! لقد خُذلت ..كُلما أنتظرتك أكثر أشعر بالتمزق أكثر، صعبٌ أن تخذل بمن سلمتَ لهُ ثقتك، بإنه لن يتركك ما حييت، اخذتُ كلامك بمحمل الجد، كأنه لم يُخلق الكذب ولم يعش على الأرض كاذبون...

**{بعدد قطرات المطر التي سقطت من السماء، بعدد دموع البشر، بعدد اوراق الشجر، بعدد ما كان وما سيكون، بأعداد من عشقوا، ومن ماتوا، ومن ولدوا، ومن استأنفوا الحياة، بعدد حبيبات التراب، وبعدد ما سرق القمر من اشعة الشمس، بعدد نجوم السماء، ونفحات الهواء، بعدد كُل شيءٍ كُل شيءٍ يا حبيبي}**

**أحببتك ... وخذلتني**

## لم تحتج وقتاً لتنساني

**لكني أحتاج عمرك أيضاً لكي أنساك، أحتاج قلباً آخر وعقلاً آخر، ومخزون ذكرياتٍ آخر، قطعة أرضٍ أخرى لا تسكن ذكرياتك بها ولا تسكن روحي وجسدي، أحتاج لظلٍ غير ظلي وعينان غير عيناي، أحتاج أن أتنفس غير هذا الهواء، أن لا أستنشق هواك..**

-(اشتقتُ لكِ يا حبيبة العمر.. دعيني ألقاكِ لو للحظات)

-(شفيتُ منكَ يا داءاً عُضال.. شُفيت منك رغم المُستحيل.. لن ألقاك لو للحظات..)

ختمت رسالتي بدمعةٍ على خدي، كيف أعاقبه وأنا من أشعر بالألم، كيف أحكم عليه بالإعدام وحبل المشنقة حول رقبتي،

بقيتُ على حالي، لا تفارق الدموع عيناي، سحبٌ لطالما سكنت في عيناي ولطالما أمطرت على خدي ، كُنت أشفق على حالي الذي طال به الأمد، لم يكُن حزني وألمي لوقتٍ بل أمتد لسنين، لم يَكن سوى الذنب ذنبي، هكذا سيقول لي أي أحد أروي لهُ قصتي، إن الذنب ذنبكِ يا ريما، كُنتِ تعلمين بإنه لن يعود، الأمر واضحٌ أنه لم يعشقك يوماً ولستِ جُزءاً من حياته، الذنب ذنبكِ لأنك لم تكملي حياتكِ من بعده، وأغلقتي عليكِ نوافذ الحب، وأبواب العاشقين المستعدين وهبكِ حياتهم لو أردتِ،

بماذا سأجيبهم؟

إن الأمر خارجٌ عن سيطرتي، إن الأمر أشبه بالحياة وسط الصحراء، مهما مشت قدماي لكني أشعر بأني لم أتحرك، إن الأمر ليس بيدي، كيف سأقنعهم بأني حاولت، هل سيصدقون إن أقسمت، لقد تعاركت مع نفسي ليالٍ عِدة ، فينتهي العراك بإستسلامي وإذعاني، فإن مقاومة التفكير به أشد إيلاماً من التفكير بِه..

*خفتُ أن يذهب دون أن ألقاه .. فأعيش ما تبقى من عمري بين أفواه الندم ..*

**1/5/2013الأربعاء**

**4:42pm**

*الآن وانا قادمةٌ إليك، لم أعد أشعر بنفسي، لم اعد أفكر بالنتائج، فقط اريد أن أراك، بعد مرور اربعة عشر شهراً لم أرى فيها حتى طيفك، أنا الآن أتوق إليك*

**1/5/2013الأربعاء**

**5:10pm**

*مثل لقائنا لأول مرة، أعدت إلي كُل شئ .تِلكَ اللهفة وذلك الشوق*

*إلى هذه اللحظة ويفصل بيننا وقتٌ قليل وأنا أشعر بفرحةٍ لا توصف، عندما فقدتُ الأمل برؤيتك ها أنا سأراك،*

بجنونٍ غريب لا أصدق أني هنا .. أنتظر لقاؤك

كأني لم أنتظرك تلك الفترة الطويلة، ولم أجرح من ذلك الصبر

يقيناً مني ...بأني لن أهوى سواك

الحياة منحتني إياكَ، كي أشعر بالصبر والحب، بالألم والمرارة، بالسعادة والإبتسامة والأمل، كُل هذا لم أشعر به إلا معك

**إن كُنتَ قادراً على أن تلقاني للمرة الأخيرة فلا تبخل علي**

**لا تبخل على تحقيق أمنية من يُشارف على الموت**

**فالحياة واحدة والموتُ كثير...**

**سألتك عن حالك، وعن سفرك،**

**سألتك كيف كانت إجازتك، ولم أسألك ابداً لِمَ فعلت بي هذا**

**لم ألُمكَ**

**لماذا آلمتني؟**

في الحب نحن لا نفقد شخصاً، نحن نفقد ذواتنا، نفقد ثقتنا بأنفسنا، أنحن حقاً بهذا السوء ليتركنا من نُحب! أنحنُ بهذا السوء ليكون فراقنا أهون من لِقائنا! أيكون كُل ما نفعلهُ هباءاً وأن ما نظهره من عشقٍ لا يشعرون به!

نحنُ لا نفقد فقط من نحب، نحنُ نفقد طاقتنا على الحب، وثقتنا بمن يحبون، نفقد لذة ما كُنا نظنه أجمل ما حصل لنا، نفقدُ لذة الإخلاص الأبدي،

وفي هذه الليلة المُكتملة، كبدرٍ توسط السماء يبدو كُل شيءٍ جميل، وأن ما على الأرض جنة وأنا اعيشها الآن، في هذه الليلة أكتمل ما كُنت أحلم به من لقاء وسعادة، غفت عيناي على صوته وانا التي تُقاوم كل أوصال النوم لأبقى مَعه أطول مدة، أريد أن أزيد محصول ذكرياتي، لكن عند الفراق لا أتذوق هذا المحصول، بل ينبت الشوك في حلقي، فلا أبتلع إلا المرار.

ختمتُ ليلتي بِه، أأكون قمراً مُكتملاً في ليلة من ليالي الصيف، أيقتطع من نوري في الأيام التي تليه فأبدو كما الهلال جميلٌ لا يكتمل،ونورٌ يتضائل كلما مضى الزمن، لكن للقمر دورةٌ معهودة، على ثقةٍ بإن إكتماله سيستمر مدى الحياة، اما أنا فلم أعد أملك هذه الثقة، قد أبدو كالهلال ما تبقى من حياتي، وقد اختفي فلا يراني أحد

*****

**آلمتني**

**وكَيفَ لَكَ أن تَشعُرَ بمعنى آلمتني**

**وأنت لَم تَنم على فراش الفراقِ مِراراَ**

**ولم تمشي دقائق الألم على حافة قلبك**

**كيفَ لَكَ أن تشعُر**

**وأنت لم تُقفل أبواب الرحيل لتنتظر أحد**

**ولم تنزع وثاق الوفاء عن معصمك**

**فقط كي تعيش!**

**آلمتني**

**ومسحت أحلامي بمرارة الغياب**

**وآثرت إيلامي بما أسميته الصمت**

**لم أحببك فقط بل أحببتُ الحياة**

**لم تؤلمني فقط.. بل أوقفت جريان الحياة**

**كأن لا أحد سواك يُحييني**

**كأن لا أحد بعدك سيقتلني**

(14)

نقطة وأنتهي

**لم أكن أعلم أن ما وراء السُحب كان أعظم..**
**ولم أكن أعلم بإني لم أعبر إلا رُبع البحر**
**وأمامي المزيد كي أبحر..**

مُتأنقة ومشعة كقنديل البحر، حيوية ومرحة كهرةٍ صغيرة تُداعب الصوف، دخلتُ إلى البنك، كنتُ أتباهى بسعادتي وتأنقي، بعنفواني وطفولتي، حييتُ الجميع وصولاً إلى فادي، أقتبض قلبي وحييته بإبتسامةٍ بريئة تُخفي توتراً خلفها، أيحقُ لي بكل هذه البساطة أن أستبيح قدرتهُ على التعبير والتنفيس عن غضبه! بكل هدوء يستقبل أجتياحي لحياته ثم الأنتصال منها بكل ببساطة، يرحبُ بي بكل عنفوان ويودعني بكل إذعان، لَم يُبدِ أي غضب ولم يوبخني، حياني كأننا لا زلنا معاً، بإبتسامته الخلابة وقلبه الربيعي،

ألا يكمن الحُب بإن نشعر بغيرنا، كُلما قاسينا الألم لا نعود قادرين على وهب الألم لأحد، فكيف لنا بعد كُل هذا، أن نُجرع كُل من يُحبنا من نفس ذاك الكأس المرير الذي تذوقناه، لم أشعر بمرارة كأسي في فمه إلا بعد أن فاتني الحب وأصبحتُ وحيدة

**{حنيني إليك يُجهض كُل فكرةٍ تصبو إلى هجرانك عني وتوقف جريان الحب في أعماقك، حنيني إليك يُجبرني في كُل مرةٍ أن أخون نفسي لأثق بِك، حنيني إليك سلاحٌ لك، ووصمة ذلٍ على جبيني، الحُب في داخلي ينمو، والحب في داخلك يشيخ، أمامي العُمر كله لأحبك، ولم يعد أمامك من العُمر لتعود إلي، بإمكانك أن تحيا في قلب إمرأةٍ غيري، من أين لقلبي أن يهوى سواك!}**

ولكأني في كُل مرةٍ أدخل عالماً غريباً عندما ألقاه لأن هذا العالم سرعان ما يختفي..

كما كان دوماً.. كان اليوم!

فلم يُخبرني عن مُغادرته البلاد، ولم يُطمئن قلبي عليه، ككل مرةٍ يُهاجر دون أن يعي مِقدار الألم الذي يرميه فوق رأسي ليُحلق عالياً.

باغتني الحزن قوياً وفكك أوصال قلبي وجمد كُل شراييني. باغتني هذا الخبر رغم إنه لم يعد غريباً، لكن ما بال كُل مريضٍ لا يزال على أمل أن يشفى من مرضٍ عُضال، ولا أمامهُ سوى الموت، وها أنا أمام فُراقه وألمي وجهاً لوجه، وأرى إنكساري واضحاً في كُل المرايا وانا أسقط وأهوي وكل مرة يُسقطني من مكانٍ أعلى وأعلى.

تناولت إفطاري مع امي في يوم عُطلتي، وأبي الذي غادرنا مُنذ قليل لم يكُن كلامه سوى عني وكيف يُريد إسعادي وتكلم كثيراً عن تغيري وسوء حالي وأمرني أن أغير طريقة تصرفي وأن أكون أكثر وداً مع الناس وأن أعيد حيويتي التي سُلبت مني، لم يكُن يعلم بإني سأنهي سوء حالي عند قدميه وإنه سينحني ليلتقط مأساتي ويحملها بين كتفيه..
بعد أن غادرنا نظرتُ إلى أمي بإستياء وقلتُ لها:

- (أتّفهمُ خوف والدي، لكني كبرت وأستطيع الإهتمام بنفسي ..)
- (أنتِ تعلمين جيداً مِقدار حب والدكِ لكِ، أنتي مُميزة بين أخواتك، وتعلمين سبب إهتمامه المُبالغ بِكِ.. )

تنهدتُ وقلتُ كمن يلقي بواجبه أمام الأستاذ:

- (أعلم يا أمي، لأني الوحيدة التي تأثرتُ بموت أخي، وأنا الوحيدة التي شهدت وفاته وأخذتُ فترةً طويلة لتجاوز الصدمة، وأعلم جيداً أني أبي لم يتركني للحظة طوال فترة عِلاجي، لكني قد تجاوزت الأمر وأستطيعُ الآن التحكم بحياتي.. )
- (لكنكِ لا تعلمين بعد أن والدك يريد تزويجك لفادي..)

هنا أتسعت عيناي دهشة وأختفت الكلمات ما بين شفتي وكالسراب أصبحت، تداركت امي الأمر وأكملت:

- (بالتأكيد لن يُجبركِ على ذلك، لكنه سيحاولُ جاهداً إقناعك، وأنتِ لم ترفضي يوماً طلباً لوالدك، أريد أن أرى هذه المرة ألا زالت تِلك المحبة لوالدها ..!)
-

*هذه أمي..!*
تُطمئنني في البداية ثُم تُلقي القنبلة الأخيرة في وجهي..
نعم.. اعلم أنه لن يدفعني للزواج لكن بالمقابل لم أرفض لهُ طلباً في حياتي، هذان النقيضان كبصيص النور لمن يعيش داخل البئر، يرى النور لكنه لا يزال يعيش بالظلام..
*صمتُّ ولم أنبس بحرفٍ واحد..*

لم يكن لدي سوى محمد لأبث شكواي وخوفي، أتيتهُ وأنا مُثقلةٌ بالوجع، بخيوطٍ شفافة من الأمل تحملني إليه،

*أجابني هذه المرة!*

كُنت ألقي جسدي على سريري وأحمل هاتفي إلى أذني وأنا مُغمضة العينين، لأنام فور ما تنتهي المكالمة دون أن يُجيبني كأن النوم سيكون دوائي الأخير، حتى أتاني صوتهُ كما أعتدتُ عليه بهذا الهدوء والغموض والشوق.

نزلت دمعةٌ على خدي وانا لم أتحرك من مكاني بعد، قلت له:

- (خُذني معك.. ارجوك!)
- (ريما .. ليت لي القُدرة بأخذكِ معي.. انتِ حُلم حياتي، وانتِ الوحيدة التي اعيش لأجلها، أعيش لأجل ذلك اليوم الذي آتي فيه إليكِ وأن تكوني لي للأبد)
- ( ألا يخطر لك.. أن تأتي يوماً فلا تجدني..)
- (لا يمكنكِ العيش دوني)
- (لكنك تستطيع..)
- (لا تُثقلي قلبي بالألم، لا تُريني بأساً في عينيك يُشقيني، اني أُحبكِ ولن تعلمي مِقدار حُبي مهما قُلتُ لكِ.. دعي الأيام تثبت ما أقول..)
- (عُد إلي، ولن أُثقل قلبك بالألم، وإن كُنت تريد هجري من جديد، فدعني أعيش حياةً بعيدة عنك، أن أكون مع شخصٍ غيرك يستطيع أن يتحدى كُل شيء ليكون معي)

أتتني تنهيدته العميقة وصوتهُ المُختنق.. ألا يُمكنهُ أن يتحدى نفسهُ لأجلي! لا أريد الكون كُله، فقط أن يتحدى نفسك، أن لا يحاور نفسك مراراً بشأني، أن يغلب قلبه صوت عقله، ولليوم لم يأتي ذاك الجواب، وكان فراقنا كُل مرة وأنا أتخبط بالعتمة وحدي ولا أبصر مِنه شيئاً:

- (كما تريدين، سوف أبقى على تواصلٍ معكِ لكن لا استطيع أن اعدكِ بمدة وفترة إتصالي، فأنا أيضاً لا اعلم..)

عندما تخسر كُل شيء، عودة شيء بسيط يكفي، بعد أن كُنت تطمع للمزيد، ستطير فرحاً بالذي بين يديك.
وهكذا اكتفيت بما تحسّن به لي، واكتفيت بالقليل وانا التي كُنت أجن عندما يغيب لساعات، يا لبأسي وقلة حيلتي وحُزني على ما ليس مُلكي.
أقفلتُ الهاتف ونمت، لم تعد دقائق تواصلنا تُبهجني ولم تعد كلماتهُ تُشفيني ولا تدُب الأمل بداخلي، فقط الإنتظار لشيءٍ لا أعلم ما هو، لكني فقط أنتظر..

حتى أتت تلك اللحظة التي قلبت أوصال القصة وقلبت أوصالي، تلك اللحظة التي عصفت بمشاعري وبدلت أحاسيسي، لحظةٌ أعادتني إلى طفولتي البائسة التي ركُنتها بعيداً إلى مكانٍ مجهول وظننتها تقبعُ بسلام. حتى أتت تلك العاصفة وأعادت لي الأطراف المبتورة من طفولتي، تلك الأطراف التي قصصتها لأعيش، أتكون مُفاجآت القدر هكذا! تجمعنا بخيطٍ بسيط مع تعاستنا، ثم تتكور حولنا لتلفنا بذاك الغطاء البائس الذي يُغشي ابصارنا عن السعادة، كانت تلك اللحظة هي القنبلة في حياتي، فما ممرتُ به من صدمات لم تكن إلا مراحل لقنبلةٍ تفتتني لأجزاء وتُنهي ما كنت أعيش به ولأجله.

*****

بعد أسابيعٍ كان يتصدق بها علي بصوته، بعد أسابيعٍ قليلة من الوعود الموصولة بالكذب، سمعتني أمي وأنا أتكلم إليه وأناديه حبيبي، كم تمنيتُ أن تكون قد سمعت هذه الكلمة قبل سنين، قبل أن يُغطيني برداء الحب وأشعر بالدفئ من خلاله، كم تمنيت لو أخبرتني بحقيقته قبل سنين، لكان الآن من عِداد الأشخاص في الصندوق الأسود، ولما أحببتهُ إلى هذا الحد.

أنتظرت أمي حتى أنهيت مُكالمتي، وبغريزة الأم وخوفها على ابنتها جلست معي مُفردي لُتناقش معي تفاصيل حياتي، علّها تستطيع مُساعدتي، راوغتني كثيراً لتعلم من يحتل حياتي، لو كانت حياتي معهُ بنفس الثقة قبل سنين، وبنفس قوة الحب والترابط، لأفصحتُ لها عنهُ بسرعه لكي أبهج قلبها وقلب خالتي، لكن رحيق الورد لا يكتمل دون أشواكه، ذبلت ورودي ولم يبقى منها سوى الشوك، وبعد أن أسلمتُ راياتي، بُحت لها بإسمهُ ومن تكون.

**{أنت تعلم جيداً أن اسمك لن يُبهج قلبها، تعلم جيداً أنك سلبت مني أجمل ما بعمري، سلبت مني بهجة الحُب الأول، وبهجة قلب أمي، وكيف لي أن أصف لك ملامح أمي التي أصبحت كأرضٍ مليئة بالجليد، كيف لي أن أصف لك صدمتها ودهشتها وعلو حاجبيها وعيناها التي سكنت بها الحزن، وانا أقول لها كم أحبك، وأنا بتلك السذاجة أصف لها من أحب، كانت تبتلع جرعاتٍ من الصمت المُبهم وأنا اتكلم، حتى وضعت يدها على فمي وأوقفت جريان حديثي، وما فوق شفتاي ويدها كانت عيناي تبحث عن السبب في ملامح وجهها}**

قالت والدمعة المنبوذة تعبثُ على خدها:

- (أبنتي، ماذا فعلتِ بنا؟)

أنهارت تلطم وجهها وحظها العاثر الذي جعلها تُنجب أبنةً مثلي:

- (ريما ماذا فعلتِ؟ لِمَ لم تُخبريني.. إذا علم والدك لـ ..)

*صمتت ليصمت قلبي معها..*

ماذا سيحصل إن علم أبي؟ كنت دوماً أبكي بسببه، ما الجُرم الذي فعله لدرجة أن يُبكي الجميع من حوله؟

قُلت لها وأنا أظن ان كلماتي ستكون المهدئ لنوباتٍ جنونية لا داعي لها:

- (لكن محمد أبن أُختكِ الأعز على قلبك، خالتي ستنسى همومها لو عرفت.. هي تُحبني كثيراً وأنا أيضا أُحبها.. )
- (خالتك! ومَن أخبركِ أنها ستنسى همومها! من قال لكِ أن النصيب سيجمعكما يوما! كيف ألتقيتما؟ إن هذا مُستحيل.. كيف أستطاع قلبكِ أن يُحبه.. هل قلب أبنتي مزروعٌ بأحشائك أم أبنةٌ أخرى !..)

صرخت في وجهي باكية تلطمني بالكلمات حتى أنتفخ قلبي وتلتها كدماتٌ في روحي:

- (يا لعارنا بِكِ.. يا لخزي والدك .. ويا لحظنا العاثر على إمتداد هذه السنين.. يا )

يا الله، ما الذي تهذي بهِ امي،لماذا تبكي هكذا؟ هل تقصد محمد ابن خالتي؟ كانت كل هذه الأسئلة تدور في ذهني وانا اراها تنهار أمامي:

مسكتُ يداها وركعتُ عند قدميها وأنا أتوسل :

- (أنا أرجوكِ أن تُخبريني ما السبب، ماذا فعل محمد لدرجة جعلكِ تخافين هكذا، أخبريني قبل أن أُجن ..)

- (لا أستطيع إخباركِ يا أبنتي، لكن عديني أن لا تُكلميه، أقسمي لي أن تنسيه ..)

عندما تتعلق أنفاسي بِه، وعندما أتوقُ كُل لحظةٍ لرؤيته..
لا يتوقف الأمر عليه الآن، بل أصبح يتوقفُ على عائلتي والتي قبل أن يأتي كُنتُ مُستعدة أن أفقد حياتي على أن أفقدهم.
وهُنا أمام والدتي كُلُ مَراكبِ النجاةِ لم تعُد تُجدي نفعاً، فالبحرُ أعمق ومجاديفي كُسرت، كَيفَ لي أن أُبحر إليه وهو مَن يُغرِقُني، كَيفَ لي أن أسند جَسدي إليه وهو الذي كسر ظهري.

وَقفَت أمي أمامي ودموعي تشهدُ ملحمةً لا مثيل لها وَقلبي في دقاته يَسلب مني كُل إحساسٍ قد يؤنسني ،إلى أن بدأ كُل شيءٍ يدور أمامي، وبدأتُ أفقد حواسي الواحد تلو الآخر، كانت حقاً تبدو كالغفوة أو كرمشة عين ... دون أن أدرك أن الأمر أخذ وقتاً وأنا غائبةٌ عن وعيي ولم أشعر بما حصل معي إلا عندما بدأت حواسي تعود إلي وبدأتُ أفتح عيناي الثقيلتان ، في تلك اللحظة أدركتُ إني قد وصلتُ مراتب الصدمة العُليا، التي لا يستطيع الجسد بها تحمل الألم، فكان هذا السُبات المؤقت هو الحل الوحيد لجسدي وعقلي المُنهك.

كان الجميع أمامي يَترقب لحظة إستيقاظي (امي وابي وأختي ريماس)

أستلقي على سريري ووالدتي جالسة بجانبي مُمسكةً بيدي، وعيناها مليئتان بالدموع، لقد أدركت أمي أن أبنتها على حواف الإنهيار بسبب رجلٍ لن يكون يوماً لها، كان في عينيها لوماً لنفسها وتأنيباً للضمير، كيف لها وهي مَن تشعُرُ بِكُل ما بداخلي دون أن أنطق، أن أمراً كبيراً كهذا قد غُفل عنها ...

جَلست أختي بجانبي في الجهة المُقابلة لأمي، ولامست أصابعها شعري هي تقول:

- (ريما، ما عليكي شر حبيبتي)

لكن عيناي تركتا أختي وهي تتكلم وارتكزتا في عيني والدي، لا أستطيع أن ألمح شيئاً في عيناه، لا غضبه أو فرحه، عيناه ليستا خارطتي بل بِتّ بهما أضيع، هل يا تُرى أخبرتهُ أمي بما حصل؟ لا يبدو عليه أي إماراتٍ للغضب أو حتى الخوف علي، وعندما أدرك الحيرة التي تسكن بداخلي قال أخيراً:

- (ارتاحي اليوم، وبكرا لازم نحكي..)

غادرني وأنا تائهة، كم تمنيت في هذه اللحظة أن أختفي، أن يزول كُل ما حولي، أريد أن أفقد ذاكرتي أو أن أعود طفلةً صغيرة، تمنيت كل شيءٍ غريب ومستحيل في هذه اللحظة قد يُهدئ نفسي أو يمنحني السلام، لكن هيهات فالقصة الآن بدأت، ورحلتي مع الألم الآن قد أنطلقت..

غادرتني أمي دون أن تقول شيئاً، هنالك خطبٌ ما، تكاد أمعائي تتقطع من شِدةِ الخوف والقلق، وها قد أتى الليل برداءه الحالك. تبدو ليلةً هادئة ودافئه ولكني مع كُل هذا الدفئ أشعر ببردٍ يكاد يطق أضلاعي، اني أرتجف وأضم نفسي بيدي علّ أنفاسي تدّب الدفئ بداخلي، لكني ما زلتُ أشعر بالبرد

***{أنت فقط من يشعُرني بهذا البرد، كلما آلمتني ترتجف أوصالي ويصبحُ النوم شبحاً يُطاردني واحلامي كوابيس تُرافقني، أين خطوط الشمس أريد أن يأتي الصباح، لكن هذا الليل طويل ويشعُرني بإنه أزلي}***

لا أعلم إن غفت عيني حقاً، لكني شعرت بأني لم أنم للحظة، وإن أغلقت عيناي فهنالك صراعاتٌ داخل عقلي لا تهدأ، تشبه تماماً جلوسي في غرفةٍ مليئة بالأبواب التي تُفتح وتُغلق كل دقيقة دون لحظة هدوء أو دقيقة سلام ..

## 2013-7-19

## الأثنين

لَم يَبقَ أمامي سوى بضع خطوات لأصل إلى مكتب والدي في البنك، كُنتُ مُرهقة وأحتاج قسطاً كبيراً من الراحة، كانت قدميّ مُشبعتان بالألم وعيناي مليئتان بالأسى..
*في يومٍ واحد شعرتُ بإني كبرتُ بالعمرِ عشرون عاماً وأكثر..*

ومن خلال غيمة البؤس لمحت وجه فادي أمامي، إنه يأتي دوماً عندما أكون على مشارف الإنهيار، ويختفي عندما أكون في ربيع سعادتي، كأنه خُلق لينقذني. هو الملاك البريئ الذي يُرافقني في أشد الليالي ظُلمةً.
عندما لَمحتُ وجهه كِدتُ أن أبكي وأن أنهار بين ذراعيه، أن أطلب من بين أحضانه الأمان، فإني الآن أشعرُ بالضعف وأحتاج لكلماته تواسيني، أن أشعر قليلاً أن أحداً ما في هذه الدنيا يهتم لأمري.
وقبل أن أنطق بأي كلمة أتاني صوته:

- (ريما، هل أنتِ بخير؟)

صمتَ قليلاً قبل أن يُكمل وهو يرى دمعةً تشقُ خدي التي شعرتُ حقاً بمرارتها بين شفتاي:

- (لا يجب أن تدخلي إلى والدكِ هكذا، تعالي معي وأرتاحي قليلاً.. أنت مُنهكة وقد تنهارين بأي لحظة.. ولن أحتمل أبداً أن يصيبكِ أي مكروه)

أجبته بصوتٍ مُثقلٍ بالوجع:

- (أني أختنق وكُل ما حولي يقتُلني.. أنا خائفة من الآتي، فالماضي غير مُنصف .. وها أنا أقف على أعتاب الحاضر وأنا خائفة من كُلِ خطوةٍ سأخطوها إلى الأمام .. أخبرني ماذا أفعل وأنا أشعر بإني عاجزة..)

اومأ لي برأسه لأخرج من البنك، فتبعتهُ دون قول كلمة، أريد الخلاص مما أنا فيه، وإن كانت الحقيقة ستسدل ستارها فأنا لا أريد رؤية شيءٍ قد يرافقني إلى آخر عمري.

ولحسن الحظ أن العمل قد شارف على الإنتهاء ولن يُدرك أحدٌ غيابنا، كُنتُ أمشي إلى جانبه حين لاحظت علامات الراحة تعتلي وجهه وبكل هدوء أبعدني عن البنك وعن والدي مُعطياً نفسه السلطة ليحميني.
أسندتُ رأسي المُتعب على مقعد السيارة وعيناي مُتسمرتان على الطريق..
فكرت!
*هل تذكرتي التي ظننتها إلى النعيم .. قادتني إلى الجحيم!*
توقفت السيارة وأوقفت تدفق الأفكار في رأسي، وجعلتني أعود إلى وعيي وأتذكر أني بجانب فادي ..
نظرتُ إليه ولا زالت الدهشة تعلو وجهي، فأدرك أن جسدي حاضر لكن عقلي بعيدٌ جداً:

- (أتيت بكِ إلى مكانٍ هادئ وجميل، أريدكِ أن تجلسي قليلاً، فأنتِ بحاجة لتنشق بعض الهواء النقي، وإعطاء نفسكِ الفرصة لتفكري بالخطوة التالية التي قلتِ لي عنها قبل قليل)

هو لا يعلم ما حصل لي، منذ ذلك اليوم الذي أفترقنا فيه، وأنا أعتقد بأني أستطعتُ أن أحتال عليه ليظن بأني بخير، كُنتُ أحتال لكي لا يعرف الحقيقة ويشفق على حالي، لا أريد أن يعود إلي فقط ليحميني من الحزن..

**{أنت فقط من جعلتهم يشفقون لحالي، كُنتَ ضعفي وقلة حيلتي، كُنتَ الحزن الذي يسكن وجهي والألم الذي يسكن جسدي، كُنت كُل شيء إلا حبيبي}**

أتاني صوت فادي كهدير الماء ولحن الناي في ليلةٍ دافئة، شِعراً كان يتلو على مسمعي أم إبتهالات العيد، له تِلك القدرة على إستئصال الورم دون الشعور بالألم، إنه البلسم لجراحي .. الدواء الذي أتركه كُل مرة لأختار البقاء مع محمد ينبش أصول الجرح ويتركهُ ليفتأ.

يجلسُ بجانبي على مقعدٍ مِن خشب، يأتي بي إلى المكان الذي كُنت ألتقي بِه مع روحي، يجلبني إلى ملحمتي لأقاتل:

- ( أتعلمين ماذا أرى بكِ!)

نظرتُ إليه بريبة، لكنه أكمل:

- (أنت تحاولين جاهدة أن تُخفي ما بداخلكِ، وكُلما حاولتِ.. تتجمع نقاط الحزن في عينيكِ وأستطيع رؤيتها بوضوح ...
أنتِ قطرةٌ ندية، من السهل جمعُكِ ومن السهل بعثرتك .. لا تجعلي عيناك غيوماً تحمل المطر.. يا جميلتي أخبريني كيف يمكن إسعادكِ، كيف يمكنني أن أزيل غيوم الحزن ...)

إن الحزن رفيقٌ أبدي. وفيٌ لي ولم يتركني أبداً، إن الحزن شمسي عندما أستيقظ وغطاء الليل عندما أنام، إني أتناول وجبات الحزن كُل يوم وأقاومهُ كُل يوم .. أُصارع الحياة بيدين خاويتين وقد أكون ضعيفةً أمام مقاومتي للحزن، لكني قاومتهُ مع محمد وكُنت سعيدة، لم أشعر بهذا الكم من الألم إلا عندما فقدته، أريد أن أتحرر مِنه أولاً، أن أتجنب التفكير بِه، ربما أبدأ من جديد..

وبعينين ملؤهما الدموع كُنتُ أنظر إليه .. تتشبث تلك القطرات بأسفل رِمشي، كان واضحاً لفادي إني أتجنب البكاء أمامه وأحاول بكل ما أستطيع أن لا يرى دموعي، لكنها تُصبح أثقل وتحجب الرؤيا من أمامي،
لا أعلم كيف لامست أصابعه أسفل رموشي ليختطف الدموع منها :
- (هذه الدموع التي تتجنبين عتقها خجلاً مني، فأنا أريد أن أعتقها حُباً لكِ .. لا تُكبلي جنتي وأبكي قدر ما تشائين وأصرخي أيضاً بملئ صوتك، وقولي كُل ما يُثقل صدرك.. فلا يزداد هذا الحِمل إلا إذا أتحتِ لهُ الفرصة ليتراكم، وأنا هنا لآخذ العبئ كُلهُ عنكِ )
أبتسم وهو يكمل:
- (وإذا كُنتِ تظنين أن هذا بمقابل فلا تخافي لن أحاسبكِ هذه المرة)
ضحكتُ بعفوية وأجبته:
- (لن تُحاسبني فأنت مدينٌ لي)
صدحت ضحكته لترطب الجو الكئيب ثم أقترب يهمس لي:
- (وأقولها للمرة الثانيه ..كُنتُ أسمع عن الضحك والبُكاء معاً، لكني ولثاني مرة أرى هذا الإندماج الرهيب في وجهك، إنهُ كالتقاء الشمس والقمر..)
- (نعم، فأنا أبدو مجنونة أحياناً)
أجابني بسخرية:
- (أحياناً ..!!)
ضحكنا معاً ونسي كِلانا ما السبب الذي جمعنا هنا، وأصبح الحديث خارج حدود الألم والذكريات، الماضي والمستقبل .. والشعور بأني أخون ..

لو كنتُ أملك قلبي لأعطيتهُ لفادي منذُ البداية ودون أي مُقابل، كما يقول لي دوماً مُعلقاً على مهنتنا في المُحاسبة
( لا تخافي لن أحاسبكِ هذه المرة )
ثم يعقبها بكلمة (مجاني)

هو يعلم أني بعد هذهِ الجملة سأضحك رغم أنه يكررها كُل فترة، لكن الضحكة ذاتها تنطلق من شفاهي ، أكون سعيدة عندما ألقاه.. فلماذا لَم أهواه! أكانت آلامي من محمد أفضل مِنه ... إننا نسعى للسعادة مع هذا نتخلى عنها أمام مَن نُحب، لا أعلم أيحق لي أن أقول (إننا) بدل (إنني).. فهل كُل الناس يشعرون كما أشعر، أما انا فقط مَن خُلِقتُ هكذا!

عُدت إلى المنزل وقبل أن ألتقي بأحد دخلتُ إلى غرفتي وأستغرقتُ في نومٍ عميق، لم أستيقظ مِنه إلا على صوت أمي تُنادي بإسمي وتأخذ مكانها بجانبي، فتحتُ عيناي ونظرتُ إليها تربت على رأسي وهي تقول:

- (مُنذُ وصولك وأنتِ نائمة، ممَ تريدين الهرب.. اخبريني، لا يزال أمامكِ وقتٌ طويل ليحل الليل، هل ستبقين نائمة إلى الأبد !)

إلى الأبد !
أيمكنني النوم إلى الأبد لأتخلص من هذا الخوف.. الخوف من الغد .. الخوف من المواجهة.. مواجهة الحقيقة والإلتقاء بوالدي:

- (أمي .. ارجوكِ، أنا مُتعبةٌ جداً ولا أريد رؤية أحد)
- (أشعر بِكِ يا أبنتي العزيزة، وقد تكلمتُ مع والدك بهذا الشأن، لهذا لا تقلقي لن يُناقش معكِ هذا الأمر، لكن بشرط..)
- (ما هو؟)

تنهدت أمي :

- (أن تبتعدي عن محمد وإلى الأبد، وأن لا تفكري بِهِ أبداً..)

جلستُ وأسندتُ ظهري وتنفستُ بعمق قبل أن أجيبها:

- (لا أستطيع أن أعدكِ بعدم التفكير به.. فهو الحياة بالنسبة لي، ولا يتخلى أحدٌ عن حياته، لكني لن ألتقي به أبداً وإن حصل ذلك سأخبركِ قبل حصوله، ولن يحدث شيء دون عِلمك يا امي.)

ارتاحت أمي لهذا الوعد، الذي كان قصير المدى..
فمحمد .. **قصةٌ طويلة لا تنتهي..**

(15)

ملاك

وعادت الحياة إلى ما كانت عليه، تساؤلات كثيرة لا أجرؤ على سؤالها، أريد أن أحبه مُغمضة العين كما أنا مُغمضة القلب، فمهما يحصل أنا أعلم جيداً أني سأستمر في حبه لكن مِقدار الألم هو فقط ما سيزيد، لهذا أكتفي بهذا المِقدار.. لا أريد المزيد .

- (ريما .. هل تسمعينني... لدي خبرٌ سار ...)

رفعتُ رأسي من أمام اوراقي المُعبثرة ومكتبي المُهلك بالعمل ليكون وجه فادي المتحمس أمامي، كان شُعاعاً أثار حماسي ووثبتُ واقفة وأنا أقول:

- (أحتاج إلى أخبارٍ سارة.. أخبرني ماذا حصل؟)

لمعت عيناه بابتسامة المُنتصر قبل خوض المعركة:

- (وهل جُننت لتضيع هكذا فرصة من بين يدي ..!)
- (أي فرصة؟)
- (لن أخبركِ هُنا .. دعينا نلتقي بعد إنتهاء الدوام .. فقط حينها سأخبركِ بكل شيء..)
- (لئيم.. تريد أن تُحيي فضولي ..)

وما بين حاجبيه ارتسمت ثلاثة خطوط علامةً على الغضب ثم أعقبها بابتسامة جميلة، ضحكتُ بعفوية لبراءته وجمال تحركاته:

- (لا تنسي ريما، سأنتظركِ بعد إنتهاء الدوام..)
- (لا تقلق، فأنت لا تعلم ماذا يعني فضول إمرأة..)

أكملت عملي وعيناي ترمقان فادي علّهما يستشعران ما بخلده.. لكنه كان ينظر إلي بخبث، مُعلناً أنني لن أستطيع معرفة ما هو الخبر قبل إنتهاء العمل، وإني لن أرضي فضولي قبل أن يقرر هو ذلك، فأقابله بإبتسامة المُستسلمة وأحياناً اومئ برأسي وأذبل عيناي توسلاً، فيشير إلي بيده وشفتاه تنطق في الهواء كلمة لا ..

بدأت تدق أجراس قلبي وأنا أصعد إلى السيارة بجانب فادي هاربةً من أعين الجميع، قطب حاجبيه وهو ينظر إلي:

- (ريما الجميلة..هل أحترق الفضول لديكِ؟ أم بقي مِنه القليل..)

أخترتُ الصمت وأنا أفتح حقيبتي وأتناول ربطة شعري لآخذه بين كفّي وأرفعهُ على هيئة ذيل الفرس، كان يُراقبني بإمعان وشعرت بِه يبطئ من سرعة السيارة، وعندما أدركت وميض الحُب نظرتُ إليه وقد عقدتُ حاجبي:

- (ما بِك تنظر إلي هكذا ؟)
- (لماذا ترفعين شعرك؟)
- (هكذا.. دون سبب.. هل هذا يُفسد من ماهية الخبر؟)

أجابني وهو يضحك:

-( لا يا سيدتي؟؟ بل يُفسد عقلي، أكاد أن أفقد تركيزي في القيادة.. )

بغضبٍ مُفتعل أخذت ربطة شعري وأسدلتهُ مرةً أخرى، ثم أعدت النظر إليه:

- (هل هكذا أفضل! هل أعدتُ إليك تركيزك..)

تكاد السيارة تهتز على أصداء ضحكته التي أستمرت طويلاً وأجبرتني على الإبتسام رُغماً عني، مضى بعضاً من الوقت حتى ركن السيارة. المكان غريب ولم أزرهُ يوماً، ويبعد عن المدينة بضعة أمتار، المكان هادئ ورياحٌ موسمية تُداعب أغصان الأشجار، أمعن فادي النظر قبل أن يهمس:

- (أريد أن أعيد ذاكرتك للحظة معينة وزمنٍ معين قبل أن أذهب بكِ إلى اي مكان)

الحيرة تقف على أعتاب قلبي وتنتظر مني أن أفتح لها الباب قبل أن أتمالك نفسي ودهشتي، لكن هيهات فعلاماتها سبقت طرقات الباب وسكنت وجهي:

- (حسناً.. اخبرني، لقد بدأت تُخيفني وانا لا أحب الإنتظار..)

إبتسامةٌ صغيرة أنطلقت من شفتيه ثم أطبق عليها بين أصابعه وهو ينظر إلى مقود السيارة كأنه يحاول إستحضار تلك اللحظة ليلتقطها ويهبّ بها أمامي، إلى أن فاجأني بإلتقاطه يدي ووضعها في محجر يديه ليضمها بحذر، لا أعلم كيف راودني ذلك الشعور، فهكذا تصرف لا يبدر ابداً من رجلٍ مهذب مثله، لكن على ما يبدو أن عقله اختلط ببعضه محاولاً ايجاد طريقه مهذبه ليمسك بيدي، لكن الضوضاء التي حصلت جعلته ينفذ دون أن يفكر، فلا طريقة مهذبه أمام طابورٍ طويل من الأفكار التي تزاحمت إلى أن قذفته بعيداً ليصبح أكثر جرأة.

وبعينين لامعتين نظر، لا أعلم أهذا بريق بسبب الذكرى! ام هو الحب ما يجعل عيناه ناقوساً!
-( لقد كُنتِ أمامي طوال الوقت، وعيناي كمرقابٍ يلتقط أنوار النجمة، أتطلع لرؤيتك كل حين، كُنتِ برنامجي المُفضل الذي لا يفوتني، وأود لو أمنع عيناي أن ترمش، فلا يغيب عني أي لحظةً قد تكون الأجمل، كُنتُ اراقب كل تحركاتك وايماءاتك دون أن تشعري، كُنت ألتقط كُل لحظةٍ تمضينها، ثم أخزنها كما هي في صناديق الذاكرة المُمتلئة بكِ وحدك.. أنتِ ملاذي في هذه الحياة، قد تتعجبين من قولي هذا .. فأنتِ بعيدةٌ حقاً كتلك النجوم، رغم أن النجمة ليست مُلكي إلا أني لم أُحرم متعة النظر إليها ومُراقبتها من بعيد ...لأضع أمامي حلماً واحداً وهو أن أتمكن من الطيران لأصل إليها.. لكني أدركتُ أن غيري أجاد التحليق ووصل إليها قبلي.. ليخطف نورها إلى الأبد،
لا أريد أن تقولي شيئاً بهذا الشأن أو أن تتذكري أي شيء، كُل ما اريده هو إستحضار لحظة رأيتُ بها عيناكِ تتقدان شوقاً وشغفاً وأمنيةً كانت تطفو فيهما..)

عاشقاً من ضمن الأساطير التي تروى، تنبت أزهار الليلك بين أصابع يديه، وتشرق الشمس في قلبه، كيف يأكل وأين ينام وكيف هو رحم تلك المرأة التي أنجبته، إنه نبضة الحياة يحتاج إلى قلبٍ كبير ليحتويها، رقيقٌ في مشاعره وكلماته تراتيل وأبجدياته سحرٌ لا تستطيع أي أمراةٌ أن تقاومها، أتاني مُشبعاً فيَّ حتى التخم، رغم أني لم أطعمهُ رغيفاً واحداً من الحُب، كيف لرجلٍ أن يكتفي بإمراةٍ لم تكفهِ يوماً! كيف لرجلٍ أن يعشق بحجم الكون لإمرأة لم تبادله قطرةً من الحُب! إمرأةٌ كلما أبصرت نورها في مكانٍ آخر تركتهُ في حُجرِ الظلام لتذهب إلى النور فيُراقبها إلى أن تصل، هكذا أحبني دون أنانية، وكيف تُنصفني الحياة عندما أكّن الكره لكل الرجال بسبب رجلٍ واحد! وقد خلق الله رجلاً يحمل بين كتفيه جنحان من نور ليبدو كالملاك.. كم تمنيت أن يكون محمد بنصف ما هو عليه، أن يُكللني بالحب بدل الفراق، وكُلما أغمض عيني حزناً أفتحهما لأراه فيختفي حُزني، لكني لا أرى سوى فادي، كُلما نُفيت إلى جزرٍ نائية، يُقاوم الأعاصير التي تعصف أمامه .. يريد الوصول بأي ثمن ...

وبمنتصف أفكاري أنتشلتها بعيداً لأستجمع قدرتي على مواصلة الحدث، قلت له بصوتٍ هادئ:

- (ما هي أمنيتي التي رأيتها في عينيّ؟)

سألته وقلبي يغوص بين ضلوعي، كسفينةٍ تغوص في عِرض البحر، وأبتلع جفاف حلقي، لم يكن ذلك خوفاً، لكن حُب هذا الرجل يجعلني شجرةً بلا أغصان ترتكي على جذعٍ يخرج من الأرض واهباً اياها لحظة الصمود والشموخ:

- (هل تذكرين بتول..!)

أطلقتُ ضحكةً مُطبقة الشفاه:

- (نعم.. أذكرها، كان حبيبها عاشقاً ذا طابعٍ تُركي كما كانت تُطلق عليه موظفات البنك، أبهر الجميع بتصرفاته الرومانسية مع بتول.. جعل الجميع يحسدها وأعترف أني كُنتُ منهن ..)
- (لا تقلقي .. كُنتُ اراقبكِ ولم تحسديها إلا على شيءٍ واحد لم يثر إهتمام الأخريات، فقط أنتِ من لمعت عيناكِ، كُنتِ حينها عاشقة دون عشيق ..

فأدركتُ ما تُحبينه.. أنتِ تُحبين سعادة اللحظة ورُقي المشاعر.. أشياء بسيطة لكنها تعني لكِ الكثير، لم يعطها أحدٌ لكِ .. حتى ذلك الطير الغريب الذي أودُ لو أقص جنحانه...)

رمقتهُ بعتب فأدرك خطأه:

- (اعتذر..)

لم أود إفساد مُتعة هذه اللحظة، أريد أن اعلم ما يُخفيه بخلده، هو يعلم الكثير عني وإهتمامه بتفصيلٍ صغيرٍ كهذا يثير دهشتي..

عندها أدركت أن يدي لا تزال راقدةً بين كفيه، سحبتها خجلاً وأحمرت خدّاي، وبتوتر رفعت شعري مرةً أخرى:

- (هكذا إذا.. ترفعين شعركِ عندما تشعرين بالتوتر والخجل..)
- (أنت دقيق الملاحظة ... يا ذكي)
- (نعم أنا ذكي ودقيقُ المُلاحظة، الأمر لا يتعلق بصفةٍ تلتصقُ بي، بل هو أمرٌ خارج عن إرادتي.. تلتقط عيناي صوراً كثيرة لكِ..)

قاطعتهُ مازحه:

- (ألا تملكُ عيناكَ تقنية الفيديو!)

أغمض عينيه واضعاً أصابعهُ أمامها مُلتقطاً صورةً لي مع إصدار صوت الفلاش..

ضحكنا سوية إلى أن قال:

- (عيناي تملكُ كُل شيءٍ لكِ (ألبوم كامل) .. وهيا يا بطلتي دعيني أريكِ ما أتيتُ بكِ لأجله ..)

**{ذلك اليوم أقر وأعترف لك بأني نسيتك، قد أكون وضعتكَ في المقاعد الأخيرة من ذاكرتي، تلك المقاعد التي لا تشغل حيزاً من تفكيري، كان رائعاً هذا الشعور بأن تكون في مهب الريح، ورقةٌ خريفية تُعلن بإنطلاقها قدوم موسم الأمطار، أن لا تعني لي شيئاً لبرهةٍ من الزمن.. يُشبه الحرية التي تعتنق بلادي، بأن لا أحد يملك أسواط قيدنا.. كُنتَ تُحكم الوثاق دون قيد، وتجلدني دون سوط.. اليوم أعلن حريتي المؤقتة، قُلت مؤقتة لأني أدرك عشقي لك، وأني عندما أتنفس هواء الحرية أختنق بها لأنك لست معي..**

**أيعشق السجين جلاده!}**

فتح فادي باب السيارة وهو يُشير إلي بالنزول، كنت كالأميرات في حكاوي جدتي، وكالفراشات كانت تطيرأحلامي إلى الحدائق السحرية.
نزلتُ وأنا أمشي بجانبه، نظر إلي ليتأكد بأني أُبادله النظر ثم أسقط نظر عيناه إلى يدي وقطب حاجبيه ناظراً إلي ففهمت ما يقصد، لكني أشرت له رافضةً بإشارةٍ من اصبعي وأنا ابتسم نصف إبتسامةٍ كُنت أحاولُ كبتها، كسر لغة الإشارة وقال:

- (كُنتُ أعلم بأنكِ سترفضين، لكن أن تكون محاولة فاشلة، أفضل كثيراً من الندم لاحقاً )
- (تبدو شخصاً مُختلفاً اليوم، أكاد أعرف من أنت ... أخبرني أين فادي!)
- (مُخطئة، فادي أمامكِ الآن.. لكن كما هو دون أي محاولات لكبت الأحاسيس التي يشعرُ بِها تِجاهك.. فادي الآن يريد أن يظهر أمامك قاطعاً كُل تِلكَ الأيام التي اختبأ بِها خلف مكتبهِ ينتظر لحظة ظهورك ولا تلتقي عيناكِ بعيناه إلا عندما يقفُ أمامك..)
- (أهنالك شيءٌ يستدعي أن تلتقي عيوننا دون أن تكون أمامي !!)
- (نعم، هو نفس الشيء الذي يجعلني أنظرُ إليكِ طوال الوقت، لكنه لا يتوفر لديكِ، لهذا نقطة الإلتقاء لا تحصلُ ابداً، مما يجعلني أتأكد كل يوم بأني لا أعني لكِ شيئاً..)
- (بل تعني..)
- (نعم .. زميلكِ في العمل .. أنا لا أنكر ذلك ..)

ألتقت عيوننا وقلتُ له:

- (تقودني إلى حيثُ لا أعلم، ألا يعني لك ذلك شيئاً!
أن تكون مصابيح الثقة بين يديك وأنا من أقوم بإشعالها، ألا يعني لكَ ذلك شيئاً!
لا أعلم أي أسمٍ أطلق على كُل هذا.. لكن سيأتي يومٌ أعلمك بِه..)
- (هل تقصدين أسم العلاقة التي تجمعنا!
إذاً أرجوكِ إذا كان المُسمى زميل عمل، أو أخوة أو حتى أن يتجاوز مسمى زميل عمل بأي خطوة إضافية صغيرة فلا تُخبريني، أنا أُعفيكِ من ذلك.. )
- (لِمَ!..)
- (العيش طوال العمر على الأمل، أفضل من دقائق الحقيقة التي ستلقين بها علي..)

**{لم أستطع أن أنبس بكلمة، أحياناً وقع الكلمات يكون ثقيلاً فتتشبثُ حبالها على أطراف بوحنا، لم أستطع مجاراته أكثر، فأنا لا أعلم مصيري مَعك، لا أملك مفتاح الباب الذي يكونُ بعدهُ العالمُ خالياً مِنك، أن أُكمل حياتي دون أن تبقى تلك الغصةُ العالقة في وسط حلقي، ولا تلك الحسرة بين تنهيداتي التي تتلو لمحات الذكريات المُلتصقة بعقلي، كُل شيءٍ يتمحور حولك، نعم .. قالوا لي كثيراً.. كيف تُنهين حياتكِ لأجل رَجُل، كيف يكون بحرك الهائج وسفينة النجاة، كيف لمن يُغرقكِ أن يصل بكِ إلى الشاطئ، أنتِ واهمةٌ بالحب.. واقعةٌ في أكبر بقعةٍ على وجه الأرض، ولن ينتشلكِ منها سواكِ..**
**يا عزيزي كيف أُقنعهم بأن قلبي هو جسدي وأنك تسكنُ قلبي، كيف لي أن أخبرهم أني بنيت جُزري على حُبي الأول، ولا زلتُ أحلمُ بالوصول، كيف أُخبرهم أني عاجزة عن نسيانك، وإن بُتِرَ جزءٌ من جسدنا فنحنُ نستطيع بطريقة وأخرى أن نتعايش بدونه لكن نشعر بوجوده كلما حركنا أجسادنا ، كيف لي أن أخبرهم إن بترتك مني فأكون بذلك تخلصت من جسدي، كيف أخبرهم بألمي ولم تعد لدي كلمات ولم تعد لدي القدرة على أن أقول شيئاً، لِمَ أشكوا لهم ولن تُخفف شكواي شيئاً، أنت أكبرٍ ألمٍ ألمَ بي،**
**آلمتني كُلما مرّت ذكرياتك بي، وكُلما رأيت عاشقان سعيدان، وكُلما رفت العصافير بأجنحتها وأشرقت شمسٌ جديدة، آلمتني كُلما رأيتُ صورةً لك، أنت هناك بأبتسامةٍ خلابة وأنا أمامها هُنا بعينين باكيتان، أتكون سعادتك تعاستي! أم لأنها سعادةٌ من دوني قد تكون سببها أمرأةٌ أخرى.. !}**

هكذا.. بُكل بساطة تذكرته وأنا أريد نسيانه، أغمضت عيني و همستُ لقلبي:

- (ريما، أنسيه اليوم وأنعشي ذكراه غداً، عيشي يوماً واحداً على الأقل دون أحزان..)

فتحتُ عيناي لأرى إبتسامة فادي تتوسط وجهه، تأخذُ مساحة كبيرة ويعلو خديه أكثر فأكثر. إنه سعيدٌ برفقتي، قابلتهُ بإبتسامة فأقترب من أذني وقال:

- (أغمضتِ عيناكِ حتى قبل أن نصل إلى المكان، حين نصل لا أعلم أكنتِ ستتمكنين من إغماضهما حقاً..)
- (أتريد إشعال فضولي مرةً أخرى! فأنت لا تعلم ما هو فضول المرأة! تُصبح الثواني طويلة والمسافة مهما قصرت فهي تعادل أميال ..)
- (حسناً يا أميرتي ، ها قد إنتهت الأميال ..)

بسبب إنسجامي بِه، لم ألاحظ وجود الباب أمامي وسورٌ كبير يلتف حوله، بابٌ أنيق ورائحةٌ زكيه، يبدو المكان سحرياً، كما قصص الأطفال التي كُنتُ أتوق العيش كما يعيشون، أيحقق هذا الرجل حُلماً من أحلامي، وما خلف الباب.. ماذا يكون يا تُرى!

لَمعت عيناي وحاجباي يكادان يخرجان من رأسي من فرط الدهشة، لاحظ فادي ذهولي، فقال مازحاً:

- (ما بِكِ! .. لم ندخل بعد ، لم آتي بِكِ من أجل الباب ..)

ضحكتُ من أعماق قلبي فدهشتي حقاً مُثيرةٌ للضحك ..
أخرج مِفتاحاً من جيبه وتقدمني بخطوة وكان يفتح الباب ببطئ فقط ليزيد حماستي ويحفز نقاط الفضول، وقد نجح فعلاً بذلك.. حتى فتح الباب على مصرعيه ودخلت إلى المكان الذي كان قبل دقائق مجهولاً..
لم أحلم حتى بذلك، كان واقعاً يفوق الحلم بخطوات،
قِطعةٌ من الجنة صنعها لأجل إسعادي، لم تعلو حاجبي دهشةً فقط، بل صرختُ من شدة سعادي، وقلبي يُحلق فوق المكان كُله،
كانت حديقةً من أجمل ما رأيت، تنتشر جميع أنواع الأزهار في صفوفٍ مُنتظمة ومقعدٌ طويلٌ من الخشب يتوسط الحديقة، بالإضافه إلى مقعدٍ أطول يركن جانباً تحت مظلةٍ خشبيه كبيرة ..
قال ليلتقط أنفاس دهشتي:

- (وإن كانت باقةٌ من الورد تجعل النجوم تسكنُ عيناكِ، أحببتُ أن أبني هذه الحديقه الصغيرة لأرى القمر في عينيكِ، كُلما شعرتِ بالسعادة أو الحزن فها هُنا مكانكِ، وسآتي كُلما فقدتك، علّني أجدكِ هُنا كُل مرة..)

وما بين أنفاس دهشتي قُلت:

- (لا أعلم ماذا سأقول، لكني حقاً لم أتوقع أن تفعل لي كُل هذا، لماذا تلتقط القمر من السماء وأنا من كُنتُ عاجزة على النظر إليه! هل أستحقُ حقاً ما تفعلهُ لأجلي!)
- (إياكِ أن تسألي هكذا، فالجواب تعلمينهُ جيداً ولن أعيدهُ على مسمعك، وإن كُنتِ تُريدين شُكري، فدعيني أقول لكِ أني فعلتُ هذا لأجلي، فأبتسامةٌ منكِ هي الثمن..)

أحمرّت وجنتاي خجلاً،

وإن لم يكن الحُب يجمعنا، فقد تكون هُنالك لحظات أجمل من الحُب، ولا تحتاج إلى الحُب لتكتمل، هي فقط جمال اللحظة التي لا تعكرهُ الذكريات ولا حتى من أحب..

بسعادةٍ بالغة قُلتُ له:

- (حسناً، ستكون هذه الحديقة الخلابة مُلكي، ولن أعيدهُا لك مهما حصل..)

أكملتُ مسيري وأنا أستدير حول الحديقة باسطةً ذراعاي :

- (إنها حقاً خلابة، كم أنت رائعٌ يا فادي، تملكُ قلباً لا يملكهُ أحد..)

سرحتُ بفكري قليلاً ثم عدتُ إليه وأقتربتُ منه وأنا أقول:

- (لكن متى أستطعت أن تفعل كُل هذا؟)

قابلني بأبتسامةٍ مُفتعلة:

- (عندما كُنتِ بعيدةً عني،وأقصد بذلك قلبك لا جسدك.. لم تتسنى لي الفرصة قط أن أريكِ إياها، وكُنت قد أوكلتُ مُزارعاً يسكن بالقرب من هنا ليعتني بها..)

تلاشت الإبتسامة المُفتعلة لتحل مكانها إبتسامةً من القلب وأكمل:

- (لكن كُل هذا في الماضي، الآن عليكِ فقط الإستمتاع بحديقتكِ السريه.. سريه تماماً إياكِ أن تُخبري أحداً عنها، لن يدعوا لكِ مجالاً للاستمتاع بِها..)

ضحكنا سوية.. ثم جلسنا على المقعد وتبادلنا أحاديث طويلة..

(16)
قمر

**{للذاكرة نقاطٌ كثيرة، لكن منها ما يكون كبيراً واسعاً وقد يكون بالأسود العريض، ومنها صغيرٌ يكاد أن يُرى، ومن النقاط التي تقف في مُقدمة الذاكرة، هو اليوم الذي ولدت أنت فيه.. هذا اليوم لا أنساه ما حييت، قد أعتدت أن تكون بعيداً، لكن هكذا يومٌ مُميز كيف سيكون عادياً، وأنا التي تعشق صوتك عندما يُعانق صوتي، أتمنى لك حياةً سعيدة وأنت تتمنى لي حياة مديدة بجوارك، أن أهديك ما يبقى ذكرى معك إلى الأبد وأن تُثني على ما أهديتكُ أياه}**

عندما تكون المسافة أبعد مما كُنتُ أتخيل يوماً، لن تتجاوز هديتي الكلمات المكتوبة، فقد حرمني حتى من نِعمة سماع صوته،

بعد أن كتبتُ ما بقلبي، جلستُ أمام جهازي الشخصي وأنا أراوغ نفسي لكي أرسلها له، صوتٌ في عقلي يقول لا تُرسلي له لقد وعدتِ والدتك وصوتٌ في قلبي يقول أن هذه الرسالة لن تُغير شيئاً ولن تضر أحد، ثم أن خوف والدتي مُبالغٌ به وبالتأكيد يعود ذلك لغضب والده منه في طفولته، يعتقدون بأنه شخصٌ سيء، لكن عندما يتعرفون بِه جيداً سيتعلقون بِه، هكذا ثقتي بِمن أحببت وخذلني.

لم يكن من مراوغتي مع نفسي إلا بإصبعي ينقر على ارسال، لم يكن صديقاً على حسابي في الفيس بوك، وكُل ذلك لكي لا يراه أحد، لم يكن لدي أي مانع أن يراه الجميع، كُنت أريد للجميع أن يرى قمري، لكن قمري يُخفي نفسه ما وراء السحب، لأنه ليس لي ولن يكون لي يوماً،

*بفارغ الصبر أنتظرك يا قمري لترد على رسالتي!*

صفحته لا تفارق عيناي، صورته الجميلة تتمركز هناك أمامي، هذا الوجه الذي كان يُلازمني، بات الآن حُلما لن يتحقق، كم هو مؤلمٌ أن يصبح مُجرد صورة، خيال ومجموعة ذكريات، نقطن الأرض ولا نلتقي، كأن الكواكب كُلها تفصل بيننا، وما بعد صورته يتراءى لي صورة القمر الذي يُنير الغلاف وتذكرت ما قال لي يوماً.

كُنا نتحدث سوياً على الهاتف وأنا غاضبةٌ منه وذلك لأني قرأت أسم فتاةٍ غريبة يجتاح صفحته وبالذات على صورته، فقال لي مُعلقاً وفي وسط حديثه ضحكةٌ مخبئة:

- (أيتها المجنونة، لا أعلم من هذه الفتاة، يستطيع الجميع رؤية صورتي والإعجاب بها، ما علاقتي أنا بذلك..)
- (لا أعلم.. لكني لا أستطيع الإحتمال .. ولن يهدأ قلبي أبداً..)
- (حسناً يا عزيزتي، أعلم بأن الجنوبي غربي قد بدأ الآن .. لهذا لن أجادل معكِ...)

ضحك علي مطولاً وهو يُكرر الجنوبي غربي، كانت هذه الكلمة رمز الغضب الذي يجتاحني، في لحظتها يعلم جيداً بأني لا أقتنع بأي كلامٍ يقولهُ لي، وتصبح إنفعالاتي مجنونة وغاضبة، لهذا يُرطب دخائن الغضب بهذه الكلمة، قد أكون غاضبةً جداً، لكني أضحك على نفسي كُلما قال لي (ها قد بدأ الجنوبي غربي)، فننهي الجِدال نضحك على ما كُنا غاضبين مِنه،
ألا ليته يعلم الآن، لم يعد عقلي جنوبي غربي كما كان يقول دوماً في لحظة غضبي، أنا لا أغضبُ الآن أبداً، هدوءٌ عميقٌ يسكن في داخلي، يجعلني أغرق ما خلفَ حُزني، لا يُغضبني شيء.. فلا شيء يستحق.

أتاني صوته بعد صمتٍ طال بيننا:

- (ألم تلاحظي ما كان بجانب صورتي! ام أن الغيرة أعمت عيناكِ أيضاً..)

بإستغراب قلت له:

- (لا لم ألحظ شيئاً ..)
- (بالطبع .. فعندما يبدأ الجنوبي غربي، حتى لو كنت واقفاً أمامكِ سأكون لا مرئي..)

ضحكتُ عليه وعلى نفسي، فهو محقٌ تماماً:

- (أنا آسفة، سأحاول أن أكون هادئة في المرة القادمة..)
- (لا أعتقد ، وأنا أحبك كما أنتِ، فلا تقلقي ..)

وأثناء حديثه معي، كُنتِ بسرعةٍ خفية أفتح حاسوبي وأدخل إلى حسابه لأرى الصورة التي كان يقصدها، حتى ظهرت إبتهالات السعادة على وجهي وأبتعدت عن جهازي لأقف أمام نافذتي وأشاهد القمر الذي يتوسط السماء:

- (ماذا تقصد بالصورة؟)
- (هل رأيتها؟)
- (نعم، لكني كُنتُ أمازحكَ عندما قُلت أني لم ارها..)

- (سأتجاهل أني سمعت خطوات قدميكِ وصولاً أمام طاولتكِ .بالذات التي تضعينها جانب سريرك، وسأتجاهل أنكِ جلستِ وفتحتي جهازك وصوت أصابعكِ تكتبُ اسمي، يا مُخادعة ...)

شهقت وأنا أقول:

- (يا الله ...كيف رأيتني ؟)

ضحك قبل أن يقول:

- (حتى لو رفعتِ شعركِ إلى أعلى فأنا أسمع أصابعكِ التي تُعانق غابتي السوداء الجميلة.. فلا تراوغي يا مُحتالة..)
- (حسناً.. بما أنك اكتشفت ما فعلت، قُل لي ماذا تقصد بصورة القمر وهذا الرجل المجنون الذي يُريد صعود القمر بسلم !)
- (أنتِ القمر ..إذاً فمن يكون هذا المجنون!)

أتبعها بضحكة وهو يعلم بأني فهمته:

- (إذاً أنت هذا المجنون! ألا يوجد طريقةٌ أخرى للوصول إلى القمر، أرى أن الأمر مستحيلٌ هكذا..)
- (أرأيتِ كم سأعاني للوصول إليك! يجب عليكِ تقدير ذلك ..)
- (لا ذنب لي إذا كانت إمكانياتك ضعيفة... )

همهم قليلاً ثم قال:

- (يمكنني تقديم شيءٍ آخر، كُلما أردتِ أن تتأكدي من حُبي لكِ أنظري إلى الصورة، لن أزيلها أبداً، فكلما تنظرين إليها تعلمين بأني لا زلتُ أحبكِ، وبهذا يطمئن قلبكِ الموصد بأبواب الشك ..)

دّبت السعادة قلبي وأنا أجيبه:

- (حسناً لقد أستطعت إسعادي بسهولة، ستكون هذه الصورة بوصلتي التي ستوصلني لبر الأمان كُلما تهت.. ستكون طوق النجاة عند الغرق، لقد أفلحت بإنقاذي يا عزيزي..)

أردف قائلاً وفي صوته موجةٌ دافئة من الحُب:

- (أنتِ القمر الذي سأصعد عليه لو بسلمٍ قصير.. ما دُمتِ أمامي فأنا لم أحرم نِعمة البصر، علّ الوصال يتم فتكونين قمري المُكتمل في حياتي، أنتظريني ولن أخذلكِ ما حييت، ولن أكسر قلبكِ الثمين، فلا أحد يكسر جوهرتهُ الثمينة، لا أحد ينتزع حياته من جسده...)

تنهدت عميقاً ثم قُلت له:

- (إذاً خُذ هذا القول مني... يوماَ إذا فككت حبال الوعد وتركتني لأقع ..لن أطلب من الله وعدك، ولن أستنجد الله عن قسمٍ أقسمت به وقد أخلفت بما أقسمت ..)

بإستغرابٍ واضح سألني:

- (لِمَ!..)

بصوتٍ يتخلل فراغته مسحاتٍ من حُزنٍ مجهول أجبته:

- (لا أريد أن تُعاقب من الله، حتى لو كان العِقاب لأجلي، سأسامحك يا عزيزي، ولن أتمنى أن تمس النار الروح قبل الجسد بمن هو روحي قبل جسدي ..)

أذكر بأنه صمتّ طويلاً وبقيت أنفاسُه مُعلقة على الهاتف، تُعلن بأنه سمعني ويعلن بأن ما سمعهُ آلمه،

أكان يعلم حينها بأنه سيتركني ! وبأن وعدي له أثقل قلبه بدل أن يخفف منابع الذنب فبدأت بالتدفق لتُغلق أوصال الحُب ويبدأ الخوف،

من بين غصاته همس لي:

- (لا أعلم كيف وجدتك! ...وكيف لكِ القدرة ...أن تُسامحي من يؤلمكِ ..)

صمت قليلاً كأنه يستجمع كلماته:

- (وكيف لديكِ هذا الكم من الحب.. لتقطعي هذا الوعد، وتهبيني الخلاص قبل الذنب..)

عدت بخطواتي إلى طاولتي ولا تزال الشاشة مُضيئة أمامي، صورته وصورة ذلك القمر، أملي وصورة طبق الأصل عن أملي.. الآن أختفى الأمل وبقيت الصورة، عُدت من فكري المشوش إلى واقعي وأنا لا أزال أحمل جهازي بين يدي ... مُستلقية أسند ظهري على وسادتي، للحظة شعرتُ بأن جُزءاً مني بقي هناك، حيث كُنت جالسة وهاتفي على أذني.. أمامي هذه الشاشة الصغيرة وهو يُسمعني وعوداً كثيرة.

**{ ها أنا هُنا يا عزيزي بعد مرور زمنٍ طويل.. أكاد أشعر بأنه عُمراً بأكمله قد أنسال بين يدي كالماء، بقيت الوعود مُعلقة في السماء، وعوداً سامحتك عليها قبل أن تُخلف بِها، عليك أن تكون مُرتاح الضمير الآن، وأن تمضي في حياتك دون أن تساورك الشكوك في حال سامحتك أم لم أتمكن... وهبتك الخلاص قبل الذنب ... وهبتني الموت قبل الموت...}**

**إن الأمر لا ينتهي .. لا ينتهي أبداً**

في وسط شرود ذهني وصفاء ذكرياتي.. ألتمعت رسالة في أعلى الشاشة.. وبسبب تِعداد خيباتي مِنه لم أتوقع من الرسالة أن تحمل إسمه عنواناً لها، وأنا التي تهبّ واقفةً كلما رن هاتفي أو ألتمعت رسالة في حسابي الشخصي ،
تنهدتُ عميقاً.. وبطريقة أبطأ من المعتاد فتحت الرسالة، وكاد أن يتوقف قلبي للحظة ... هذا إذا لم يتوقف حقاً.. وأصبح وقع تنفسي بطيئاً كأن أنفاسي تُعيق علي الرؤية ..وبدأت أبطئها حتى أعي حقاً أن الرسالة مِنه:

( عزيزتي ريما....
ويا من تشعر بي دون أن أتكلم.. لا تعلمين كم أسعدتني رِسالتك.. كُنت تواقاً لها .. كتوق المحتضر للحياة..
الآن أستطيع أن أقابل من حولي بإبتسامة كُلما هنئوني بيوم ميلادي.. هم لا يعلمون جيداً بإن هذا اليوم .. يوم ألتقيتك ..
كُل عامٍ وأنتِ بخير حبيبتي.. ونبض الحياة في حياتي..
لا أنكر بأني كُنت فاقداً لأي أمل بأن تُرسلي لي تهنئة .. لشدة ما آلمتك ولشدّ ما سامحتني.. لم أتوقع أن تكوني بريئة إلى هذا الحد.. نقية إلى هذا الحد .. أنتِ أكثر مما توقعت.. بريئةٌ حتى أوصال الألم، تُسامحين أخطائي بكل هذه السهولة .. وتتحملين أعباء أفعالي ..
هذا أكثر من قدرتي على التحمل.. تحمل فكرة أنك تتألمين في غيابي.. مع هذا تضعين غشاءاً اسود بيني وبين حُزنك.. فلا تُريني سوى السعادة التي منبعها الألم..
يجب أن تعلمي يا عزيزتي بأن منابع الألم تدفقت إلي وروت قلبي قبل قلبك..
أنا مُجبرٌ على ذلك.. لكني أقسم لكِ بأني لم أحبب امرأةً كما احببتك.. ولن تسكن في قلبي سواكِ ... كأنكِ تسكنين في مكانٍ وكل العالم في مكانٍ آخر، أتوق للعيش في المكان الذي تعيشين .. فلا أرى نفسي إلا مُجبراً للعيش في المكان الذي فيه يعيشون ..
تحملي القليل فقط .. لأحمل كُل حُزنك وألقيه بعيداً .. بعيداً حيث لا تكونين .. حيث أغسل كُل ذنوبي وأتطهر بحبك ..
سنكون معاً .. حيث تكون السعادة وحيث يكون الحُب ..)

برسالة واحدة فقط عادت أنفاسي طبيعية ونبض قلبي بعكس أنفاسي التي كانت تزداد مع كل كلمة...

**{ أخبرني! ..أتحمل في أوتار كلماتك سِحراً يجعلني أنسى كُل ما فعلته بي! .. أم أن الحُب في قلبي أصبح مجنوناً وغير منطقي .. !}**

أعدتُ قراءة الرسالة مِراراً أجوب أطراف الكلمات وأقتلع المعاني من جوفها، كُل ما يدّب الأمل في قلبي.. وكل خيطٍ يوصلني إلى السعادة ..

أكتفيتُ بذلك القدر لأمضي أياماً أخرى دون أن أتململ من الحُزن القابع في غياهب القلب .

بدأتُ بعدها بأملٍ أعمى.. وضع برنامجٍ على دفتر مذكراتي لأحسب بها الأيام التي لا أراقبه فيها.. ولا أنتظره ..

*تخيل يا عزيزي إلي أي مدى وصلت بِها حالتي!*

لأذكر نفسي بأني لم أتذكره.. كيف أنساه وأنا بآخر الليل أكتب في برنامجي الغريب بأني لم أتذكره ... أنساه لأتذكر بأني نسيته .. وفي أيامٍ أخرى أكذب على نفسي لأدون بأني لم أراقبه وأنا في الواقع كُنت طيلة اليوم أرقب شيئاً جديداً عنه.. كلمة يكتبها أو صورة ينشرها .. أي دليلٍ ألمس بِه أسمي .. وهكذا بقيت إلى أن توقفت بعد أربعة أسابيع، أدركت بِها أن مقاومتي في التفكير أشد فتكاً بعقلي من التفكير بِه .. فحللت وِثاق تفكيري وأطلقتُ لهُ العِنان .. قد تسقط ذكرياته ذات يوم دون أن أبذل أي جُهد ...

(17)
المصير

**النهاية والمصير المحتوم وقَدري**

**لا سُلطة لي على قَدري**

**عليّ الإذعان لمصيري ونهايتي**

جفلتُ من نومي أنادي بإسمه، صوتٌ شككت للحظة بأن كُل من بالبيت قد سمعه، ألتقطتُ أنفاسي بصعوبة ... ورحتُ أتذكر الإختناق الذي شعرتُ بِهِ وأنا أحلم.. كان المنشود في إنقاذي .. لكن صدى إسمه أعلى مما كُنتُ أتوقع، سارعتُ إلى هاتفي لكي أكلمه .. لكنه أبعد من أن يسمع صوتي أو يشعرُ بدقات قلبي.. لهذا آثرت على نفسي وسحقت أفكار الشوق التي كانت تجتاحني بقوة، وأعدت إغماض عيني لأتخيل أني بجانب البحر وموجاته تداعب شعري... هذا نوعٌ من أنواع التخدير الذي أستخدمهُ كلما دبّ الأرق في جفوني ومنعني من النوم .

*في الصباح الباكر ..*

قد يبدو أنه حان الأوان للمواجهه .. إلى متى سأستمر بالهروب! سأناديه ليأتي .. طريقان عليه أن يختار أحدهما .. أما الآخر سيكون فادي في آخره .. ما أن أمشيه لا عودة فيه .. فراقٌ أبدي سأجبر نفسي عليه، فما هو بإرادتي لا أستطيع السيطرة على منابته، قد أستطيع السيطرة إذا أصبح خارج إرادتي.

أردتُ التكلم مع فادي قبل كُل شيء .. ولا مكان أفضل من حديقتي السرية التي صنعها لأجلي .. كُنتُ بحاجة لأن أستعيد توازني .. وتفكيري السليم.

أتفقنا أن نلتقي بعد الظهيرة .. كان الجو حاراً جداً في أواخر شهر أغسطس، لذا أرديت قميصاً أبيض خفيف وتنورة صيفية طويلة ... وعندما وصلنا إلى الحديقة.. تنفستُ الصعداء وحملت حقيبتي في يد، وقارورة الماء الصغيرة باليد الأخرى وأنطلقنا إلى الحديقة..

كان فادي أنيقاً كالمعتاد، يرتدي قميصاً بني ولهُ ياقة مثلثة وبنطال جينز أزرق ويمشي بخطوات ثابتة إلى جانبي، ينظر إلي كُلما سنحت لهُ الفرصة.. بينما أنا أتجاهل نظراته وأركزها أمامي، فلا ألمح منهُ إلا طيفه...

لحسن الحظ كان في الحديقة من الجهة الغربية مقعدٌ من الخشب ويعلوه سقفٌ من الخشب أيضاً يُعطي ظلاً دافئاً يُنسيني للحظات أن الجو حارٌ جداً ...

جلست وجلس بجانبي يأخذ زاويةً بحيث تُعطيه الحرية ليكون أمامي ويُراقب تحركاتي وإيمائاتي أثناء حديثنا.. لأول مرة أشعرُ بهذا الكم من الخجل، وأصبحت خداي كأنها تحمل قُرصاً من الشمس فتعمدتُ إنزال رأسي لينساب شعري على خدي.. فيحجب قليلاً من الرؤية عنهُ وعني .. فاجأني بكلماته التي يبدو منها أنه لمس الخجل في وجهي:

-( فلتتخيلي إذاً .. أننا لا زلنا في إطار العمل .. وهذا مكتبنا وتلك الأزهار زبائن لدينا ..)

لمست في صوتهِ أنه يبتسم، وحين نظرتُ إليه تأكدتُ من ذلك، فبادلتهُ الإبتسامة وأنا أقول:

- (ماذا تعتقد أن الزبائن يريدون؟ هل إيداع المال أم أخذه! ..)

أجابني بعفوية:

- (بل يريدون أن يأخذوا القليل من جمالك لكي تكتمل بهجتهم .. القليل من خجلك المُحمر لكي تكتمل ألوانهم .. يريدونكِ وأنا أيضاً أريدك..)

لم يفلح بإخفاء الخجل من وجهي، بل إزدادت خداي تورداً وأطرقتُ رأسي أدعاب قارورة الماء بأصابعي.. ثم فتحتها لأتناول رشفةً قليلة تُرطب حلقي الجاف.. وترطب الموقف أيضاً .. تدارك ما فعلهُ بي، فقال مُبتسماً ليعدل ما فعل:

-( حسناً .. لقد .. سُعدتُ حقاً أن هذه الحديقة قد أعجبتكِ .. لدرجة أن نلتقي بِها كُلما سنحت لنا الفرصة ..)

بتفاؤل قُلت:

-( حقاً إنها جميلة .. أترى تِلك الزهرة البنفسجية بين مجموعة الأزهار الصفراء هناك!)

كُنت أشير بإصبعي إليها حتى يراها، أشار لي برأسه:

-( نعم .. أني أراها .. كيف أستطاعت هذه الزهرة المميزة أن تنمو بعيداً عن مثيلاتها! يبدو أن من زرع الحديقة اخطأ زراعة الأشتال بإنتظامٍ كامل ..)

- (لا .. لا .. الأمر ليس كذلك، لم يكن هذا ما جذبني إليها... اني أطلق عليها أسم ريما.. لأنها تشبهني .. أشعرُ دوماً أني أعيش في مكانٍ غريب.. فلا أستطيع التأقلم بسهولة .. تماماً كهذه الزهرة .. أبدو مُختلفة .. ليس تميزاً، بل إختلافٌ واضح ...)

غصصتُ بكلمتي الأخيرة لكنهُ فهم مقصدي، فأقترب مني هامساً رغم أن لا أحد يسمعنا، لكني شعرتُ أن صوتهُ الهامس كمخدرٍ للتشويش الواضح في تفكيري:

-( لكنهُ بالنسبة لي تميزاً لا إختلافاً.. أستطيع رؤية هذه الزهرة بين مئاتٍ من حولها، والسبب أنها مُلفتةٌ للأنظار.. وعندما أشرتِ بيدكِ إليها.. لاحظتها بسهولة لأنها مميزة.. تماماً تشبهكِ ..احسنتِ الإختيار)

بنصف إبتسامة أجبت:

- (حقاً .. كم أن الحديث معك ..)

تنهدتُ لأجد الكلمة الواضحة، فرأى عيناي تجوب المكان، فأجاب عني وهو يضحك:

- (هممم ..كدواءٍ مُسكن .. أليس كذلك!)

ضحكتُ أيضاً بصوتٍ أعلى:

-( لا .. لستُ مريضة.. الحديث معك .. هممم .. كتلك الزهرة الحمراء هناك التي يظللها جزءٌ من الحائط فلا تحترق بفعل الشمس والجزء الآخر تُغذيها أشعة الشمس فلا تموت ... الحديث معك هو الجانب المُشرق .. الذي يُحيي الزهرة)

نظرتُ إليه ببراءة:

- (هل .. أستطعتُ أن أشرح جيداً!)

ألتقت عينانا للمرة الأولى بهذا القدر وهذا الشغف، كانت عيناه تتكلمان وأنا أصغي لهما.. كسرَ الصمت بضحكةٍ تخرج أصداءها من معدته وتكمل طريقها لتخرج من فمه، ثم أردف يقول وهو يرى عيناي تراقبه بإبتسامةٍ كُنت أحاول إخفائها:

- (يبدو أن هذه الحديقة قد ساعدت ...على نحوٍ ما ... في سير حديثنا معاً .. أعجبتني طريقتكِ بتشبيه كُل حدث ..)

وضع يده على فمه وغمغم قائلاً:

-( إذاً ...)

نظر إلي بطرف عينه:

-( أنا الجانب المُشرق ... كان جميلاً أن تقولي هذا .. رُغم أني أدرك الحقيقة .. لكني أضعها الآن وحولها سورٍ عالٍ .. علينا أن نعيش يومنا وأن لا نُفكر في المستقبل.. وهذا ما أريد أن أفعله معك..)

لم ينتظر أن أجيب وأعتدل بجلسته ليعود بأنظاره وجهاً لوجه معي:

- (ريما العزيزة .. أشعرُ بالفضول .. لشيءٍ سمعتهُ ذات يوم من والدك .. ولم أجرؤ قط على سؤاله ..)

بعقدةٍ ترسو بين حاجبي قُلت:

-( ماذا سمعت؟)

عقد حاجبيه كأنه يُقلدني.. أو أن نظرة وجهي أثرت فيه:

- (لا أريد أن تغضبي مني... لكن بعض التجارب التي نمر بها ذات يوم .. نعتقد بأننا نسيناها فلا نتكلم بها مع أحد .. لكن في الحقيقة هذه التجارب لا تزول .. بل تبقى في زاويةٍ ما من اللاوعي)

تنهد ثم أكمل:

-( فنعتقد بذلك أننا تجاوزنا الأمر ... في حين أن الأمر يؤثر بنا بطريقةٍ ما .. فيعيق حياتنا دون أن ندرك ما هو السبب ..)

أطرق رأسه وهو يضع يديه على ركبتيه وأكمل وقد رأى عيناي تجوب مُستفسرة بين كلماته:

-( أريد أن تخرج هذه الصناديق المُخبئة في قلبك .. أن تُفرغيها خارجاً .. لا أريد أن يبقى شيءٌ منها يعيق حياتك وعواطفك ..)

-( أنت هكذا تُدخلني إلى متاهه .. وعليكَ أن تُخرجني الآن ..)

- (حسناً .. ريما .. لن أرهق عقلكِ بالتفكير .. لقد أخبرني والدك ذات يوم أن لكِ أخاً متوفى .. وقد مات بطريقةٍ مأساوية .. جعلتكِ تغيبين عن الوعي أياماً عديدة .. وأن ...)

صمت وهو يرى ملامح وجهي تتغير، وأنفاسي تُخطئ إنتظامها.. أحاول جاهدة أن أستعيد توازني .. فقلت لهُ بين أنفاسٍ مُتقطعة :

-( أكمل .. )

بتردد واضح قال:

-( لم .. أقصد حقاً .. أن أزعجكِ .. هكذا ..)

بعد أن أستعدتُ قليلاً من توازني، فقط لكي لا أُشعرهُ بالذنب.. أجبته:

- (لا تقلق .. انت لم تُضف شيئاً جديداً .. فقط وضعتهُ أمام نصب عيناي فجأة .. لكن الآن أستطيع الحديث عن الأمر بشكلٍ طبيعي..)

بدا الإنفراج على وجهه المشدود القلِق، وتابع نظرات عيني التي كانت تنظر إليه بإهتمام، تدارك نفسه .. تنهد وهو يقول:

-( أشكر الله أن الأمر أصبح أسهل.. كدتِ أن توقفي قلبي للحظة ..)

ضحكنا معاً .. قد يكون مُحقاً.. أنا لم أتكلم مع أحد عن هذه الذكريات حتى لمن كان لي حياتي، لم أفتح باباً أغلقتهُ مُنذُ سنين، كُنتُ أظن حقاً بأني نسيت، لكن كما قال فادي أنها تقبع في مكانٍ ما بداخلي.. تُعيق حياتي دون أن أدرك السبب..

أنتشلني فادي من شرودي القصير :

- (هل .. تستطيعين أن تُخبريني ما حصل ؟)

رفعتُ شعري خلف أذني وهززتُ رأسي بالإيجاب:

-( يمكنني ذلك .. أشعرُ بأني أفضل ..)

أستدرتُ أكثر نحوه، حيث أستقرت عيناي بعينيه الشغوفتين لسماع كل كلمةٍ سأقولها وأكملت:

- (حدث هذا عندما كُنتُ صغيرة.. صغيرة إلى حد أن أنسى ملامح كثيرة.. لا أتذكر مِنها سوى شدة الألم الذي شعرتُ بِه .. أما الباقي فيبدو كعرض فيديو مشوش ويتخللهُ السواد .. )

تنهدتُ عميقاً أخرج توابع الألم من جوفي:

- (كُنا خارج المنزل.. أتذكر بأني كُنتُ في الباحة ألعب في أرجوحةٍ مُثبتة بين شجرتين.. وهُناك في الأعلى كان أخي مع طفلٍ آخر.. أتوقع أنهُ في نفس عمره ..لقد كان العديد من الأطفال يلعب في وقتها لكن لم يلحظ احد المأساة التي حصلت سواي..)

كان كُل شيء يعود إلى ذاكرتي تدريجياً، وتسمرت عيناي مبتلعة دموعاً كثيرة .. غصصتُ وأنا أحاول أن أُكمل، لاحظ فادي مدى ألمي، فشعرتُ بيده فوق يدي الساكنة على المقعد بجانبي وهو يقول:

-( لا تُكملي إن كان ذلك يؤلمك.. أرجوكِ أن تتوقفي .. وعودي إلي ... لا أريد أن تبقي في ذلك المكان حيث كان الألم)

بكل أسى نظرتُ إليه:

-( لكن هذا لا يُغير شيئاً .. لا زلتُ واقفةُ هناك وجثة أخي بين يدي.. كانت الدماء تُغطي جسده النحيل .. مغمضاً عينيه الصغيرتين .. أصرخ بأعلى صوتي ..لكن دون ..)

أختبأ وجهي بين يدي وأنا أغص بدموعي، وجسدي يهتز باكياً وكُل ما بداخلي يصرخ.

ربتّ فادي على شعري وهو يشعرُ بأنهُ أقترف ذنباً فادحاً، هذا ما شعرتُ بِهِ من صوته وهو يقول:

- (كيف أستطيع أن أمنحكِ السعادة لكي تنسي كُل شيء! كيف يُمكنني أن .. أمنحكِ الأمان من خوفك .. لن أستطيع أن أعيد لكِ أخاكِ .. لكني مستعدٌ أن أحاول كُل جهدي .. كُل جُهدي يا ريما لكي يختفي الحزن القابع في قلبك .. أن أمنحكِ الشعور بالأمان من جديد ..)

مسحتُ دموعي سريعاً، وبكل كبرياء أجبته:

-( الأمر ليس بهذه السهولة .. أني أخافُ من كُل شيء يُحيطني.. دوماً أخاف خسارة من أحبهم .. أمنحهم كُل ما أملك كي لا أفقد أحداً منهم .. لكن لا شيء يُجدي .. أن ضعفي تجاههم هو ما يجعلني أخسرهم ..)

نظرتُ إليه بأستياء:

-( وهل تعتقد إذا أحببتكُ يوما ! .. أنك لن تتخلى عني .. أنت مُخطئ .. ثقتي قد قُتلت بيدين من أحب .. أن الحُب هو نهايتنا ولا بداية بعدها .. ستتركني ما إن تتأكد من حُبي لك .. كما يفعلُ الجميع ..)

هنُا بالذات.. كأني أصبتهُ بسهامٍ أخترقت قلبه .. أبتعد قليلاً عني وأشاح بنظره .. مسح وجهه بيديه كأنه يحاول أن يمسح الألم الذي رسمتهُ بكل قسوه على ملامح وجهه الجميل، لكم آلمتهُ بكلماتي ... شعرتُ بهذا من إختناق الكلمات في صوته.. فلا تخرج الكلمات ولا يُصدر أي صوت ، أكتفيتُ أنا بالصمت نادمةً على كلماتٍ لا بد من قولها .. ندمٌ لا فائدة مِنه ..

بعد مُدة قصيرة من الصمت، نهضتُ من مكاني متأهبة للمُغادرة وأطاع ذلك دون أن ينبس بحرف، ومضينا إلى السيارة، لم يكن اللقاء كما توقعت .. ولم يُخفف من ألمي شيئاً.. بالرغم أني شعرتُ بشيءٍ يُشبه النسيم البارد يُثلج صدري المُلتهب، كأن الحديث عن الألم حقاً يُخففُ جُزءاً منه .. دون أن نعي ذلك إلا في وقتٍ لاحق .. ذاك الوقتُ اللاحق الذي جعلني أذرف دموعي لأني حملت حقاً صناديق الألم من قلبي .. لكني وضعتها في قلبه ... بكل أسى وبكل أنانية ..

رسائل لم تصل

(6)

فادي

لم أخبركِ يوماً..

لكني رأيته.. قبلاً في عيناكِ قد سكن

وبعده في حياتك يحتلها بكل قسوة وجبروت..

لم أخبركِ يوماً اني جننتُ عندما أنتشلك من أمام عينيَ وأخذكِ بعيداً..

كنتِ تبحثين عنه أم عني!

أياً كان فقد سبقني إليكِ ولم تريني أبداً.. وحيثُ كان الجميع مبتهجون في حفل الزفاف..

كُنتُ أبكي ألما..

لم أخبركِ يوماً.. ويا للأسف..

عزفٌ هو الحب وألمي هو اللحن ..

سيوفٌ هو البُعد وجسدي هو الطعن ..

لم أخبركِ يوماً .. ولن أخبرك

بأني رغماً عني أحببتك .. وطوعاً سأضمك إلي .. ثقتي بأنه سيخذلك

وثقتي بأني سأكون إلى جانبك .. عن منفاه الوطن..

# (18)

## في عمق بئر

**لا أبدو أني على ما يُرام..**

**لا تبدو الحياة جميلة..**

**فإنني ارتدي قبعة الحزن ومعطفاً بارداً من الألم**

ومضت السنون وكلٍ على حاله يمضي.. مضت ومضيتُ معها اسوأ أيامي .. لم أجمع منها ولم ألتقط من قارعة الحياة سوى الذكريات .. لم أجني حُر صبري بعد .. ولم يثمر ما زرعته في قلبي..

مضت السنون في ترحالٍ وأنا لم أبرح مكاني .. وتقاتلت البشر بداخلي دون قِتال .. منهم من قُتل ومنهم من قتلني .. منهم من رحل ومنهم من أرحلني .. تهافت البعض منهم والباقي قد حصرني ...

تمكنت أخيراً من التغير وكلٌ ساهم في تغيري .. لن أقول للأفضل ولا للأسوأ .. لكني سأقول بأني لم أعد نفسي التي عهدتها نفسي .. فكل الأنفس باتت مُختلطة لتكوّنني ..

مضت السنون وتتابعت الفصول في ترتيبها المُعتاد .. وفي هروبي المُعاد .. في حين ظننتُ أنني أهرب منهم وصلتُ إلى آخر هروبي لأجدهم أمامي لكني لا أجد نفسي .. لقد هربتُ من نفسي ..

وفي متاعي وجدتُ رحيقاً ساماً كنت أقتات منه .. وجدتُ أشواكاً وظِلاً تائهاً .. ونصفُ قلب وربعُ أجزاءٍ من الماضي الجميل .. في متاعي وجدتُ جبيناً أحمراً وعينان مُغمضتان وكفٌ من جمرٍ يضرب وجهي .. ولم أجد ما كُنتُ أظنه مُلكي .. لم أجد ما ظننتهُ متاعي .. فكان ترحالي دون نفسي إلى من هم دون نفسي..

أخذتُ أنفاسي الأخيرة وتشهدت .. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً رسول الله..

جلستُ على حافة الجبل أنتظر قراري وإقراري .. إذعاني وهواني .. أنتظر ضُعفاً مني ليرميني إلى الهاوية .. حيثُ الموت .. حيثُ سأرتاح من الحياة ويبدأ الجحيم .. لأن الجنة أبعد من أن تكون مسكني بعد الموت ..

تذكرتُ حينها كُل ماضيّ الأسود لكي تكون دفعتي القوية التي ترميني من أعالي الجبل .. لتكون اليد التي تهز جسدي إلى القاع .. حيثُ لا عودة ولا ندم .. لا حُزن ولا ذكريات ..

*أغمضتُ عينـيّ وعُدت إلى ذلك اليوم ..*

*امي .. أين أنتِ يا أمي ؟*

ركضتُ إلى المشفى بكل ما أوتيت من قوة .. كانت قدماي عاجزتان .. أحاول أن أهبهما الحياة كمن فقد القدرة تواً عن الحركة.. لم أصل بعد وأنفاسي تُعلن أني من أفارق الحياة لا أمي..

*أمي .. أجيبيني .. أين أنتِ الآن؟*

وصلت وتقاذفت الدموع على وجنتي كندف الثلج على أرضٍ ماطرة .. وصلتُ وقد فاتني الموت .. فاتتني الحياة ..

عانقني والدي وهو يهمس بصوتٍ يخرج من القبور:

-(البقية بحياتك يا بنتي..)

*أي حياةٍ باقيةٌ في جسدي يا والدي! أي حياة !!*

أمي هي كُل حياتي .. هي ما كُنتُ اظنهُ أبدياً لا يموت .. هي عالمي الأجمل .. عالمي الذي فقدتهُ للأبد .. أين أنا دون أمي ؟ أين أمي دوني؟

فقدتُ إيماني بالحياة وإيماني بنفسي.. فقدتُ قدرتي على أن أكمل وحدي وأنا على الطريق وحدي.. كُنتُ أظن أن فُراق من أحببت أشدّ ألماً .. لكني يا أمي لم أكن قد فقدتك بعد .. ورغم كُل هذا .. شعرتُ باليُتم مرتين .. وأي إمرءٍ يشعرُ باليتم مرتين سواي!

اليُتم هو الحُزن الأبدي والذكرى الأبدية .. إنه لا يعرف النسيان ولا يتغذى على الفرح .. هو البقاء الأبدي لمن نُحب والفراق الأبدي لمن نُحب ..

**{إن فُراقك كطعم فُراق أمي**

**أعتدتُ عليه**

**لكني لا زلتُ لليوم اذكرهُ**

**ولا زلتُ لليوم أبكيه}**

يُعزّيني الجميع بما هو ليس عزائي.. يشاطروني الحُزن حُزناً لا يموت ولا ينقسم .. إن العزاء في قلبي فليعزوا أهلي بي .. وليشاطروهم الحُزن الدفين فُحزني ظاهرٌ أبديٌ لم يُدفن مع أمي .. يواسوني بكلماتٍ لم أسمعها لأن صوت نشيجي أعلى .. يربتوا على ظهري الذي كُسر فلا تكون أيديهم إلا إنحناءةً لا يشعر بِها جسدي ..

يقولون لي (البقاء لله ..)

(ونعم بالله .. فوالله لو أخذني إليكِ لكان أهون )

الحُزن كُلما أزداد .. أزدادت ذنوبك .. وأخذت آثامك تكبر.. كُلما أنجرفت إليه أبتعدت عن الله وتمنيت الموت ألفاً .. كُلما غُصت في بئره غمرت المياه جسدك إلى أن تصل أنفاسك فتموت حزيناً عاصياً لا حياة لك ولا آخره ..

هكذا كان حُزني .. أقر وأعترف .. ولا أخجل من إعترافي .. لا اخجل..

أنتظرته لكي يواسيني، بكل أسى أنتظرت ولم يأتِ إلى أن أخذتُ نفسي إلى والدته أذل نفسي ، قابلتني بُحزنها المُعتاد على فراق إبنها قبل فراق أختها:

-(حبيبتي ريما.. لكم حزنتُ على أختي وحزنتُ عليكم يا أبنتي، وأنتِ تعلمين أني أمكم بعد وفاتها ولن أفارقكم ما حييت)

بيتها لم يتغير كما لم تنفث غُبار الذكريات عنه .. تِلك الصورة وتلك المرآة ،أجبتها:

-( إن الحياة تأخذ منا أكثر مما تُعطينا .. وليس علينا سوى الصبر)

-(كلامك صحيح، لقد صبرتُ إلى أن تعافيتُ من صبري ففراق زوجي آلمني جداً .. لكني أعتدتُ يا أبنتي وستعتادين إلى أن يدّب الفرح في قلبك )

-(محمد! كيف هي أحواله؟ ألم يعد إلى هُنا!)

-(إنهُ هُنا يا أبنتي، وصل منذ أسبوعان وتزوج من فتاةٍ تُدعى دينا .. كان زواجاً سريعاً لهذا لم أخبركم بِه)

**{ قد يصنع التاريخ فارقاً في حياتك فلا تستطيع نسيان التاريخ ولا الفارق، وتاريخ حياتي بدأ عندما أحببتك وأنتهى اليوم الذي يصادف تاريخاً لن أنساه 2015/4/23**

**تلك النهاية التي بكيتها كثيراً.. لم يكن فراقاً جسدياً فقد افترقنا منذ سنين، ولكنه فراق الأموات حيثُ نفقد الأمل بشكلٍ قاطع باللقاء بمن نُحب، وأنا فقدتك ولا عزاء لي ولا جنازة تليق بحبنا، كان الأمرُ صعباً علي مع أني توقعته وهيأت نفسي لهُ كثيراً، ولولا ذلك لفقدت نفسي وحياتي، آلمتني كثيراً لدرجة لم اعد أطلب من الله أن تكون مِن نصيبي، ومع هذا كُنتُ دوماً أتوقُ إليك وأخافُ مِنك، أتمناك ولا أريد أن أكون من نصيبك، أشكر الله أنك ذهبت وأبكي قهراً أنك ستكون لغيري، لقد بعثرت مشاعري وأحرقت أمنياتي، أدخلتني في متاهةٍ كبيرة، لا أعلم كيف أحبك وأنا أكرهك، أنساك فأدرك أني أشتاقُ إليك، أظنُ بأني أحببتُ غيرك .. فلا غيركَ سواك}**

الآن أدركت أني في مهبّ الريح كُنت أقف، أرتجفت أوصالي كليلةٍ مُثلجة ،لا غِطاء لي ولا رِداء.. أرتجفت أوصالي حتى النخاع وُخذلتُ حد فقدان الإحساس بالألم .. شعورٌ يتعدى أوصال الألم، فقدتهُ إلى الأبد دون أن أعلم ما ذنبي، دون فُراقٍ أو وداع، فقدتهُ وأنا أقف على كومة وعودٍ كانت كالسراب التي أوقعتني عندما أدركت السراب، فقدته بعد أن فقدتُ الأمل وإلا لكنتُ فقدتُ نفسي .. وإلى اليوم لا يزال قابعاً في ذكرياتي ، ذاكرةٌ لا تموت ولا تهرم .. ولكنها تملك عكازاً قصيراً يُحني ظهري كُلما مشيت ..

لم أنسهُ يوماً كما لم أنس أن أتنفس، أن يكون جُزءاً لا يتجزأ من جسدي .. وإن لم أذكره فأنا أدرك أني لا أعيش دونه .. إدراكاً تاماً لا شك فيه.

لم أنسهُ يوماً ولم أطوي كتابي المُتعلق بِه.. لم أشكوه إلى الله ولم أدعو عليه، وكُلما أشتد الحنين يشدني إليه لأبكي كما الفُراق الأول .. فاقدةً كُل السنين التي أعتدتُ أن أعيش دونه .. لأعود لذات اليوم الذي فقدتهُ .. يومي الأول وإجهاضي الأول لحبٍ كان عسيراً ..

*****

**خارج اسوار الحلم ..!!**

**تقبلت أمر زفافك .. ووقع الخبر على رأسي كرياحٍ تنبـؤ بالمطر ..**

**شعاع النور ما قبل الحرية**
**فقد اعتدتُ غيابك واعتدت أن أهوي على الأرض مِراراً دون أن اشعر بالألم ..**

**فقط هو السكون الداخلي الذي يتراكم فوق بعضه كمكتبةٍ بلا رفوف**
**عندما عَلِمتُ بالأمر. .. لِمَ بداخل اسوار الحلم أجد نفسي في يومٍ ماطر.. بيدين مرتفعتين ورأسٍ يعلو الجسد ويعلو الروح .. ادعو الله مِراراً وتكرارا أن تحدث مُعجزة... أن يعود لي حبي الوحيد وأن ما حدث كابوس طويل امتد لسنين!**
**كيف أشتدت الرياح وانا من أمِنتُ لهدوئها !.. كيف عُدت للأسوار وانا من ناشدت بالحرية!**
**اتخبط مع الواقع ومع ما أريد .. استسلمُ للواقع .. ثم انبذه في قعر الحلم**
**ها أنا في الهاوية ..**

**ها أنا أتحطم من جديد وأشعرُ بالألم**

رسائل لم تصل

(7)

محمد

عندما نؤمن بوجود ملائكةٍ على الأرض ولا نراها .. يكون ذلك الإيمانُ ضعيفاً جداً حد التوهان والإختفاء.. حيثُ كُل شخصٍ قابعٍ في نفسه،وحيثُ كُنتُ أعيش مثلهم تماماً..

أحيا لأجل نفسي فقط ..

وعندما رأيتكِ .. آمنت وكان إيماني عميقاً ..

أحببت حياتي بِك.. كُنتِ بيضاء حد الجنون .. وردةٌ أخاف قطفها أو أن يقطفها غيري .. كُنتِ قصري الذي أبنيه بيدي وأزينهُ بيدي .. قطعةٌ خام لم يمسسها أحدٌ غيري .

تمكنتُ بكل سهولة أن أجعلكِ كما أحب وأهوى .. ان تكوني مُلكي بكل ما تملكين ..

لشدّ ما كُنتُ أتمناكِ .. لما أدركتِ ذلك لو بعد ألف سنه ..

لشدّ ما أحببتكِ.. لما صدقتِ ذلك لو قُلتُ لكِ..

لكن كُل ما حولي يُعيقني عنكِ.. كُل ما حولي يُبعدني ويُقصيني ..

فأعتدتُ أخيراً العيش دونك وأستطعتُ بكل ما أوتيت من صبر أن أقنع نفسي بهوى غيرك ..

تمكنتُ يا حبيبتي من العيش دونك .. وأعلم جيداً بأنكِ تُعانين لكنكِ أخيراً ستتمكنين من العيش دوني .. ولن تموتي ..

يا ملاكي .. أحبكِ جداً ولا حُب كحبي .. أحبكِ جداً إلى مالا نهاية كما كُنتِ تقولين لي دوماً..

وهل لحبنا نهاية!

لن تجمعنا الأرض يوماً.. علّ السماء تجمعنا

لن يجمعنا بيتٌ واحد ولا وطنٌ واحد .. لكن في قلبكِ دوماً سنجتمع .. لأني على يقين إن نسيتكِ يوماً فأنتِ لا تنسين ..

وهذا القمر الذي يتوسط السماء .. يا قمري

لم تكن لدي القدرة حقاً للوصول إليكِ .. ولكن الحُلم لا يموت وإن مُتنا

وأنتِ حُلمي الباقي إلى آخر عُمري ..

لن تعلمي يوماً.. ولن يخطر ببالكِ أبداً بأن العشق لا ينتهي وستبكين كثيراً وتنهارين كثيراً ولن أكون بجانبك .. عليكِ تعلم العيش وحدك وعليك مقاومة أشواك الطريق وحدك..

فلن أكون معكِ لإقتلاعها .. ولن أحميكِ من برد الشتاء ولن أمسح دموعك كُلما بكيتِ..

عليكِ تعلم مواجهة الحياة وحدك .. حتى لو كانت ضد ذكرياتك معي..

عليكِ أن تحيي وحدكِ.. فالعُمر يستحق أفراحكِ يا كُل أفراحي..

سأكمل حياتي دونك ومع غيرك .. وعليكِ أن تفعلي ذلك ..

أن لا تقودكِ الحياة إلى مشنقة الحُزن فتتدلى أحلامك مِنها .. لا تفقدي الأمل في الحب

ريما هي الحُب .. وكُل من حولها عاشقون ..

ريما هي الجمال .. عندما تسكن في العيون

ريما هي القمر.. هي النجوم والغيوم والسماء ..

حيثُ تكون يكون الحُب وحيثُ لا تكون .. لا أحد يكون ..

إنشّقي عني يا شرنقتي .. وطيري عالياً حلّقي .. لا تلتصقي بي فما دُمنا معاً لن تطيري .. لن تعيشي الحرية كما تريدين .. إذهبي وأتركيني فلا دنيا تجمع محمد بريما ..

لا دُنيا ستجمعهما يوماً ولا لِقاء ..

*لن أنساكِ ما حييت... فأنتِ الذكرى التي لا تموت..*

(19)

لا نموت عندما نفكر بالموت

**{أنت الورقة الأخيرة التي تعلقتُ بها من الأرض للسماء، ما كان لي إلا أن أحبك لأفقد الأمل في حياةٍ سعيدة، ما كان لي الا أن استنزف مشاعري لأدرك أن الحب مستحيل، وأن الثقة ملاذٌ إلى الهلاك، ما كان لي الا الوقوف على فوهة البركان لأدرك بأن النار تحرق وأن إنصهار الجسد حقيقة..**

**كُنتَ الشمعة الأخيرة التي أطفاتها انفاسٌ تُردد بإسمك، انت الورقة الأخيرة التي كانت تربطني بالأرض، لأقتنع أخيراً بأن الحب أسطورة، والألم حقيقة ونزاعي مع الحقيقة والشك قد إنتهى بك.. أنت مرآتي للعالم التي نظرتُ إليها فشوهت معالم وجهي، أنت عيناي التي كُنتُ أبصر بهما .. بخسارتك خسرت كُل شيء .. يا ورقتي الأخيرة..}**

-(إذا كان عليكِ أن تموتي .. فلا تنسي أن تأخذيني معك)

فتحتُ عينيّ على صوت فادي وهو يجلس بجانبي على قمة الجبل:

-(كيف وجدتني؟)

-(دوماً تسألين.. عليكِ اليوم أن تُجيبيني.. ماذا تفعلين هُنا؟)

-(أحاور مع الموت.. علّه يُقنعني وأذهب معه)

مسك يدي بقوة وأوقفني على قدميّ وأنا مذهولةٌ تماماً، صرخ بوجهي:

-(هل جُننتِ! إياكِ حتى أن تنطقي ذلك مزحاً)

-(ومن قال بأني أمزح!)

وجهٌ شاحب وعينان غائرتان في وجهي، قد يبدو الأموات أجمل من هذا الوجه وهذا الشحوب. قادني إلى سيارته تاركاً سيارتي في مكانها وأجلسني بجانبه وعاد إلى مقعده وأغلق الباب بقوة، يُفرغ غضبه قبل أن يُفرغه أمام وجهي:

-(لكم أتمنى يوماً .. أن تأتي إلي لتبكي .. أن تشكي همومك إلي.. أن تُشاطريني حُزنك لو ليومٍ واحد..)

-(لا أشاطر أحزاني مع أحد..)

-(أعلم بأني أحد .. ولن أكون جُزءاً منكِ)

-(أتركني يا فادي .. ما الذي يجعلك تتمسك بي إلى هذا الحد! أنا لا شيء .. لا أحد يتمسك بلا شيء)

-(إحذفي كلمة - لا- وضعي مكانها - كُل .. وسيكون حينها الجواب .. وأتمنى أن تحذفي- لا وكُل- لتبقى كلمة شيء علّني أكون بالنسبة لكِ.. لم اطمع يوماً بالمزيد )

أشاح بوجهه ونبرة الغضب أنهت آخر جملته، لقد آلمته كثيراً لكي يتركني ومع هذا لم يتركني يوماً.. وأسعدتُ من أحببتُ كثيراً لكي لا يتركني مع هذا تركني .. ما هذا التناقض الذي وضعتني الحياة به! كيف يفكر البشر! وكيف عليّ أن أتعامل معهم!

لقد أحترت بهم وكأني لستُ مِنهم .. أحاول أن أفهمهم ولكأني لستُ من البشر ..

-(لماذا ترغبين بالموت؟ لأجله أم لأجل والدتك؟)

بدأ صوته يهدأ بعد موجة الغضب التي لم يسيطر عليها إلا بعد صمتٍ طويل، أجبته:

-(بل لأجل نفسي..)

-(إذاً أنتِ أنانية .. لم أكن أعلم سابقاً)

-(كُنتُ دوماً أقول .. بأني سأموت دون أمي .. سأموت دون محمد، لكني لم أمت.. أليست هذه هي الأنانية!)

-(لا أحد يموت بعد أحد .. لكن تموت بدواخلنا كُل مُسببات الفرح التي كانت ترافقنا بسببهم .. برأيي الموت أرحم من الحياة هكذا .. فإن كُنتِ تريدين مُعاقبة نفسك .. عليكِ إذاً أن تواصلي الحياة ..)

-(لا تُعاقب نفسك معي..)

نظرتُ إليه بإشفاق الأم على ابنها، نظرتُ وعيناي بحرٌ من الدموع إلى أن بكيت، بكيت حرقةً في قلبي ولوعةً لا تنتهي، بكيت وتحشرج صوتي في حلقي .. أخفيت وجهي أداري حُزني الذي

أسدل ستارهُ عنوةً ..وتبدأ المسرحية .. أنا الفتاة التي كانت تتأثر بِقصص الأطفال وتنام عليها، أنا تِلك الفتاة التي كبرت وهي تلعب وتضحك وتلهو دون ملل، أنا تِلك البريئة التي لم تكبر إلى أن غزاها البشر وحطموا ألعابها ومزقوا قصصها لتغفو على صوت بكاءها ليلاً وتستيقظ على الذكريات .. أنا تِلك الصغيرة التي كبرت بيوم ..

تغيرت وكبرت ولا زلتُ لليوم لم أتعلم .. درسٌ طويلٌ في الحياة أجتازهُ غيري بينما أنا لا زلتُ بصفي الأول ..

عانقني فادي بِكلتا يديه ليُعيدني طفلةً من جديد، طفلةٌ يُسكتها عناق أحد وإبتسامة أحد، أعلم بأنه يبكيني .. أشعر بذلك من أنفاسه التي لا تنتظم.. أشعر برباطة جأشه في عناقي، يُداري حُزني عني ويُخفيه بداخله..

لو كان الحُب في ممتلك الأيدي لأحببتهُ..

لكنه المُلكُ الذي لا نملكه .. والخسارة التي نخسرها قبل خوضها .. هو العناق دون حبيب والقُبلةُ دون جبين .. الجسد دون الجسد والروح دون الروح.. كُلما قطعنا شوطاً أكبر كُلما أزدادت المسافة .. وكُلما وصلنا عُدنا من جديد ..

تركتهُ دون وعدٍ بأن أعود، تركتهُ فقط لأواصل حُزني لوحدي .. وشقاء حالي لوحدي .. خيبتي وذُلي .. خذلاني وقهري ..

*وحدي تماماً .. لوحدي!*

(20)

## عين الحقيقة

**عندما أجبرني الجميع على الإنحناء**

**كان الوقتُ المُناسب للدعاء**

عندما نكون بمفترق الطرق دون دليل قد تأخذنا السبل إلى ما قد نراهُ في البداية جميلاً مُتناسين كمية الألم في نهاية هذا الطريق، لم يقُدني أحد إلى طريقي .. كُنتُ أعود كل مرة لأسلك طريقاً جديداً .. ولا تكون عودتي إلا مكللةً بالخيبة ..

كان المشي بالنسبة لي .. هو الدواء للحزن .. أن أبكي دون أن يُلاحظني أحد أو يوقفني أحد ليسألني عن حالي، نزلتُ إلى طريقي دون هدف أو مكانٍ محدد لأصل إليه.. كُلما أسعفتني قدماي سأمضي ..

خَفتت الأصوات ونادى المؤذن، كُنا في أواخر الشتاء وارتدي معطفي الجلد الطويل وأضع قبعةً من الصوف وأسدلُ شعري على كتفيّ..

نظرتُ حولي ثم نظرتُ إلى السماء ...

لماذا أشعر بالنقص دوماً، كأن جُزءاً مني في مكانٍ آخر؟ .. لماذا اشعر بخوفٍ من المجهول؟ أن أقف في مكانٍ ولا أشعر بأني أنا ..

كيف يُمكنني أن أجد نفسي؟ أنا أشعر بالضياع ..

أحياناً أشعرُ باني كتلةٌ واحدة وأحيانا أتحول إلى ذرات .. تقف على أعتاب المستقبل حُجراتٌ مُظلمة ويفتح الماضي أبوابه على مصرعيه..

الأشجار الآن تتحرك بتناغمٍ واحد، تجمعها الرياح لتنقاد بإتجاهٍ واحد.. أجواء عمان هي الأحب إلى قلبي .. فلا يُمكن أن أرتاح يوماً في مدينةٍ أخرى أو بلادٍ أخرى ..

أن تولد فيها .. هو حقاً نعمةٌ من الخالق، نعمة أن تُقدس وطنك بأرضه وهواءه ..

عمان حيثُ كسبت وخسرت .. حيثُ كان تواتري مع من هم ضدي وتجانسي مع هم مني، أحببتُ فيها وخذلتُ فيها، عانقتني ورفضتني مِراراً، أبتعلتني ولفظتني مِراراً ..

*فيها ولدت مرةً ومُت أكثر من مرة.. واليوم أولد فيها من جديدٍ ..*

من كان يصدق بأن موقفاً واحداً قد يكون سبباً في ولادتك من رحم الموت .. سبباً في حياتك من جديد ..أن تكون من عاش في غرفة لسنين دون أن يرى نفسه فيجد في زواياها إنعكاساً لنفسه .. أن ترى أخيراً نفسك!..

وقفتُ على الرصيف أتابع بعينيّ الجميع، إلى أن لفت إنتباهي رجلٌ ينزل من سيارته وبجانبه أبنه .. أعتقد بأنه في الخامسة من عمره.. فرش والده السجادة وبدأ الصلاة،

هل هي المرة الأولى؟ نعم ..

إنها المرة الأولى التي يقشعر بدني هكذا ..

كان الطفل يُقلد والده بكل حركاته، ينظر كل حينٍ إلى والده ويتمتم بكلماتٍ لا أعلم إن كان يفهمها، في حينها سألتُ نفسي ..

لِمَ لم يعلمني والدي!

كم حسدتُ ذلك الطفل الصغير.. كم تمنيتُ أن اكون مكانه ..

شعرتُ للمرة الأولى في حياتي أني عرفتُ الطريق أخيراً.. الطريق إلى نفسي ..

للمرة الأولى أنسى أمي وأنسى محمد .. أن أسامح الجميع من كُل قلبي ..

كُل من تركني ولم يعد ..

كُل من عاد وبيده أشواكٌ تجرحني ..

للمرة الأولى أبكي بُكاء الفرح وقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..

عدتُ إلى منزلي المهجور، فبدون أمي كُل الزوايا بِه مهجورة ..

أغتسلتُ من ذنوبي وبكيت كثيراً، بكيتُ على كُل السنين التي لم أدرك بِها غايتي، كُل السنين التي توسلتُ بِها الحياة من البشر وهي ليست إلا بيد الله، كُل لحظةٍ فرحتُ بِها ولم أشكره وكُل لحظةٍ حزنتُ بِها ولم ألجأ إليه..

بكيتُ فرحةً تغمرني.. أني لم أمت بعد ولا يزال أمامي فرصةٌ للتوبة .. أن أتوب عن كل تذمر وكل حزنٍ لم أتوكل بِه إلى الله ..

ركعتُ لله رب العالمين وطلبتُ الغُفران .. بدأتُ الحياة من جديد، حيثُ لا حُزن يسكنني ..

أن تؤمن بالله كلمةٌ تعني الكثير، أن تؤمن بأن كُل ما حصل لك هو قدرك، وأن ما ذهب لم يكن من نصيبك، أن تؤمن بالله هو إيمانك العميق بنفسك .. أن تجد نفسك أخيراً..

هو الرجاء والثقة والملاذ .. هو الأمان من كُل خوف ..

قد أوافيكم بقصتي الجديدة وميلادي الجديد .. إن بقي من العمُر ما يكفي أن أكمل ما بدأت..

لا عجب أن يتغير المرئ بيوم ..(فالله يهدي من يشاء وهو على كُل شيءٍ قدير)

بعد العديد من الأشهر وجدني فادي في حديقتي، جلس وهو يبتسم وكُل السعادة تُعانق وجهه، قال لي دون أن يُلقي التحية ودون مُقدمات:

-(إلا تُريدين أن تكوني معي!)

-(لكني تغيرت.. لم أعد ريما التي تعرفها)

كانت عيناه هي ذاتها، لم ينقص الحُب بها ولا الشوق، رُغم لقائنا كل يوم في ذات العمل إلا أنه لم يملّ إنتظاري.. أجابني:

-(نعم.. كُنت أنوي الإستسلام في لحظةٍ من اللحظات.. أقرّ لكِ بذلك.. لكن بعد أن لاحظت تغيركِ تمسكت بِكِ أكثر.. لا تُجيبيني على سؤالي.. لكن هذا السؤال سيبقى معكِ إلى الأبد لأني سأنتظر إلى آخر عُمري)

إن الحياة تهبك أشخاصاً لا تعلم قيمتهم الحقيقة إلا بعد فوات الأوان .. لكن كان لي قدراً كبيراً من النصيب ليبقى فادي إلى جانبي .. وأن أقدر قيمته قبل فوات الأوان ..

هؤلاء الأشخاص علينا التمسك بِهم .. لا أنتظار أن تتعب أيديهم من التشبث بِنها فتطلقنا إلى هاويتنا .. علينا أن نشاركم التمسك والحُب والوفاء .. أن نبقى معهم هُم فقط دون غيرهم..

من يحبك فقط يستحق أن يبقى إلى جانبك .. في حياتك وذكرياتك وماضيك وحاضرك..

الحمد لله على السعادة التي تُعانقني الآن ولا تفكّ العِناق ..

رسائل لم تصل

(8)

محمد

نبيل .. صديقي العزيز في طفولتي المأثورة.. كُنت أشاطرهُ ألعابي لأني أحب أخته، وأحب أن تكون دوماً بجانبي وهي لا تُفارق اخاها أبداً ..

كيف لي أن أعلم بأن الإثنان سيلازماني طوال عمري..

كان حرياً بي الإبتعاد .. لكن الامر فوق طاقتي على الإستيعاب ..جميعهم قالوا بأني قتلته في حين أنزلقت يدهُ من يدي. وقفتُ مذهولاً خائفاً أرتجف، ورأيتها ..

نعم رأيتكِ يا عزيزتي تركضين إليه تاركةً أرجوحتكِ وطفولتكِ خلفك، ليغطي دماء أخيك فستانكِ الأبيض.. قد لا تعلمين لكن هذه اللحظة رافقتني كُل يوم.. كوابيسٌ تدق أحلامي وتقرع مخاوفي لأعود طِفلاً كما كُنت ...

لم يُكن خوفي وصمتي إلا وصمةً على جبيني.. ظن الجميع بأني قتلتهُ وعاقبني والدي ونفاني بعيداً عنهُ وعنكِ..

كيف لي أن اعلم أني سأعود إلى مصيري عندما ألقاكِ ! كيف لي أن أعلم بأنكِ حُب العُمر كُله! ومأساة العُمر كُله!

لم يخبركِ احد بأني قتلته.. ولو علمتِ لما احببتني إلى هذا الحد ولما أستطعتُ يوماً الدفاع عن نفسي.. كُلما رأيتك أكون في صراعٍ مع الذكريات .. حاولتُ كثيراً يا حبيبة العُمر الماضي.. حاولتُ أن أعيش معكِ من جديد.. قولي لي من سيسمح لي أن أعيش من جديد؟

وداعاً يا كُل قلبي ونبضي.. وداعاً يا من أسرتني بهواها ولم تُطلقني .. وداعاً في حين تنسين الوداع سأذكركِ بِه.. أنا من خذلكِ وأبكاك أنا من تركتكِ مع الحزن .. الحُزن يا سيدتي لأهون من العيش معي .. لأهون عليكِ من معرفة الحقيقة .. لا تنظري يوماً في عيون الحقيقه .. لا تبحثي عن الحقيقة..